

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

**أصول اللغة والنحو بين الأخصر والفراء
من خلال كتابيهما " معاني القرآن "**

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب و اللغة العربية
تخصص : علوم اللسان العربي

إشراف الأستاذ الدكتور :
محمد خان

إعداد الطالب:
أحمد الشايب عرباوي

السنة الجامعية : 2013 / 2014

مقدمة

إنَّ الدارسين لتاريخ النحو وأصوله يذهبون إلى أن أصول اللغة والنحو لم تظهر للوجود كعلم مستقل بذاته إلاَّ في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة ، دليلهم في ذلك أن أول كتاب ظهر في هذا المجال هو كتاب "الأصول الكبير" لابن السراج ، لذلك فالبحث في أصول اللغة والنحو قبل عصر ابن السراج يعني البحث في الأسس الأولى لهذا العلم ، والكشف عن الاجتهادات المبكرة التي يرجع لها الفضل في وجوده أصلاً ، هذه الاجتهادات والآراء التي بدت متفرقة متناثرة على يد كثير من علماء هذه الحقبة والذين يمثلون أعلام البصرة والكوفة .

قد يكون ما ورد على ألسنة الخليل وسيبويه والكسائي وأضرابهم شائعاً لكثرة الدراسات التي تناولت هؤلاء ، لكن غيرهم لم يحظ بهذا الاهتمام خصوصاً في هذا الجانب بالذات ، ومن الذين لم تسلط عليهم الأضواء الكافية في مجال أصول اللغة والنحو، الأخفش البصري ، والفراء الكوفي ، وقد صنَّف كلُّ منهما كتاباً بعنوان " معاني القرآن " ، وتوفَّر هذين الكتابين اليوم يساعد ، دون شك ، على استخلاص آرائهما وحصرها ، وهذا بدوره يكشف عن إنتاجهما في مجال أصول اللغة والنحو فضلاً عما عرفا به في جانب النحو والصرف .

الدراسات المتصلة بالبحث :

ما من شك في أن الشخصيتين " الأخفش والفراء " لم تكونا مغمورتين ، لا هُما ولا كتابهما " معاني القرآن " غير أن اللافت للنظر أن ما عرفتا به هو آراؤهما النحوية ، ولكن ذلك لم يمنع من وجود دراسات تتعلق بأصول اللغة والنحو عندهما . من ذلك :

- أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة ، مكي الأنصاري ، القاهرة ، 1964 .

- منهج الأخفش في إعراب القرآن ، أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، 1987م

الإشكالية :

إشكالية البحث تظهر في جملة تساؤلات ، أبرزها :

ما هو إسهام كل من الأخفش والفراء في جانب أصول اللغة والنحو؟ بمعنى ، هل إن قيمتهما العلمية تظهر في آرائهما النحوية التي زخرت بها كتب النحو على اختلافها؟ أم أنّ لهما آراء تتصل بأصول اللغة والنحو؟ ثم ما أهمية هذه الآراء؟ وما دورها في تميز منهج الكوفيين عن البصريين؟ وإذا كان الأخفش بصريا والفراء كوفيا؟ فهل كل منهما منسجم في آرائه الأصولية مع المدرسة التي نسب إليها؟ ثم ما مدى قوة هذه الآراء؟ أم أنها ترد من أجل المخالفة فقط؟

دوافع البحث ومبرراته :

في مجال اللغة والنحو أعلام ومصنفات ، بعضها قتل درسا وبعضها لا يزال بحاجة إلى كشف وإبانة ، فما تردد عليه الدارسون بكثرة سيبويه وكتابه " الكتاب " وابن جني وكتابه " الخصائص " ، وهذا على سبيل المثال ، ومنها لا يزال بحاجة إلى دراسة ، فـ " معاني القرآن " لكل من الأخفش والفراء لم يبلغا من الرواج مستوى ما مثلنا به ، وإذا كان الأخفش والفراء من الشخصيات المعروفة من البصريين والكوفيين ، فإنّ ما ذاع عنهما هو آراؤهما النحوية والصرفية ، أما إدراكهما لأصول اللغة واجتهادهما في طرق استنباط الأحكام فهذا هو الجانب الخافت من علمها ، ولذلك فإنّ من أهم الأسباب التي دعت إلى البحث هي :

- التعرف أكثر على الشخصيتين (الأخفش والفراء) ، وعلى إسهاماتهما في مجال أصول اللغة والنحو .
- توثيق الآراء النحوية التي نسبت إليهما ، بالاعتماد على ما جاء في كتابيهما .
- إثراء الدراسات الأصولية في المكتبة العربية ؛ لأنها دراسات قليلة ، إذا ما قورنت بالدراسات النحوية .

أما الأهداف المتوخاة من الدراسة فهي :

- 1- تسليط الضوء على أصول اللغة والنحو في هذا الطور ، وأقصد أواخر القرن الثاني وأواخر القرن الثالث للهجرة .
- 2- الكشف عن أصول النحو المعتمدة من قبل النحاة في تلك الحقبة ، وذلك بالاعتماد على ما ورد في كتابي الأخفش والفراء .
- 3- التحقق مما نسب إلى البصريين والكوفيين من أصول انبنت عليها آراؤهم النحوية ، بنفي هذه الأصول أو إثباتها .

ومن أجل تحقيق الأهداف المرسومة ، وضعت للبحث خطة تقوم على أربعة فصول .
الفصل الأول أتحدث فيه عن البيئة العلمية في عصر الأخفش والفراء ، وقسمته إلى
ثلاثة مباحث :

تناولت في المبحث الأول ترجمة وافية للأخفش ، وتعريفا كافيا بكتابه معاني القرآن
والأمر نفسه كان مع الفراء وكتابه " معاني القرآن " في المبحث الثاني .
أما المبحث الثالث فخصصته للكشف عن القيمة اللغوية للكتابين ، هذه القيمة التي
تظهر في مجالات هي : النحو والصرف والصوت والدلالة ، حيث عرضت عينات
من الكتابين في كل مجال مما ذكر وفي كل كتاب على حده .

الفصل الثاني كان عنوانه أصول اللغة عند الأخفش والفراء، ويشتمل على ثلاثة مباحث

تناولت في المبحث الأول النقل وأثره في التقعيد اللغوي عندهما ، وعرضت النقل
بعناصره الثلاث : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب .
أما المبحث الثاني فتناولت فيه القياس اللغوي وطريقة توظيفه .
أما الثالث فتناولت فيه الإجماع ، باعتباره أصلا من أصول اللغة ، واستخرجت
صوره من كتابي الأخفش والفراء .

الفصل الثالث عنوانه " أصول النحو عند الأخفش والفراء ، ويشتمل على ثلاثة مباحث
:

المبحث الأول : السماع ومنهجها فيه ، وتناولت فيه عناصر السماع المعروفة ،
لكنني أغفلت منها الحديث النبوي الشريف ، لأن الاعتماد عليه في التقعيد النحوي في
الكتابين لا يكاد يذكر، ثم خلصت بعد ذلك إلى بسط ملامح منهجها في السماع مقارنة
واستنباطا .

أما المبحث الثاني ، فضم القياس ومنهجها فيه ، وعرضت فيه صور القياس عند كل
منهما .

المبحث الثالث ، كان حول العلل والعوامل عندهما ، إذ البحث في القياس لا يتم إلا
بأن يستكمل بالحديث عن العلل والعوامل ، لما بين القياس والتعليل من صلة .

الفصل الرابع والأخير ، عنوانه علاقة الأخفش والفراء بأصول اللغة والنحو عند البصريين والكوفيين . فبالنظر إلى أن الأخفش والفراء يمثل كل منهما توجهها في اللغة والنحو متميزا ، فكان هذا الفصل إبرازا لعلاقة كل منهما بالتوجه المنسوب إليه . اتضح ذلك من خلال مبحثي هذا الفصل وهما :

أصول اللغة والنحو عند البصريين من خلال كتاب " معاني القرآن " للأخفش الأوسط .

أصول اللغة والنحو عند الكوفيين من خلال كتاب " معاني القرآن " للفراء ، وكانت الخاتمة متضمنة نتائج البحث .

هذا وقد اعتمدت في خوض هذا البحث على **المنهج الوصفي التاريخي** ، أعرض من خلاله الأصل من أصول النحو ، ثم أتتبع تطوره من زمن نشأة النحو إلى عصر الأخفش والفراء ، وفي الوقت نفسه أعقد الموازنة بين ما في الكتابين من أصول لأخلص من خلال ذلك إلى جوانب الاتفاق أو الاختلاف بينهما .

هذا وقد استعنت بجملة مراجع ومصادر أذكر منها على سبيل المثال :

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي
- النحو وكتب التفسير لإبراهيم رفيده
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو لمهدي المخزومي
- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب لمحمد مختار ولد أباه
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لشهاب الدين الحلبي

هذا مع عدد من المجالات والدوريات .

أما عن **الصعوبات** ، فلا كلام هنا عن قلة المصادر والمراجع ، بل عن لغة هذه المصادر ، وهي لغة تحتاج إلى جهد خاص للكشف عن المعنى المراد ، وأخص بالذكر كتابي " معاني القرآن " و " الكتاب " لسيبويه ، يضاف إلى ذلك عقبة أخرى في كتاب الفراء ، وهي استعماله للمصطلحات النحوية الكوفية ، وهي مصطلحات لم يكتب لها الشيوخ ، ولا يعرفها إلا من أدركها بكثرة الدرس وإمعان النظر .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور محمد خان ، الذي كانت له اليد الطولى في البحث ، توجيهها وتقويمها ، فهو - والحق يقال -

الذي أخرجـه من ضبابية الرؤية وضحالة التناول ، إلى وضوح المقصد وعمق التحليل ، كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور نبيل أبو عمشة من جامعة دمشق الذي استفدت كثيرا من علمه وخبرته فاقتصدت في الوقت والجهد معا . كما أشكر كل من كان لي عوناً في هذا البحث من أساتذة وأصدقاء وزملاء ، وأسأل الله أن يحقق لهم المثوبة ويجزل لهم العطاء .

الفصل الأول : البيئة العلمية في عصر الأُخفش والفراء

المبحث الأول : الأُخفش وكتابه " معاني القرآن "

المبحث الثاني : الفراء وكتابه " معاني القرآن "

المبحث الثالث : القيمة اللغوية للكتابين

ليس الغرض من هذا الفصل بسط البيئة العلمية بكل عناصرها عصر الأخفش والفراء ولكن إعطاء صورة مقتضبة عن الجو العلمي العام الذي كان يعيشه العُلمَان مما يبسر فهم شخصيتهما العلمية أكثر .

فخلال القرن الثاني للهجرة كانت حواضر البصرة والكوفة وبغداد تعيش أزهى عصورها ، فالبصرة قريبة من الحضارة الفارسية وبغداد عاصمة العباسيين وهم في أوج قوتهم والكوفة بين هذا وذاك متنفس لحركات المعارضة السياسية أو للحياة العربية الأصيلة ، ويمكن أن نلخص أهم الألوان التي ميزت البيئة العلمية خلال هذه الفترة كما يأتي :

- كانت البصرة ومن بعدها بغداد مرتعا لضروب شتى من الثقافات ففيها اليونانية والهندية والفارسية ، فضلا عن العربية الخالصة .
- كان لموجة التشيع والاعتزال انتشار واسع بين متقفي ذلك العصر، وغالبية النحاة كانوا من الشيعة أو المعتزلة مما جعل لذلك أثرا واضحا في مصنفاتهم .
- من أهم ما ميّز ذلك العصر انتشار الفلسفة والجدل وعلم الكلام ، وكلها تجتمع في ميزة واحدة وهي غلبة النزعة العقلية ، وقد كان لخلفاء بني العباس دور في ذلك تنظيما وتشجيعا ، فلا غرو أن يظهر ذلك واضحا عند النحاة والفقهاء على حدّ سواء.

المبحث الأول: الأخفش وكتابه " معاني القرآن "

الأخفش الأوسط

اسمه ، نسبه ، لقبه

هو سعيد بن مسعدة ، كنيته "أبو الحسن " ، يقال له : المجاشعي البلخي للبصري ، فهو مجاشعي بالولاء ، مولى لبني مجاشع بن دارم ، بطن من تميم¹ ، وهو بلخي لأن أصله من بلخ² ، لكنه سكن البصرة ثم دخل بغداد وأقام بها مدة وروى وصنف ، ولما كانت أغلب حياته بالبصرة نسب إليها فهو من الذين رفعوا شأنها وأذاعوا علمها في الناس .

لقب أبو الحسن بالأخفش الأوسط ، والأخفش معناه صغير العينين ، ولم يكن صاحبنا بالمنفرد بهذا اللقب ، إنما كان هناك أحد عشر نحوياً من الأخافش ، ذكرهم السيوطي في المزهري³ ، وفيهم النحوي واللغوي والقارئ والفقهاء... غير أن هذا اللقب عند إطلاقه إنما يراد به أبو الحسن سعيد بن مسعدة وهو أوسط الثلاثة المشهورين به ، فيقال له " الأخفش الأوسط " وكان قبل ذلك يعرف بالأخفش الصغير ، أما الأكبر فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه ، حتى إذا ظهر علي بن سليمان وهو من تلاميذ المبرد وتغلب صار هذا الأخير يعرف بالأخفش الأصغر ، أما أبو الحسن فهو الأخفش الأوسط .

مولده :

¹ - أبو سعيد السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ، دار الإعتصام ، ط 1 / 1405 / 1985 ، ص 66

² - ياقوت الحموي ، معجم الأدياء ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993 ، ج 3 ، ص 1374

³ - جلال الدين السيوطي ، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ج 2 ، ص 453

ليس من عادة كُتّاب التراجم والطبقات تسجيل تاريخ ميلاد الأعلام والمشاهير ، لأن هؤلاء في مستهل حياتهم إنما كانوا في العامة لا يؤبه لهم حتى إذا نبغوا وتألّق نجمهم ، عرفهم الناس فكانت وفاتهم حدثا ذا بال ، فسجلوا السنة بل اليوم والشهر أحيانا ، وربما أرخوا بحدث الوفاة .

والأخفش الأوسط من هؤلاء ، لم يُعرف له تاريخ دقيق للميلاد ، إنما الذي عُلّم أنه كان أسن من سيبويه الذي توفي سنة 180هـ تقريبا عن عمر يناهز الأربعين سنة ¹ ، ويكاد يجمع الرواة على أن أبا الحسن توفي بعد سيبويه بأكثر من عشرين سنة ² ، فمن المحتمل إذن أن تكون ولادة الأخفش خلال العقد الثاني ³ أو الثالث ⁴ من القرن الثاني للهجرة .

خلقته ومذهبه

اتفق الرواة على أن لقب أبي الحسن سعيد بن مسعدة هو الأخفش ، وليس فيهم من أشار صراحة إلى التصاق هذه الصفة فعلا بأبي الحسن ، غير أنهم اتفقوا تقريبا على أنه كان أجلع ، والأجلع الذي لا تتضم شفاته على أسنانه ⁵ ، أو هو الذي شفته العليا ناقصة لا يقدر أن يضمها ⁶ .

أما مذهبه فقد كان معتزليا ⁷ ، وتتلّمذه على يد أبي شمر المعتزلي ¹ جعل منه قدريا ²

¹ - ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978 ، ص 83

² - ينظر على سبيل المثال :

أبو سعيد السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 66 و جلال الدين السيوطي ، المزهر ،
463 ، 453 / 2

³ - حسن عيد المنعم عربود ، موافقة الأخفش للكوفيين في معاني لقرآن ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،
(د ت) ، ص 11

⁴ - الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق: عبد الأمير الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، 1985 ، مقدمة التحقيق ، ص
11

⁵ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1968 ، ج 2 ،
ص ، 381

⁶ - ابن قنينة ، المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة ، دار المعارف (د ، ت) ص 545

⁷ - طاش كبرى زاد ، مفتاح السعادة ومفتاح السيادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د ، ت) ، ج 1 ، ص 151

شمرياً، ولكنه لم يكن يغلو في القدر، ويظهر أنه مذهب لم يرق لتلميذه حاتم السجستاني فقد قال عنه : إنه كان قدريا رجل سوء ، كتابه في المعاني صويلح وفيه أشياء في القدر³.

مواهبه وقدراته

وهب الأخفش الأوسط من الخصال والصفات ما يؤهله لأن يكون علما مرموقا من أعلام البصرة ، فلقد كان ذا جرأة أدبية ظاهرة ، وهي الصفة التي استغلها ليثأر لشيخه سيبويه بعد إخفاق الأخير في المسألة الزنبورية⁴ مع الكسائي، قال الأخفش : " لما دخل سيبويه إلى شاطئ البصرة وجه إلي فجنّته ، فعرفني خبره مع البغدادي (يقصد الكسائي) ، وودعني ومضى إلى الأهواز، وتزودت وجلست في سمارية⁵ حتى وردت إلى بغداد ، فوافيت مسجد الكسائي ، فصليت خلفه الغداة ، فلما انفتل من صلاته ، وقعد في محرابه ، وبين يديه الفراء والأحمر وهشام وابن سعدان سألته عن مائة مسألة ، فأجاب عنها بجوابات خطأته في جميعها، وأراد أصحابه الوثوب علي ، فمنعهم من ذلك ، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت في . فلما فرغت من مائة مسألة قال الكسائي : بالله أنت أبو

¹ - أبو شمر من شيوخ المعتزلة عاصر ثمامة بن الأشرس وإبراهيم بن سيار النظام ، عدّه الجاحظ من بلغاء الرجال يقول عنه : " كان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبويه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة " ينظر :

البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د،ت) ج 6 ، ص 97

الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط1 ، 1968 ، ج1 ، ص63

² - " القدرية " اسم آخر للمعتزلة ، سمّوا به لأنهم يقولون بأن الإنسان حرّ الإرادة ، فهو قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت لبنان 1980 ، 1 / 43 ، 45

³ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط10 ، 1994 ، ج 10 ، ص 206,207

⁴ - القصة بتفاصيلها أوردتها :

أبو البركات الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت (د،ت)

ت (2 / 702

⁵ - سمارية : نوع من السفن

الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش؟ قلت: نعم، فقام إلي وعانقتني وأجلسني إلى جانبه¹. ولم يكن الأخفش جريئاً مع أقرانه من العلماء فحسب، بل كان مع الأمراء أيضاً، قال أبو الحسن: "كان أمير البصرة يقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾²، بالرفع فيلحن، فمضيت إليه ناصحاً، فزبرني³ وتوعدني، وقال: تلحنون أمراءكم! ثم عزل وولي محمد بن سليمان، فكأنه تلقاها من فم المعزول فقلت في نفسي: هذا هاشمي ونصيحته واجبة، فخشيت أن يلقاني بما لقيني به الأول، ثم حملت نفسي على نصيحته، فصرت إليه وهو في غرفة، ومعه أخوه والغلمان على رأسه، فقلت: أيها الأمير، جئت لنصيحة، قال: قل، قلت: هذا - وأومأت إلى أخيه - فلما سمع ذلك قام أخوه، وفرق الغلمان عن رأسه وأخلاقه، فقلت: أيها الأمير، أنتم بيت الشرف وأصل الفصاحة، وتقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ بالرفع، وهذا غير جائز، فقال: قد نصحت ونبهت، فجزيت خيراً، فانصرف مشكوراً. فلما صرت في نصف الدرجة إذا الغلام يقول لي: قف مكانك: فقعدت مروعا، وقلت: أحسب أن أخاه أغراه بي، فإذا بغلة سفواء⁴ وغلाम وبدره⁵ وتخت⁶ وثياب وقائل يقول: البغلة والغلام والمال لك، أمر به الأمير. فانصرفت مغتبطاً بذلك⁷.

وهكذا ليس غريباً أن يكون الأخفش أول من فتح باب الخلاف على شيخه سيبويه، فقد كان ثاقب الذهن، حاد الذكاء، فخالف أستاذه في كثير من المسائل، وكأنما أعدّ لتتشأ في ما بعد مدرسة الكوفة ثم سائر التوجهات النحوية التي تعاقبت بعد ذلك⁸، بل عدّه

¹ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1973، ص 70

² - الأحزاب / 56

³ - زبرني: انتهرني

⁴ - بغلة سفواء: خفيفة سريعة مقتدرة الخلق

⁵ - البدره: كيس فيه مبلغ من المال

⁶ - التخت: وعاء تصان فيه الثياب

⁷ - أبو الحسن جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1973، 2/ 43

⁸ - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعرف المصرية، القاهرة، ط 10، 2008، ص 95

بعض الدارسين المؤسس الحقيقي للمذهب الكوفي¹ ، بدليل تأثر أعلام الكوفيين به وموافقهم له في الكثير من المسائل .
وسنعرض لعدد من هذه المسائل خلال الفصل الرابع إن شاء الله .²

ثقافته :

تشبع الأخفش بثقافة عصره³ ، وأخذ منها النصيب الأوفى ، فقد حدث عن الكلبي⁴ ،

وهشام بن عروة⁵ ، وتبحر في علوم القرآن والعربية ، يضاف إليهما علم الكلام .
فأما العلم بالقرآن والنحو ، فيدل عليهما كتابه " معاني القرآن " وفيه إمام واسع بالقراءات ، وفقه عريض بلغات العرب ، وعلى الرغم من خلو هذا الكتاب من إشارات صريحة إلى أعلام القراءات والنحو ، لكن بصمات شيوخ الأخفش بارزة فيه وواضحة ، فقد أخذ عمّن أخذ عنه سيبويه لأنه كان أسن منه ، فصحب الخليل (ت175هـ) قبل صحبته لسيبويه⁶ ، وبعد الخليل لزم سيبويه وأخذ عنه كلما عنده ، وهو الذي روى عنه كتابه ، بل كان الطريق الوحيد إليه ، إذ لا يعرف أحد سواه قرأه على سيبويه أو قرأه سيبويه عليه⁷ ، وكان الأخفش يقول : " ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ وهو يرى أنني أعلم منه ، وكان أعلم به مني ، وأنا اليوم أعلم به منه " ⁸ ، ومن شيوخ الأخفش عيسى بن عمر الثقفي (ت149 هـ) ، الذي كان عالماً بالعربية والقراءة ، وقراءته مشهورة⁹ ،

¹ - صلاح روي ، النحو العربي ، (نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله) دار غريب ، القاهرة 2003 ، ص278

² - ينظر : ص 242 وما بعدها من هذا البحث

³ - طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج1 ص 151

⁴ - الكلبي هو محمد بن السائب ، يكنى أبا النضر ، كان نساباً عالماً بالتفسير ، توفي بالكوفة عام 146 ، ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ص535

⁵ - هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان فقيهاً محدثاً قدم الكوفة أيام أبي جعفر فسمع منه الكوفيون ، ومات بها سنة 146 ، ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ص 223 و 488

⁶ - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص73

⁷ - السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص ، 66

⁸ - ياقوت الحموي ، معجم الأديباء ، تحقيق : إحسان عباس ، ج3 ، ص 1375

⁹ - لا يراد بـ " مشهورة " المعنى الاصطلاحي للقراءة ، إنما المقصود أنها معروفة بين الناس . ينظر : ابن الأثير ، نزهة الألباء في طبقات الأديباء ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الزرقاء

وقد تردد ذكره في المعاني سبع مرات ، صرّح الأَخْفَشُ في بعضها أنه سمع عنه مباشرة¹ وكذلك يونس بن حبيب (ت183هـ) الذي يعدّ من أكابر النحاة البصريين ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عن سيبويه ، وذكر الأَخْفَشُ له في المعاني ، إنما كان باعتباره الواسطة بينه وبين أبي عمرو بن العلاء (ت154هـ) ، فقد كان الأَخْفَشُ يكثر من قوله : " زعم يونس أنّ أبا عمرو "2 ، والأمر نفسه مع شيخه أبي زيد الأنصاري (ت214هـ) ،³ الذي كان عالماً بالنحو واللغة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأحرز ثقة سيبويه الذي كان يشير إليه في كتابه بقوله : " سمعت الثقة "4 .

وأما علم الكلام ، فقد كان شائعاً في عصر الأَخْفَشِ شيوع الثقافات الأجنبية في المجتمع العربي آنذاك ، فكان أن تلقفه العلماء وتدارسوه وأثر تأثيراً واضحاً في التفكير النحوي عند النحاة ، فهذا الخليل يتوسع في القياس ، ويستنبط من علل النحو ومن علم العروض ما لم يستنبطه أحدٌ وما لم يسبقه إلى مثله سابق⁵ . وقد ورث سيبويه هذا التأثير عن أستاذه ، فكثرت عنده التعليقات والأقيسة . وإذا كان سيبويه أستاذ الأَخْفَشِ الأول ومن قبله الخليل ، فلا يبعد أن يكون أبو الحسن من النحاة المتكلمين ، فقد ذكر المازني أن الأَخْفَشُ كان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل⁶ ، وقد بدا هذا واضحاً في آرائه النحوية وبخاصة عنايته بالتعريفات والحدود⁷

وفاته :

اختلف في تاريخ وفاة أبي الحسن ، لكنها محصورة في الفترة ما بين 207هـ و225هـ أي خلال العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث للهجرة⁸ .

الأردن ط3 ، 1985 ص 64 ،

1 - الأَخْفَشُ الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، ط 2 ، 1981 ، 1 / 119 و 2 / 541

2 - الأَخْفَشُ ، معاني القرآن ، 1 / 162 ، و 2 / 295

3 - علاقة الأَخْفَشِ بأبي زيد واضحة في كتابه ، ينظر :

الأَخْفَشُ ، معاني القرآن ، 1 / 29 ، 113 ، و 2 / 272

4 - ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، ص 101

5 - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 47

6 - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 10 ، ص 206

7 - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 95

8 - السيوطي ، المزهر ، 1 / 83 و 2 / 463 والسيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 66

آثاره ومكانته :

لم يكن الأخفش الأوسط عالماً من الطراز المحلي فقط ، بل كان عالمياً ، فهو وإن كان بصرياً ، لكن علمه بلغ حواضر الدولة الإسلامية عصرئذ كمثل بغداد والكوفة ، فأفاد من علمه البصريون والكوفيون على السواء ، فعلى يده تخرج المازني (ت247هـ) والجرمي (ت225هـ) والسجستاني (ت250هـ) وغيرهم من البصريين ، وعنه أخذ الكسائي (ت189) إمام الكوفيين .

وسعة علم الأخفش تظهر في سعة علم تلاميذه ، فقد كان المازني فطناً ذكياً ومناظراً

ألمعياً¹ ، وعقد له الواثق والمتوكل مناظرات بينه وبين علماء عصره ظهر فيها فضله وخصب عقله ، وله آراء طريفة كثيراً ما تناقلها النحاة ، وهي آراء ذهب فيها مذهب أستاذه الأخفش ، من ذلك أنه كان يرى أن ألف الاثنين في " قاما " وواو الجماعة في " قاموا " ليستا فاعلين ، وإنما هما علامتان دالتان على الفاعل المستتر تؤذنان بالنتئية والجمع².

أما الجرمي³ فلم يكن بالأدنى درجة من المازني ، فقد لزم الأخفش وأخذ عنه كل ما عنده ، ويزعم بعض الرواة أنه هو وزميله المازني خشياً بعد وفاة سيبويه أن يدعي الكتاب لنفسه ، فعرض الجرمي - وكان موسراً - على أستاذه شيئاً من المال مقابل أن يقرأ هو والمازني عليه الكتاب ، فأجابهما إلى طلبهما ، فأخذوا الكتاب عنه وأشاعاه في الناس⁴ ، وهكذا يكون سيبويه مديناً للأخفش بحفظ كتابه ، وللجرمي والمازني بإشاعتها الكتاب

¹ - هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، بصري متسع في الرواية ، أخذ عن الأخفش وأبي زيد والأصمعي وغيرهم ، قال عنه المبرد لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان " ، للمازني كتاب في التصريف ، توفي سنة 230هـ . ينظر :

- الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدياء تحقيق : إبراهيم السامرائي ، ص 140

² - ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق : مازن المبارك ، دار الفكر ، بيروت 1426هـ ، ص 485،

³ - هو أبو عمرو صالح بن اسحق الجرمي ، أخذ عن الأخفش ولقي يونس بن حبيب ، كما أخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي ، كان ذا دين وأخا ورع توفي عام 225هـ . ينظر :

السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 84

⁴ - الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدياء ، ص 114 وما بعدها

بين الناس . وكان الجرمي دقيق الفكر قوي الحجة عالي الصوت في مناظراته ، حتى سمي بالنبَّاج أي شديد الصياح ، وهو الذي لقي الفراء الكوفي فناظره وأفحمه ، ومما يدل على ألمعيته وغازاة علمه أنه كثيرا ما يستقل برأيه ، فيخالف بذلك أستاذه ، فمثلا كان يذهب إلى أن إعراب المثني والجمع المذكر ليس لفظيا كما ذهب سيبويه ، ولا مقدرا كما ذهب الأَخْفَشِ ، إنما هو معنوي¹ ، وكذلك الأمر في الأسماء الخمسة ، إذ قال إن إعرابها إنما هو بالتغير والانقلاب من الواو إلى الألف والياء في حالتي النصب والجر ، وبعدم هذا الانقلاب في حالة الرفع² ، فالجرمي والمازني إذن من أبرز تلاميذ الأَخْفَشِ وبهما ازدهر النحو البصري واشتد عوده ، الأول بمناظراته وحججه ، والثاني بغازاة علمه .

ولم يتتلمذ على الأَخْفَشِ هذان العلمان فحسب ، بل تتلمذ عليه آخرون ، غير أن صيتهم في النحو لم يبرز بروزه في الرواية واللغة ، من هؤلاء :

أبو حاتم السجستاني³ الذي كتب عن الأصمعي كل ما سمع ، وقرأ كتاب سيبويه على الأَخْفَشِ مرتين ، غير أنه في النهاية طعن في خلق الأَخْفَشِ وفي علمه .

ومنهم أبو الفضل العباس الرياشي⁴ (ت257هـ) ، الذي قيل عنه إن أهل البصرة إذا اختلفوا في شيء قالوا ما قال فيه أبو الفضل ، فانقادوا لقوله أو روايته . ومنهم أبو جعفر اليزيدي (ت201هـ)⁵ الذي عرض على الأَخْفَشِ كتابه " معاني القرآن " ، وكذلك الزيادي (ت249هـ) وغيرهما .

¹ - أبو البركات بن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، ج 1 ص 35

² - السيوطي ، همع الهوامع ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د،ت) ج 1، ص 137

³ - هو أبو حاتم سهل بن محمد ، كان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ، كان عالما باللغة والشعر ، حسن العلم بالعروض ولم يكن بالحاذق في النحو . ينظر :

- السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 102

⁴ - هو أبو الفضل العباس بن الفرغ الرياشي ، كان عالما باللغة والشعر ، كثير الرواية عن الأصمعي ، كما حدث عن الأَخْفَشِ حتى قيل : " كان المازني في الإعراب وأبو حاتم في الشعر والرواية ، وكان الرياشي في الجميع . ينظر :

السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 98

⁵ - هو أبو اسحق إبراهيم بن سفيان الزيادي ، أخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي والأَخْفَشِ . ينظر :

السيوطي ، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، ج 2 ، ص 445

ومع هؤلاء ، لا يمكن أن ينسى إمام الكوفيين " الكسائي " (ت189هـ)¹ الذي صنف هو الآخر كتابا في معاني القرآن ، أفاد فيه من كتاب " معاني القرآن " للأخفش .
إنّ تعدد اهتمامات تلاميذ الأخفش يدل بلا ريب على سعة علمه فمن تلاميذه - كما أسلفنا - النحوي والراوية والجامع بينهما ، ولذلك تعددت مصنفات أبي الحسن ، فكتب في النحو والغريب واللغة والعروض والتفسير . وقد أشارت كتب الطبقات إلى ما يناهز سبعة عشر كتابا² .

فما ألفه في النحو :

- الأوسط في النحو
- المقاييس في النحو
- المسائل الصغير و المسائل الكبير .

ومنها ما هو في اللغة والغريب ، مثل :

- كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها
- كتاب غريب الحديث .
- كتاب الاشتقاق

أما في العروض فصنف :

- كتاب العروض وإليه يعزى بحر الخبب الذي استدركه على الخليل .
- كتاب القوافي .

ومنها ما هو في القرآن وعلومه مثل :

- معاني القرآن
- الواحد والجمع في القرآن
- وقف التمام

¹ - هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي ، أحد القراء السبعة ، كان إماما في النحو واللغة والقراءات ، توفي عام 189هـ ينظر : - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 3 ، ص 295

² - ينظر على سبيل المثال :

ابن النديم ، الفهرست ، 1 / 77 و ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 2 / 381

- هذه أشهر كتب الأخفش الأوسط وهي مفقودة في معظمها ليس منها إلا أربعة¹ وهي:
- 1 - القوافي : وقد حققه أول مرة د. عزت حسن وطبع في دمشق سنة 1970م ، وحققه للمرة الثانية الأستاذ أحمد راتب النفاخ وطبع في دمشق أيضا سنة 1974 .
 - 2 - العروض : وهو مطبوع بتحقيق الدكتور أحمد عبد الدايم ، ط1 ، 1985.²
 - 3 - شرح أبيات المعايه ومنه نسخة في أربعة أوراق في مكتبة الفاتيكان تحت رقم 977 ، هذا ما أشار إليه بروكلمان ، وقد ذهب مذهبه الدكتور أمين الورد الذي قرر بأنها نسخة منقوصة لقله أوراقها ، أما الدكتور فايز فارس وبعد اطلاعه على المخطوطة فقد اكتشف أنها ليست كتاب الأخفش المقصود ، إذ ليس فيها ما يشير إلى أن هذه المخطوطة هي للأخفش حقا ، لذلك فكتاب " المعايه " لصاحبه أبي الحسن الأخفش لا يزال مفقودا³ .
 - 4 - معاني القرآن ، وهو الكتاب موضوع الدراسة . حققه أول مرة : د . فايز فارس ، ونشر بالكويت 1979 ، ثم د . محمد أمين الورد ونشر ببيروت سنة 1985 ، وأخيرا د . هدى قراعة ونشر بالقاهرة سنة 1990 .

كتاب " معاني القرآن " للأخفش الأوسط

كتاب " معاني القرآن " للأخفش الأوسط ينتمي إلى ما يعرف بالتفسير اللغوية ، حيث يعتمد المصنف فيه أساسا على كلام العرب ، ومن ثم فهو ذو فائدة جمة من هذا الجانب جانب اللغة العربية .

ولم يكن الأخفش أول من ألف في معاني القرآن بل سبقه إلى ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210 هـ) في كتابه " مجاز القرآن " ، وقد ذهب أبو حاتم السجستاني إلى أن كتاب الأخفش ملفق من كتاب أبي عبيدة المذكور⁴ ، وممن ألف في معاني القرآن قطرب (ت206 هـ) ، وكذلك الكسائي والفراء ، جاء في الأخبار أن الكسائي هو الذي كلف

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، مقدمة التحقيق ، ص13

² - حسن عربود ، موافقة الأخفش للكوفيين في معاني القرآن ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د.ت) ص 20

³ - معاني القرآن للأخفش ، تحقيق فايز فارس ، مقدمة التحقيق ، ص 47

⁴ - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 74 ، 75

الأخفش بأن يؤلف له كتابا في معاني القرآن ، فجعل من هذا المصنّف إماما ، وعمل عليه كتابا في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما¹.

و" معاني القرآن " من الكتب الأربعة التي نجت من غوائل الزمن ، غير أنه لا توجد منه اليوم إلا نسخة واحدة مخطوطة في المكتبة الرضوية في مشهد بإيران ، وعليها وعلى ما صُوّر منها اعتمد محققو الكتاب في طبعاته المتلاحقة . وأهمية الكتاب غنية عن البيان ، فإذا كان معاصرو الأخفش قد اعتنوا بالكتاب واغترفوا منه ما شاء لهم أن يغترفوا ، فكيف بأجيال اليوم التي هي بحاجة إلى علم بالعربية يصدر عن واحد من كبار أئمتها ، ألا وهو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي .

والآن ، ماذا كان صنيع الأخفش في كتابه ؟ وما هي المميزات التي تميزه عن كتب التفسير السابقة واللاحقة ، وعن كتب المعاني التي شاطرته العنوان ؟

الكتاب - كما أسلفنا - كتاب لغة أكثر مما هو كتاب تفسير ، بمعنى أن الفوائد التي يجنيها متصفح فوائده لغوية أكثر مما هي فوائده تتعلق بمعاني الآيات ودلالاتها ، وسنتبين الأمر جليا عند استعراض طريقة الأخفش في عرض كتابه ، هذه الطريقة التي تتحدد سماتها في ما يأتي :

1 - تناول الأخفش السور القرآنية مرتبة كما وردت في المصحف الشريف ، باستثناء سورة " القدر " التي سبقت سورة " العلق " كما أنه اعتمد أسماء أخرى لبعض السور القرآنية ، هذه الأسماء غير متداولة في المصاحف اليوم ، وقد بلغ عددها أربعاً وعشرين سورة ، هي مبينة في الجدول الآتي :

¹ - المصدر نفسه ، ص 70

رقم السورة	اسم السورة في المصحف المتداول	اسم السورة في " معاني القرآن " للأخفش
9	التوبة	براءة
17	الاسراء	بني إسرائيل
35	فاطر	الملائكة
40	غافر	حم المؤمن
41	فصلت	السجدة
42	الشورى	حم عسق
43	الزخرف	حم الزخرف
44	الدخان	حم الدخان
54	القمر	اقتربت
67	الملك	تبارك
68	القلم	ن والقلم
70	المعارج	سأل سائل
76	الإنسان	هل أتى على الإنسان
78	النبأ	عم يتساءلون
81	التكوير	إذا الشمس كورت
82	الانفطار	إذا السماء انفطرت
84	الانشقاق	إذا السماء انشقت
85	البروج	والسما ذات البروج
90	البلد	لا أقسم بهذا البلد
91	الشمس	والشمس وضحاها
92	الليل	والليل إذا يغشى
96	العلق	اقرأ باسم ربك
99	الزلزلة	إذا زلزلت
107	الماعون	أرأيت

2 - تناول الأخفش السور القصيرة من الماعون إلى الناس جملة واحدة ولم يسمها عند التفسير، حيث بدأ سورة الماعون بقوله: "ومن سورة رأيت إلى آخر القرآن ..."

3 - أغفل الأخفش تفسير سور كاملة من قصار المفصل، إما لأنه لم يجد فيها ما يستحق التوقف عنده أو أنه اكتفى بالإشارة إلى بعض آياتها في مواضع أخرى من القرآن الكريم¹، هذه السور هي: الطارق، الأعلى، الضحى، الشرح، البيئ، التكاثر، العصر، قريش.

4 - لم يشتمل الكتاب على تفسير القرآن الكريم آية آية، إنما كان المصنف يتجاوز بعض الآيات لوضوح معناها، أو لكونها لا تتضمن ظاهرة لغوية تلفت النظر²، ولا يتعلق الأمر أحيانا بالآية كاملة، إذ ربما تجاوز بعض آية وهذا كثير في الكتاب، من ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى:

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ الأنبياء 63

جاء في معاني القرآن: ...

" وقال: ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾، فذكر الأصنام وهي من الموات لأنها كانت عندهم ممن يعقل أو ينطق"³.

وقد يتجاوز الأخفش وسط الآية، كما في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَنادتُ الملائكةَ وهو قائمٌ يصلي في المحراب أن الله يبشرك ﴾ آل عمران 39

جاء في معاني القرآن:

" وقال تعالى: ﴿ فَنادتُ الملائكةَ ... إن الله يبشرك ﴾، لأنه كأنه قال: نادته الملائكة فقالت: إن الله يبشرك، وما بعد القول حكاية"⁴.

5- وجود اضطراب في النص القرآني نفسه أحيانا، وهذا في النسخة الأصل وقد تداركه المحققون وردت الأمور إلى نصابها، من أمثلة ذلك الخلط الذي يقع لبعض الآيات، مثل ما جاء في تفسير قوله تعالى:

¹ - الأخفش، معاني القرآن، تحقيق: فايز فارس، ج 2، ص: 536، 542، 544

² - المصدر نفسه، مقدمة التحقيق ص 62، 63، 64، 65، 66

³ - المصدر نفسه، ج 2، ص 411

⁴ - المصدر نفسه، ج 2، ص 201، 202.

﴿ فَازَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ البقرة 36

جاء في معاني القرآن النص الآتي : " اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو " ¹ وهو في الحقيقة جمع بين آيتين : أولاهما الآية سالفة الذكر من سورة البقرة وثانيتها الآية الثامنة والثلاثين من السورة نفسها ، وهي قوله تعالى :
﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

ومثل هذا تردد في سور أخرى كالأنعام والأعراف والتوبة والنحل ويس .

6 - مما يدل على غلبة الجانب اللغوي النحوي في الكتاب ، فإن الأخفش قدم تفسير سورة البقرة في شكل أبواب نحوية ، فتراه يقول : باب التمييز ، باب الاستثناء ، باب اسم الفاعل ...

7 - لقيت سورة البقرة وما بعدها من سور الربع الأول عناية خاصة من المؤلف ، كأنه حقق هدفه من الكتاب في هذا الربع ثم تجنب التكرار واعتمد الإيجاز بعد ذلك .

¹ - الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، هامش الصفحة 67

المبحث الثاني: الفراء وكتابه " معاني القرآن "

أبو زكريا الفراء

اسمه ، نسبه ، لقبه

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي ، مولى بني أسد وقيل مولى بني منقر من بني تميم.¹

لقب أبو زكريا يحيى بن زياد بـ " الفراء " ، ولم يكن الأوحى في هذا اللقب ، فكتب الطبقات والتراجم زاخرة بأسماء كثيرة لشخصيات لقت بهذا اللقب² .

والفراء ، من يخيط الفراء أو يبيعهها - كما يتبادر إلى الذهن - كبزاز وعطار وخرّاز ، وإنما قيل له " فراء " ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعهها ، لأنه كان يفري الكلام³ ، وقال بعضهم : سمي الفراء لقطعه الخصوم بالمسائل التي يُعْنَتُ بها ، من قولهم : قد فرى إذا قطع .⁴

يتبين مما سبق أن لقب الفراء لا صلة له بالحرفة المعروفة ، إنما جاء من القطع والبث في المسائل ، ومنه حديث الرسول ﷺ في رؤياه عندما وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : " لم أر عبقرياً في الناس يفري فريه " أي لم أر سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه ، ومنه حديث حسان بن ثابت " ... لأفريئهم فري الأديم ... " ، أي لأقطعنهم بالهجاء كما يقطع الأديم⁵ .

¹ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 6 ، ص 176

² - على سبيل المثال ، ينظر :

- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 11 / 140 ، 12 / 606 ، 15 / 305 ، 17 / 476

- البغدادي ، تاريخ بغداد ، 1 / 404 ، 2 / 368 ، 3 / 31 ، 5 / 204 ، 6 / 26 ، 7 / 203

³ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 6 ، ص 180

⁴ - محمد بن القاسم الأنباري ، كتاب الأضداد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت

1407 / 1987 ، ص 159 .

⁵ - النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1392 هـ ، ط 2 ،

ج 15 ، ص 162 .

مولده :

لعل " الفراء " من القلائل الذين التفت إلى تاريخ ميلادهم ، إمّا بالتصريح أو التلميح ، والتلميح معناه أن يذكر تاريخ الوفاة مع الإشارة إلى عمر المتوفي ، وهو ما فعله البغدادي عندما قال : " بلغني أن الفراء مات ببغداد في سنة سبع ومائتين وقد بلغ ثلاثا وستين سنة " ¹ ، وكذلك السيوطي الذي سلك نفس المسلك ، غير أنه حدد العمر عند الوفاة بسبع وستين سنة ² .

أما من اعتمد التصريح بتاريخ الميلاد ، فابن خلكان الذي ذكر أن ولادة الفراء كانت سنة أربع وأربعين ومائة ³ .

وهكذا يصبح الاحتمال الأقوى ، هو أن تاريخ الميلاد كان سنة أربع وأربعين ومائة ، وهي رواية البغدادي مدعومة برواية ابن خلكان ، ولا يوهن من هذه الرواية ما ذكره السيوطي ، لأن البغدادي أقرب إلى عصر الفراء بكثير من السيوطي .

مذهبه

عاش الفراء في زمن كان علم الكلام فيه قد خطا خطوات واسعة ، وكان بينه وبين ثمامة بن الأشرس أحد أئمة المعتزلة صحبة ، وقد بدأت بينهما يوم عزم الفراء على الاتصال بالمأمون ، واختلف إلى بابه ، فلقية ثمامة أحد المقربين من المأمون ، يقول ثمامة عن الفراء :

" فرأيت أبهة أديب ، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً ، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيها عارفا باختلاف القوم ، وبالنحو ماهراً ، وبالطب خبيراً ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً ، فقلت : من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء ! فقال : أنا هو . فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون ، فأمر بإحضاره ، وكان سبب اتصاله به " ⁴

¹ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، 14 / 154

² - السيوطي ، المزهري ، 2 / 463

³ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 6 / 181

⁴ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 14 ، ص 151

نستنتج من هذه القصة أمرين اثنين :

أولهما : سمو القيمة العلمية للفراء فقد كان عالما بارعا فذاً في عصره .

ثانيهما : ثبوت الصلة بينه وبين المأمون ، هذا الخليفة الذي قرب المعتزلة وأعلى شأنهم ، وقد كان المشجع الأكبر للفراء على إنجاز بعض من تصانيفه .

وعلى الرغم من حصول هذه العلاقة بين المأمون والفراء التي تثبت اعتزالية أبي زكريا ، إلا أن ذلك لم يمنعه من مخالفتهم في بعض ما تناولوه من مشكلات في العقائد كالقول بخلق القرآن ، والقول في تفسير إعجازه ، فقد كان الفراء يشايح أهل السنة في القول بالإعجاز اللغوي وأن إعجازه يقوم على أنه نزل بأفصح اللغات على الإطلاق¹. وقد دافع عن هذا الرأي دفاعاً حاراً ضد منكريه من المعتزلة² ، ولذلك قيل عنه إنه كان يحب الكلام ولا يميل إلى الاعتزال ، بل كان متديناً متورعاً على تيه وعجب وتعظم³.

ومجمل القول في عقيدة الفراء ، فهو ، وإن كان سنياً ، إلا أن علاقته بالمأمون وثمانية بن الأشرس وبالأخفش الأوسط كان لها أثرها في تفكيره ، فليس غريباً أن نجد بصمات الفكر المعتزلي في كتابه " معاني القرآن " ولنضرب لذلك المثال الآتي :

من أفكار المعتزلة في القضاء والقدر أن الإنسان له كامل الحرية في الإرادة والاختيار ولا دخل للقضاء والقدر في ما يصنع ولذلك سموا بالقدرية⁴، غير أن المعتزلة قلبوا لقب القدرية وأطلقوه على أهل السنة ، وسموا أنفسهم أهل التوحيد ، يقول الفراء في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ نوح 4

" مسمى عندكم تعرفونه لا يميتمكم غرقاً ولا حرقاً ولا قتلاً ، وليس في هذا حجة لأهل القدر لأنه إنما أراد مسمى عندكم ."⁵

¹ - مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر ط2 ، 1377هـ / 1958 م . ص 136 ، 137

² - أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة ، القاهرة ، 1964 ، ص 85

³ - طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومفتاح السيادة ، ج1 ، ص 166 ، 167

⁴ - الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط 1 ، 1980

، ج1 ص 43

⁵ - الفراء ، معاني القرآن ، 3 / 187

فالفراء في الآية يرد على أهل القدر يعني أهل السنة القائلين بأن الإنسان يصير إلى الأجل الذي رسمه له الحق سبحانه ففي رأيه أن هذا الأجل معروف معلوم لدى الإنسان .

مواهبه وقدراته :

كان الفراء - كما وصفه - ثمامة بن الأشرس بحرا ونسيج وحده ، وهذا ليس بالغريب عن رجل رزق حافظة قوية ، فكان لا يكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناء بحفظه ، قال ثعلب : " لما مات الفراء لم يوجد له إلا رؤوس أسفاط فيها مسائل تذكرة وأبيات شعر " ، وقد قيل إن الفراء أمل كتبه كلها حفظا لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين ، قال أبو بكر بن الأنباري (ت328) ومقدار الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة .¹

وعبقرية الفراء لا تظهر في قوة ذاكرته فحسب بل في ذكائه الوقاد ، فقد ذكر أن الفراء كان جالسا يوما عند محمد بن الحسن الفقيه ، فقال الفراء : " قلّ رجل أمعن النظر في باب من العلم فأراد غيره إلا سهل عليه " فقال له محمد : " يا أبا زكريا ، فأنت الآن قد أنعمت النظر في العربية فنسألك على باب من الفقه " قال : " هات " قال : " ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدي السهو فسها فيهما ؟ " ففكر الفراء ساعة ، ثم قال : " لا شيء عليه " قال له محمد : " ولم ؟ " قال : " لأن التصغير عندنا لا تصغير له ، وإنما السجدتان إتمام الصلاة فليس للتمام تمام . " فقال محمد بن الحسن : " ما ظننت آدميا يلد مثلك ."²

إن هذه المواهب والقدرات الخارقة التي حظي بها الفراء هي التي جعلت منه عبقرى عصره وفريد زمانه ، خاصة وأنه نشأ في بيئة علمية تنوعت فيها الثقافات وازدهرت العلوم .

ثقافته

كان الفراء موسوعي الثقافة إذ استطاع أن يلم بعلوم عصره وشهادة ثمامة بن الأشرس - السابقة - خير دليل على ذلك ، فقد كان أبو زكريا عارفا بالفقه ، خبيرا بالطب حاذقا

¹ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج14 ، ص153

² - المصدر السابق ، 14 / 152

بالتاريخ ، ناهيك عن تبحره في اللغة والنحو ، وفيهما كانت شهرته ، ولا جرم أن يكون له ذلك إذ كان قد تتلمذ على شيوخ هم أعلام عصره ، فقد تتلمذ على يد أبي جعفر الرؤاسي (ت175هـ) الذي كان أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو¹ ، كما اتصل بيونس بن حبيب (ت182هـ) وهو من مشاهير علماء البصرة ، تصدر للتدريس في مجلس الخليل (ت172هـ) بعد وفاته ، كان يؤم حلقة طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية ، وهو نحوي بارز له قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها² ، ويظهر من الأخبار المتفرقة أن الفراء تردد على البصرة كثيرا يطلب العلم ويجلس إلى شيوخها ، حتى إذا تم له ذلك وبلغ ذروة التحصيل عاد إلى الكوفة وتصدى للتدريس بعد الكسائي (ت189هـ) ، وإذا كان الفراء والكسائي قد نهلا معا من النحو البصري ، وقبلهما الرؤاسي ، إلا أن النحو الكوفي لم يشهد عوده إلا على يد الفراء ، حيث وضع الكسائي المنهج ومضى الفراء بعد الكسائي في هذا المنهج ، فعقله أدق وأخصب ، إذ كان متقفا ثقافة كلامية فلسفية ، وكانت قدرته فائقة في الاستنباط والتحليل والتركيب ، واستخراج القواعد والأقيسة .

تخرج على يد الفراء ثلثة من الطلبة كانوا من دعائم المذهب الكوفي في النحو ، من هؤلاء :

سلمة بن عاصم ويكنى أبا محمد ، ثقة راوية ، عالم بالنحو ، روى عن الفراء كتبه كلها وكان لا يفارقه³ .

ومنهم أبو عبد الله الطوال (ت243هـ) ، قال ثعلب عنه وعن سلمة بن عاصم :

" كان الطوال حاذقا بالعربية ، وكان سلمة حافظا لتأدية ما في الكتب ."⁴

ومنهم أيضا محمد بن قادم (ت251هـ) الذي كان حسن النظر في العلل⁵ .

وممن قيل بأنهم أخذوا عن الفراء : ابن السكيت وابن سعدان ، غير أن هذين لم يكونا بنفس مستوى الثلاثة السابقين ، فابن السكيت (ت244هـ) كان إماما من أئمة اللغة ،

¹ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 96

² - المصدر نفسه ، ص 62

³ - نفسه ، ص 101

⁴ - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 137

⁵ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 100

روى عن الأصمعي وأبي عبيدة والفراء وجماعة غيرهم ، من أشهر كتبه " إصلاح المنطق " " وله كذلك : كتاب الألفاظ ، وكتاب في معاني الشعر ، غير أنه لم يكن له نفاذ في النحو .¹

وأما ابن سعدان (ت231هـ) فقد كان له باع في القراءة وعلم بالنحو ، قال عنه ابن النديم : " وله من الكتب كتاب القراءة ، وكتاب مختصر النحو ، وله قطعة حدود على مثال حدود الفراء ، لا يرغب الناس فيها ."²

ولا ينبغي أن ننسى ههنا أبا عبد الله محمد بن الجهم السمرّي (ت277هـ) فهذا وإن لم يعرف عنه أنه نقل إلى الناس علم الفراء وتبحر فيه ، إلا أن مكانته تظهر في أنه الراوي الأوحد لكتاب : " معاني القرآن " في نسخته المتداولة اليوم ، بل إنه روى جميع تصانيف الفراء .³

وفاته :

توفي الفراء عام 207 هـ على الأرجح عند معظم المؤرخين ، عن عمر يناهز ثلاثا وستين سنة ، وقيل إن وفاته كانت في الطريق ، عائدا من مكة ، بعد أداء فريضة الحج .⁴

آثاره

ولم يكن علم الفراء بارزا في من تتلمذوا على يديه ، إنما كان مسجلا في مصنفاته التي بلغت العشرين مصنفا بل أكثر كما أشارت إلى ذلك كتب الطبقات والتراجم ،⁵ وعلى الرغم من سعة ثقافة الفراء إلا أن مصنفاته لا تعكس هذه الثقافة الواسعة ، فكلها

¹ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 6 / 395

² - ابن النديم ، الفهرست ، 104

³ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، 2 / 161

⁴ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 6 / 176 و البغدادي ، تاريخ بغداد ، 14 / 149

⁵ - ينظر على سبيل المثال : ابن النديم ، الفهرست 1 / 98 - ابن خلكان ، وفيات الأعيان 6 / 181

تدور في فلك اللغة والنحو وبعض الدراسات القرآنية ، وأغلب هذه الكتب مفقود ، لم يصلنا منها إلا أربعة¹ هي :

كتاب الأيام والليالي : وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1956 م

المذكر والمؤنث : وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا ، المطبعة العلمية ، حلب ، 1345 هـ

المقصود والممدود : وهو مطبوع بالهند سنة 1967 ، حققه الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجاوتي ، مصرحا في المقدمة أن الأصل في تسميته هو المنقوص والممدود ، - و بها نُشر - وليس المقصود والممدود² ، ثم طبعته بعد ذلك دار المعارف بمصر طبعت عدّة .

الفاخر في الأمثال : وقد قال بوجوده محققا كتاب معاني القرآن (الأستاذان محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي) على أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة الفاتح باستنبول رقم 4009 ، وهذا بناءً على ما ذكره بروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربي " غير أن توثيق الدكتور أحمد مكي الأنصاري للمخطوطة أثبت أن الكتاب للمفضل بن سلمة بن عاصم صاحب الفراء ، وليس لأبي زكريا الفراء نفسه إذ لا يزال كتاب الفاخر للفراء - والذي ذكرته كتب التراجم - لا يزال مفقوداً³ .

معاني القرآن : وسيأتي الحديث عنه مفصلاً .

أما المفقود منها فكثير ، نكتفي منه بذكر المشهور⁴ في كتب التراجم والطبقات، من ذلك :

آلة الكتاب

الحدود

البهاء أو البهي

الجمع والتنثنية في القرآن

¹ - مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو ، ص 205 وما بعدها

² - الفراء ، المنقوص والممدود ، تحقيق: عبد العزيز الراجاوتي ، دار المعارف ، ط3 ، مقدمة التحقيق ، ص 6

³ - أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص 188

⁴ - الفراء ، معاني القرآن ، تحقيق : محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، مقدمة التحقيق ، ص 11

فعل وأفعل

اللغات أو لغات القرآن

المصادر في القرآن

النوادر

الوقف والابتداء

اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف

المشكل الصغير

المشكل الكبير .

والجدير بالذكر أن أغلب كتب الفراء إنما هي أماليه على تلاميذه ، فهؤلاء هم الذين تولوا جمع مادة الكتاب ثم روايته بعد ذلك¹ ، كما أن من كتبه من أملاه تلبية لطلبات خاصة كـ " كتاب البهي " ، الذي صنفه بطلب من عبد الله بن طاهر بن الحسين قائد الخليفة المأمون ، عندما لاحظ هذا القائد اللحن المتفشي على ألسنة العوام² ، وهو الكتاب الذي قيل إنه الأصل لكتاب " الفصيح " لثعلب³ .

و " كتاب الحدود " ، الذي ذكر أن المأمون حثه على تأليف كتاب يجمع أصول النحو ، ووفر له كل ما يحتاجه ، وصير له جماعة من الوراقين يملي عليهم هذا الكتاب⁴ ، أما كتاب " معاني القرآن " فقد ألفه الفراء لعمر بن بكير في أربعة أجزاء⁵ ، وهو الكتاب الذي لنا معه هذه الوقفة .

¹ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 99

² - المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، ص 195

³ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ج6 ، ص 181

⁴ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 14 ، ص 149

⁵ - ابن النديم ، الفهرست ، ص 98

كتاب " معاني القرآن " للفراء

التسمية

لم يكن أبو زكريا الفراء الأول ، أو الأوحد ، أو الآخر ، الذي ألف كتابا بهذا العنوان ، إنما صنع ذلك كثيرون ، حصرهم صاحب كشف الظنون في ستة عشر مؤلفا ، منهم : الكسائي (ت189هـ) ، قطرب (ت206هـ) ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ) ، الأخفش الأوسط (ت211هـ) ، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) الزجاج (ت310هـ) ¹... وللاشارة فإن الفراء استفاد مما ألفه السابقون وأفاد هو من جاء بعده ، يقول الخطيب البغدادي أثناء حديثه عن " معاني القرآن " لأبي عبيد بن سلام والذي ألف بعد الفراء : " ... وذلك أنّ أول من صنف في ذلك - أي في معاني القرآن - من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ثم قطرب بن المستنير ثم الأخفش ، وصنف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء ، فجمع أبو عبيد من كتبهم ، وجاء فيه بالآثار وأسانيدها ، وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء . " ²

ولنا هنا أن نستنتج أمرا آخر وهو أن " معاني القرآن " في هذا العصر هو مجال بحث أكثر منه عنوان محدد لكتاب ، فلا نجد في كتاب الفراء ، ما يشير إلى أن المصنف قصد هذا العنوان بالذات ، ولا حدّد هدف الكتاب بدقّة .
جاء في مفتاح الكتاب :

قال (الراوي) : " سمعت أبا عبد الله محمد بن الجهم ، قال : هذا كتاب فيه معاني القرآن أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - رحمه الله - من حفظه من غير نسخة. " وفي موضع آخر يقول راوي الكتاب ، قال : " حدثنا محمد بن الجهم ، قال ، حدثنا الفراء ، قال : تفسير مشكل اعراب القرآن ومعانيه ، قال ، فأول ذلك اجتماع الفراء وكتّاب المصاحف على حذف الألف من بسم الله الرحمن الرحيم . " ³

دواعي التأليف :

¹ - حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق : إبراهيم الزبيق ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، ط1 ، 1413هـ / 1992م ، ج 2 ص 1730

² - البغدادي ، تاريخ بغداد ج 12 ، ص 405

³ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 1

سبق القول بأن للفراء كتباً صنفها من أجل أشخاص بعينهم ، من هذه الكتب : كتاب " معاني القرآن " الذي صنفه استجابة لطلب عمر بن بكير¹ ، قال أبو العباس ثعلب : " كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه ، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل² ، فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن ، فلا يحضرني فيه جواب ، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً فعلت ، فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أمل عليكم كتاباً في القرآن ، وجعل لهم يوماً...³"

وجاء في بداية الكتاب على لسان الراوي أبي عبد الله محمد بن الجهم بن هارون السمرى : " هذا كتاب فيه معاني القرآن ، أملاه علينا أبو زكريا بن زياد الفراء - يرحمه الله - عن حفظه من غير نسخة في مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاء والجمع في شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين ، وفي شهر سنة ثلاث وشهور من سنة أربع ومائتين " .

نستخلص من النصين السابقين ما يأتي :

إن الدافع إلى التأليف لم يكن ذاتياً من قبل الفراء إنما كان استجابة لطلب عمر بن بكير الذي احتاج إلى استكمال ثقافته القرآنية عندما كان يسأله الأمير الحسن بن سهل فيعجز عن الإجابة .

نية الفراء في البداية كانت إنجاز كتاب في القرآن دون أن يحدد الجانب الذي يتناول من خلاله القرآن ، وهذا على غرار ما كان سائداً في ذلك العصر .

ثبت أن الفراء لم يسم كتابه هذا معاني القرآن ، إنما جاء على لسان الجهم بن هارون بأنه " كتاب فيه معاني القرآن " ، فالتسمية إذاً من عمل الرواة ، كما أن لتلاميذ الفراء أثراً على الكتاب ، يقول محمد بن الجهم السمرى : " كان الفراء يخرج إلينا

¹ - عمر بن بكير ، "كان نحوياً إخبارياً ، رواية ، نسابة ، وله عمل الفراء كتاب معاني القرآن ، وله من الكتب كتاب يوم الغول ، يوم الظهر ، يوم أرمم ، يوم الكوفة " ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، 1/ 156

² - هو أبو محمد ، الحسن بن سهل بن عبد الله ، كانت له مواقف مع المأمون ، جعلت المأمون يجعله من خاصته ويستوزره ، كان الحسن كريماً معطاءً ، توفي سنة 236 هـ .

ينظر : البغدادي ، تاريخ بغداد ، 7 / 319

³ - المصدر نفسه ، 1 / 98

وقد لبس ثيابه في المسجد الذي في خندق عبوية وعلى رأسه قلنسوة كبيرة ، فيقرأ أبو طلحة الناقل عشرًا من القرآن ، ثم يقول له : أمسك فيملي من حفظه المجلس ، ثم يجيء سلمة - أحد تلاميذ الفراء - بعد أن ننصرف نحن فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه ويغير ويزيد وينقص ، فمن هنا وقع الاختلاف بين النسختين¹ والملاحظ أنه ليس بين أيدينا اليوم غير نسخة محمد بن الجهم .

عرض الكتاب

قبل أن نقدم صورة تعبر عن مضمون الكتاب وطريقة التصنيف التي اعتمدها الفراء ، لابد من الإشارة إلى أن كتاب "معاني القرآن" من كتب الفراء التي نجت من غوائل الزمن ، ومنه نسخ عدة في تركيا وبرلين ومصر ، ذكرها مفصلة بأرقامها الدكتور أحمد مكي الأنصاري² ، ثم أردف بعد ذلك يسرد قصة طبع الكتاب ، يقول : " ... وأخيرا دار الفلك دورته وقدر لكتاب المعاني أن يرى النور لأول مرة في تاريخ المطابع - أو بعبارة أدق لبعض كتاب المعاني - فعرضت دار الكتب لإخراجه وتحقيقه ونهض بهذا العبء أستاذان جليلان فأخرجوا الجزء الأول فقط وينتهي بانتهاء سورة يونس سنة 1955 ، ومنذ ذلك الحين توقف العمل لسبب أو لآخر ، وما يزال باقي " المعاني " يدعو العاملين للإسهام في إخراجه ، وعسى أن يوفقوا للنهوض بهذا العبء الثقيل فيكملوا هذا السفر الجليل ، وأشهد أن تحقيق هذا الكتاب بحاجة كبيرة إلى تضافر الجهود لأن صاحبه (الفراء) يتمتع بعقلية تجهد السائرين معه ، لما توافر لديه من تعمق وإحاطة وشمول وتنوع في جميع الأفانين التي عرفها ذلك العهد³ .

ثم يذكر الدكتور الأنصاري بعد ذلك في هامش الصفحة نفسها أن الكتاب أسند من جديد رسميا إلى الأستاذ الفاضل محمد علي النجار ، أما زميله الأستاذ أحمد يوسف نجاتي فقد اختاره الله إلى جواره الكريم .

وهكذا بقي كتاب " معاني القرآن " للفراء بتحقيق الأستاذين الفاضلين هو النسخة المعتمدة والمتداولة اليوم ، وعلى الرغم من الجهد العظيم الذي بذله الأستاذان الجليلان

¹ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 14 ، ص 152 ، 153

² - أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، ص 272 ، 273

³ - المرجع نفسه ، ص 273 ، 274

في إخراج الكتاب للناس ، إلا أن " معاني القرآن " للفراء لا يزال بحاجة إلى تحقيق شامل ووافٍ وعميق .

هذا وقد ظهرت حديثاً نسخة أخرى بعنوان : " مشكل إعراب القرآن ومعانيه " للفراء ، تحقيق : محمد بن عيد الشعباني ، إشراف الشيخ : جمال الدين محمد شرف ، نشر دار الصحابة للتراث ، ط1 ، عام 2006 ، غير أن هذه النسخة الأخيرة ليست من الأولى في شيء ، لافتقارها إلى أبسط قواعد التحقيق .

والآن : ما مضمون كتاب المعاني ؟ وما طريقة الفراء في تأليفه ؟

لا نجانب الصواب إذا قلنا إن " معاني القرآن " للفراء كتاب في اللغة والنحو أكثر منه كتاب تفسير - بالمفهوم الشائع اليوم - ، فالباحث عن معاني الآيات ودلالاتها قد لا يجد ضالته ، وإن وجدها فهي غرقى في التحاليل اللغوية والشروح النحوية . ولهذا كان للكتاب جملة مميزات نوردها في الآتي :

1 - بحث الفراء في سور القرآن سورة سورة ، ابتداءً من الفاتحة حتى سورة الناس ، غير أنه خالف في تسمية بعض السور ما هو معروف الآن ، فأطلق الاسم الواحد على سورتين معاً :

فسورة السجدة هي سورتا السجدة وفصلت .

وسورة الفتح هي سورتا الفتح والنصر .

إضافة إلى إطلاق أسماء أخرى على سور تختلف عن أسمائها المشهورة بها اليوم ، كما يبينه الجدول الآتي :

رقم السورة	اسم السورة في المصحف المتداول	اسم السورة في "معاني القرآن" للفراء
1	الفاتحة	أم الكتاب
9	التوبة	براءة
17	الإسراء	بني إسرائيل
40	غافر	المؤمن
41	فصلت	السجدة
42	الشورى	عسق
65	الطلاق	النساء القصرى
66	التحريم	المحرّم
70	المعارج	سأل سائل
78	النبأ	عم يتساءلون
81	التكوير	إذا الشمس كورت
82	الانفطار	إذا السماء انفطرت
84	الانشقاق	إذا السماء انشقت
91	الشمس	الشمس وضحاها
94	الشرح	ألم نشرح
96	العلق	اقرأ باسم ربك
98	البيّنة	لم يكن
107	الماعون	الدين
110	النصر	الفتح
111	المسد	أبو لهب

2 - لم يتناول المصنف القرآن بسوره آية آية ، إنما كان ينتقي من السورة آيات يرى أنها جديرة بالتحليل لما فيها من مسائل في اللغة والنحو أو غيرهما .

3 - أغلب ما في الكتاب تحليل لظواهر لغوية تلفت النظر في النص الكريم ، وقليل ما يهتم الفراء بالجانب الدلالي للألفاظ أو للآية برمتها ، وهو في الحاليين إما أن يستعين بكلام العرب كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ البقرة 152

يقول الفراء : " العرب لاتكاد تقول : شكرتك ، إنما تقول : شكرت لك ، ونصحت لك ، ولا يقولون : نصحتك ، وربما قبلتا .

قال بعض الشعراء : ¹ (من الطويل)

هُم جَمَعُوا بُؤْسَى وَنُعْمَى عَلَيْكُمْ فَهَلَّا شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تَقَاتِلِ ²

أو أن يبحث في أسباب نزول الآية عندما يكون المعنى مرتبطا بذلك أشد الارتباط ، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ الجن 1

يقول الفراء : " ذكر أن الشياطين لما رجمت وحرست منها السماء ، قال إبليس : هذا نبي قد حدث ، فبث جنوده في الآفاق ، وبعث تسعة منهم من اليمن إلى مكة ، فأثوا النبي ﷺ وهو ببطن نخلة قائما يصلي ويتلو القرآن ، فأعجبهم ورقوا له ، وأسلموا ، فكان من قولهم ما قد قصه الله في هذه السورة . " ³ والأمثلة على ذلك كثيرة ⁴ .

4 - في الكتاب عناية واضحة بجوانب اللغة والنحو في القرآن الكريم ، ولذلك تختلف وقفات الفراء مع الآيات بحسب اشتغالها على هذا الجانب ، فتراه يمر بشكل عاجل عند آيات ، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ النساء 40 يقول الفراء : " ينصب الحسنة ويضمّر في (تك) اسم مرفوع ، وإن شئت رفعت الحسنة ولم تضمّر شيئاً ⁵ ، وهو مثل قوله تعالى :

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة 280

وفي المقابل فإنه يتوقف مليا عند آيات أخر ، مثل ما ورد في تفسير قوله تعالى :

¹ - الشاعر هو : عمرو بن لجأ التميمي . ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 1422 هـ / 2001 م ، 1 / 447

² - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 92

³ - نفسه ج 3 ، ص 190

⁴ - نفسه، ج 1 ص 69 و ج 2 ص 334 و ج 3 ص 70 ...

⁵ - نفسه ، ج 1 ، ص 269

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ آل عمران 20

يبحث الفراء في حكم اليباءات التي تنتهي بها الأفعال والأسماء ، ويورد مذاهب العرب في حذفها وإثباتها ويعلل لهذا وذاك ، وربما احتج بكلام العرب أو بالقرآن الكريم¹.

5 - للفراء عناية بالقراءات في كتابه ، فهو لا يكتفي بعرض الآية على وجه واحد من وجوه القراءة ، وإنما يذكر اختلاف القراء في قراءتها ، فتارة يشير إلى شيوع القراءة بقوله : " أكثر القراء على كذا " ² ، أو " اجتمع القراء على ... " ³

وتارة ينبه إلى إنفراد بعضهم بقراءة معينة ، مثال ذلك عند تناول قوله سبحانه :

﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ الفجر 18

يقول الفراء : " قرأ الأعمش وعاصم بالألف وفتح التاء ، وقرأ أهل المدينة :

(ولا تحضون) ، وقرأ الحسن البصري : (ويحضون) ، وقد قرأ بعضهم :

(تحاضون) برفع التاء .⁴

كما أنه في عرض هذه القراءات المختلفة للآية الواحدة لا يقف على الحياد ، إذ غالباً ما يرجح ، كأن يعرب عن استحسانه للقراءة بقوله : " وهو وجه جيد " ⁵ أو " وكل صواب " ⁶ وأحياناً يترك الخيار للقارئ يختار القراءة التي يشاء .

¹ الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 208

² - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 224

³ - نفسه ، ج 3 ، ص 222

⁴ - نفسه ، ج 3 ، ص 261

⁵ - نفسه ، ج 2 ، ص 215

⁶ - نفسه ، ج 3 ، ص 143

المبحث الثالث : القيمة اللغوية للكتابين

أهمية الكتابين

كان القرآن ولا يزال هو المعين الذي استقى منه النحاة مادتهم العلمية ، فالعالم بالعربية يجب أن يكون على دراية بأمرين اثنين لا غنى له عنهما ، العلم بالقرآن والعلم بكلام العرب . وتأملنا في سير وتراجم أعلام البصريين والكوفيين يشير إلى أن تفوقهم في النحو كان مسبقا بتفوقهم في العلم بالقرآن الكريم وقراءاته وفي كلام العرب نظمه ونثره .

ولذلك شاعت بين النحاة في ذلك العهد المبكر ما يعرف بكتب " معاني القرآن " وهي ضرب من التفسير بالرأي¹ ، يعمد فيه المصنف إلى آيات القرآن يحللها تحليلا لغويا نحويا ، وفي خضم هذا التحليل يعرض لدلالات بعض الألفاظ أو التراكيب .

وهكذا تصبح كتب معاني القرآن كتبا في النحو واللغة بالدرجة الأولى ، وكتابي الأخفش والفراء - محل الدراسة - من الأهمية البالغة ما يمكن إيجازه في ما يأتي :

1 - الكتابان لعلمين من أعلام البصرة والكوفة ، فقد كان الأخفش أول من أثرى النحو البصري بآرائه واجتهاداته وعلى يده ازدهر ونما ، وكان الفراء أول من توسع في منهج الكوفة الذي وضعه الكسائي . ثم إن الرجلين كانا متعاصرين ، ولم يكن بينهما من العداوة أو الحسد ما بين الخصمين كما قد يتوهم ، وإنما كانا متكاملين ، بل كان الفراء يكنّ احتراما كبيرا للأخفش ، حكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سلم قالوا: دخل الفراء على سعيد المذكور ، فقال لنا : " قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ، فقال الفراء : أما ما دام الأخفش يعيش فلا² "

2 - كل من الكتابين مصدر نفيس ، فمعاني القرآن للأخفش والفراء من مصادر المصادر فقد أفاد منهما النحاة واللغويون والمفسرون والفقهاء وكل من كان له بعلم العربية صلة ، وهما من الكتب التي نجت من غوائل الزمن ، وليس من الكتابين إلا نسخ مخطوطة قليلة .

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، مقدمة التحقيق ، ص 54 ، 55

² - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 2 ، ص 380

3 - الكتابان يضمنان نظريات النحو الأولى ، فهما لا يشتملان على نحو بصري وآخر كوفي كل على حدة ، إنما يتكاملان ، فمدرسة الكوفة لم تستقل بعد استقلالاً كاملاً عن البصرة ، إذ لاتزال في عصرهما معتمدة على النحو البصري تستقي منه وتزيد عليه ، بل إن علاقة الأخفش والفراء بإمام البصريين " سيبويه " علاقة واحدة متماتلة فالأخفش تلميذ سيبويه ، هو الذي أشاع كتابه بين الناس وشرحه وتوسع في آرائه ، وعلاقة الفراء بعلم بسبويه علاقة وطيدة متينة حتى روي أنه مات وتحت وسادته كتاب سيبويه¹ .

4 - اشتمالهما على كلام العرب ، فقيمة كلام العرب الوارد في الكتابين تظهر في صحة السند ، فالراوي إما أن يكون المصنف نفسه كأن يقول الفراء : " سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجي بأبيات ...ذهبت إلى رثيئة اللبن ، وذلك إذا حلبت الحليب على الرائب ."² أو أن تكون الرواية بسند ثابت كاستشهاد الأخفش بقول جرير : (من الطويل)

كسَا اللُّؤْمُ تَيْمًا خُضْرَةً فِي جُلُودِهَا فَوَيْلًا لَتَيْمٍ مِنْ سَرَابِيلِهَا الْخُضْرُ

قال الأخفش : حدثني عيسى بن عمر أنه سمع الأعراب ينشدونه هكذا بالنصب ، ومنهم ما يرفع ما ينصب في هذا الباب .³

5 - التمييز بين القراءات : يضم الكتابان بين الفينة والأخرى تنبيهات إلى القراءات القرآنية لبعض الآيات ، ولا يخفى ما في ذلك من أهمية في إثراء الجانب اللغوي والنحوي ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القراءات المشار إليها في الكتابين قد تتجاوز القراءات السبع إلى غيرها بالنظر إلى أن العهد كان قبل أن يحصرها أبو بكر بن مجاهد في سبع قراءات متواترة مشهورة .

6 - يسجل الكتابان بدايات التمايز للنحو الكوفي عن النحو البصري ، ففي الوقت الذي يعتمد فيه الأخفش مصطلحات البصريين المتداولة إلى اليوم ، نجد الفراء في كتابه

¹ - السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق : محمد عبد الرحيم ، دار الفكر للطباعة

والنشر ، بيروت ط1 ، 2005 ، ص750

² - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 459

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 119

يستعمل مصطلحات الكوفيين ، فيستخدم لام التبرئة بدل النافية للجنس¹ والمفسر بدل التمييز² والعماد بدل الفصل³ والصفة بدل حرف الجر⁴...

قيمة الكتابين

بعد أن عرضنا بشكل مجمل الأهمية التي يحظى بها الكتابان ، لا بد أن نتبين ذلك تفصيلا من خلال الكشف عن القيمة اللغوية لهما ، هذه القيمة التي تظهر في اشتمال الكتابين على قضايا وآراء تتصل بالنحو والصرف والأصوات والدلالة ، وسنعرض أمثلة من الكتابين لكل مجال من هذه المجالات الأربع .

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 120

² - نفسه ، ج 1 ، ص 225

³ - نفسه ، ج 1 ، ص 409

⁴ - نفسه ، ج 1 ، ص 148

﴿ إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً ﴾ الواقعة 26

يقول الأخفش : " إن شئت نصبت السلام بالقيـل ، وإن شئت جعلت السلام عطفاً على القيل ، كأنه تفسير له ، وإن شئت جعلت الفعل يعمل في السلام ، تريد لا تسمع إلا قِيلاً الخير.¹ "

والذي ذكره الأخفش هو ما ذهب إليه أغلب المفسرين.²

ب - بسط المسائل النحوية بسطاً وافياً وتحليلها من كافة الوجوه الممكنة ، بالاعتماد على أدلة من القرآن الكريم وكلام العرب .

• فَتَحَّتْ بَابَ (الْفَاءِ) رَاحَ الْأَخْفَشُ يَفْسِرُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ :

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة 35

يقول : " فهذا الذي يسميه النحويون جواب الفاء ، وهو ما كان جواباً للأمر والنهي والاستفهام والتمني والنفي والجحود ، ونصب ذلك كله على ضمير (أن) وكذلك الواو ، وإن لم يكن معناها على معنى الفاء ، وإنما نصب هذا لأن الفاء والواو من حروف العطف ، فنوى المتكلم أن يكون ما مضى من كلامه اسماً ، حتى كأنه قال : لا يكن منكما قرب الشجرة ، ثم أراد أن يعطف الفعل على الاسم ، فأضمر مع الفعل " أن " لأن " أن " مع الفعل تكون اسماً فيعطف اسماً على اسم ."³

في كلام الأخفش تحليل عميق لما ذهب إليه البصريون من نصب المضارع بـ"أن" مضمرة وجوبا بعد فاء السببية وواو المعية ولام التعليل ولام الجحود . فرأى أن الفاء والواو - في الأصل - من حروف العطف فكأن المتكلم قصد في كلامه الذي قبل الفاء أن يكون اسماً فأراد أن يعطف عليه فعلاً ، فلم يجد بُدّاً من أن يقدر "أن" محذوفة حتى يتحقق له مصدر مؤول يعطفه على الاسم الذي نواه في البداية .

• ولا يكتفي الأخفش بالآية التي انطلق منها مفسراً ، بل يستعين بأي آخر من

السورة نفسها ومن غيرها ، ويتخلل هذا وذاك بعض الشواهد من كلام العرب ،

¹ - المصدر نفسه ، 2 / 491

² - ينظر على سبيل المثال :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 8 / 206 ، و القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 17 / 157

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 59

فبتحدثت مثلا عن الواو التي قد ينصب بعدها المضارع بـ"أن" مضمرة كما ينصب بعد الفاء ، لكن قد يأتي المضارع بعدها مرفوعاً إذا أفادت الاستئناف ، جاء ذلك في قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . التوبة 15
يقول : " فرغ " يتوب " لأنه كلام مستأنف ليس على المعنى الأول ، ولا يريد : قاتلوهم يتب الله عليهم ، ولو كان هذا لجاز فيه الجزم لما ذكرت¹ " ويستدل على ذلك بقول النابغة :

(من الوافر)
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
وَنَمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سِنَامٌ²

الشاهد في البيت " وَنَمْسِكُ " التي جاءت منصوبة - كما قال - بأن مضمرة وجوبا بعد الواو ، ويجوز فيها الجزم عطفاً على " يهلك " ، أو الرفع على الاستئناف .

• وفي ما أسماه " باب اللام " يغتم الأخفش الفرصة أثناء تفسير الآية الكريمة :

﴿ ... لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا .. ﴾ البقرة 79

فيستفيض في الحديث عن نصب الفعل المضارع بأن مضمرة وجوبا بعد لام التعليل ، فيسفر هنا عن توجهه البصري ، يقول :

" فهذه اللام إذا كانت في معنى (كي) كان ما بعدها نصبا على ضمير (أن) وكذلك المنتصب بـ (كي) هو أيضا على ضمير (أن) ، كأن يقول للاشتراء فـ (يشتروا) لا يكون اسما إلا بـ (أن) ، فـ (أن) مضمرة ، وهي الناصبة ، وهي في موضع جر باللام . وكذلك :

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً ﴾ الحشر 7 ، (أن) مضمرة ، وقد جرّتها (كي) .³

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 60

² - أجَبَ الظهر : لا سنام له ، كناية عن الفقر والذل ، ينظر :

النابغة ، الديوان ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر بيروت (د.ت) ص 110 ، وللبيت رواية أخرى فيها " نأخذ " مجزومة بدل " نمسك " منصوبة ، وهذا في :

البغدادي ، خزنة الأدب ، 7 / 511 ، و المبرد ، المقتضب ، 2 / 179 ، وسيبويه ، الكتاب ، 1 / 196

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 120

ويقول في موضع آخر : " وكذلك ما انتصب بعد (حتى) ، إنما انتصب بضمير (أن) ، قال ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُ اللَّهِ ﴾ الرعد 31 و ﴿ حَتَّى تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ ﴾ البقرة 120 ، إنما هو (حَتَّى أَنْ يَأْتِيَ) و (حَتَّى أَنْ تَتَّبِعَ) وكذلك جميع ما في القرآن من (حتى) ، وكذلك ﴿ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ البقرة 214 ، أي (حَتَّى أَنْ يَقُولَ) ، لأنَّ (حتى) في معنى (إلى) ، تقول : أقمنا حتى الليل ، أي: إلى الليل¹ . ولم ينس الأخفش في هذا السياق الإشارة إلى ما ينصب الفعل المضارع مباشرة دون تقدير، يقول : " وأما ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ الحج 47 فنصب بـ (لن) كما نصب بـ (أن) ، وقال بعضهم : إنما هي (أن) جعلت معها (لا) كأنه يريد : لا أن يخلف الله وعده ، فلما كثرت في الكلام حذفت ... وكذلك ما نصب بـ (إذن) ، تقول : إذن آتيتك ، تنصب بها كما تنصب بـ (أن) و (لن) .²

د - تضمن كتاب المعاني للأخفش جملة من الظواهر النحوية منها :

• الحذف : وهو مشهور عند النحاة جائز في كلام العرب ، إذا كان في

السياق ما يدل عليه ، يورد الأخفش أمثلة منه ، فعند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ البقرة 89

يقول : " فإن قيل : فأين جواب (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ) ؟

قلت : جوابه في القرآن كثير ، استغنى عنه في هذا الموضع إذ عرف معناه³ .

وكاننا بأبي الحسن لم ير هذه الآية كافية للاستدلال ، فراح يورد الآيات في هذا السياق تباعا ، يقول :

" كذلك جميع الكلام إذا طال يجيء فيه أشياء ليست لها أجوبة في ذلك الموضع ،

ويكون المعنى مستغنى به ، نحو قول الله عز وجل :

¹ - المصدر نفسه ، 1 / 120

² - نفسه ، 1 / 121

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 136

﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّمَّ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ الرعد 31 ، فيذكرون تفسيره : لو سيرت الجبال بقرآن غير هذا ، لكان هذا القرآن سُسِّيَر به الجبال ، فاستغنى عن اللفظ بالجواب إذ عرف المعنى . وقال [الله سبحانه] :

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ آل عمران ، 188

ولم يجئ لـ " تَحْسَبَنَّ " الأول بجواب ، وترك للاستغناء بما في القرآن من الأجوبة ، وقال : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ آل عمران 180 معناه : لا تحسبنه هو خيراً لهم ، وحذف ذلك الكلام ، وكان فيما بقي دليل على المعنى .¹

• الزيادة : وهي خلاف الحذف وكانت له فيها إشارات لطيفة ، من ذلك ذكره حكم (

إِنْ) بعد (مَا) ، جاء ذلك في استعراض الآية :

﴿ وَأَلْقَدَ مَكَانَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ ﴾ الأحقاف 26

يقول : " ف (إِنْ) بمنزلة (مَا) و (مَا) التي قبلها بمنزلة (الذي) .. وتزاد (إِنْ) مع (مَا) ، يقولون : " مَا إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، أي ما كان كذا وكذا ، و " ما إن هذا زيد ، ولكنها تُغَيَّر (ما) ، فلا يُنصَبُ بها الخبر ، وقال الشاعر² (من الوافر)

وما إِنْ طُبْنَا³ جُبْنَا ولكن مَنَائِنَا وَطُعْمَةُ آخِرِينَا⁴

وحكم (إِنْ) بعد (مَا) هو نفسه حكم الفاء في قوله تعالى :

﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الأنعام 54

¹ - المصدر نفسه ، 1 / 137

² - الشاعر هو : فروة بن مُسَيْبِكَ المرادي ، صحابي أسلم عام الفتح ، كان رجلاً له شرف ، قدم المدينة ، فأنزله سعد بن عبادة عليه . استعمله الرسول ﷺ على قبائل مُراد وزبيد ومذحج ، وذكر أنه انتقل إلى الكوفة فسكنها . ينظر :

البغدادي ، الخزانة ، 4 / 116 ، 117

³ - طُبْنَا : عادتنا ، وللبيت رواية أخرى ، فيها " دَوْلَةٌ " بدل " طُعْمَةٌ " ، ينظر البغدادي ، الخزانة ، 4 / 112

⁴ - الأخفش ، معاني القرآن ، ج1 ، ص 112

يقول أبو الحسن : " فيشبهه أن تكون الفاء زائدة كزيادة (ما) ويكون الذي بعد الفاء بدلا من (أن) التي قبلها ، وأجود أن تكسر (إن) وأن تجعل الفاء جواب المجازاة . " ¹

2 - المجال الصرفي :

النحو والصرف عند النحاة لا يفترقان ولا يختلفان لأن الصرف في خدمة القضايا النحوية ، والأخفش في كتابه " معاني القرآن " لا ينفك متعرضا للأسماء والأفعال بتحديد أوزانها الصرفية ، وهو مما يساعد على الفهم دون شك ، وفي ما يأتي بعض النماذج :

أ - جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آل عمران 1

يقول الأخفش : " فإنَّ (الْقَيُّومُ) الْفِعْلُ ، ولكن الياء الساكنة إذا كانت قبل واو متحركة قلبت الواو ياءً ، وأصله (الْقَيُّومُ) " ².

وفي الميزان الصرفي توضيح لبعض القراءات

قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ ﴾ هود 5

يقول الأخفش : وقال بعضهم : (تَنْتُونِي صُدُورَهُمْ) ، جعله على (تَفَعَّوْعِلِ) مثل (تَعَجَّوَجِلِ) وهي قراءة الأعمش. ³

وعلى المنوال نفسه يفسر قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى ﴾ البقرة 85

يقول : " وقرئت (أُسَارَى) ، وذلك لأنَّ (أُسِيرَ) فَعِيلٌ ، وهو يشبه مريضا لأن به عيبا كما بالمريض ، وهذا (فَعِيلٌ) مثله ، وقد قالوا في جماعة المريض : مرضى ، وقالوا أسارى ، فجعلوها مثل (سُكَارَى) و (كُسَالَى) ، لأن جمع (فعلان) الذي به علة قد يشارك جمع (فعيل) وجمع (فَعِلٌ) ، نحو : حَبِطٌ وَحَبَّطِي وَحَبَّاطِي .. وقد قالوا (أُسَارَى) كما قالوا (سُكَارَى) . " ⁴

¹ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 124

² - نفسه ، 1 / 193

³ - الأخفش ، معاني القرآن 2 / 350

⁴ - المصدر نفسه ، 1 / 128

ب - وقد تكون لغات العرب مدعاة إلى اللجوء إلى الميزان الصرفي من أجل التوضيح والإبانة ، يقول الأخفش عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُحُوهُمُ مُسْوَدَّةٌ ﴾ الزمر 60

" وقال بعضهم (مُسْوَدَّةٌ) وهي لغة أهل الحجاز ، يقولون : اسوادَّ وجهه واحمارَّ ، يجعلونه (افعالٌ) كما تقول للأشهب : قد اشهبَّ ، وقد ازراقَّ .¹

ج - والتعليل الصرفي من أقوى الأدلة ، والأخفش يستقبح جمع (رَهْن) على

(رُهْن) ، عند تفسير الآية الكريمة ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ البقرة 283

يقول : " تقول (رَهْنٌ) و (رِهَانٌ) مثل (حَبْلٌ) و (حِبَالٌ) ، قال أبو عمرو : فَرِهَانٌ ، وهي قبيحة ، لأن (فَعَلًا) لا يجمع على (فَعُلٌ) إلا قليلاً شاذاً ، زعم أنهم يقولون : سَقَفٌ و سُقُفٌ ، وقرؤوا هذه الآية :

﴿ سَقْفًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ الزخرف 33

وقالوا : قَلْبٌ و قَلْبٌ ، وَقَلْبٌ مِنْ قَلْبِ النَّخْلَةِ ، وَلَحْدٌ وَلَحْدٌ لِلْحَدِّ الْقَبْرِ ، وهذا شاذ لا يكاد يعرف .²

وقد يقبل الأخفش القراءة إذا قبلها الميزان الصرفي ، جاء في تفسير الآية:

﴿ إِبَا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ آل عمران 75

يقول : " لأنها من (دُمْتَ ، تدوم) . ولغة العرب (دِمْتَ) وهي قراءة³ مثل : مِتَّ مَمُوتٌ ، جعله على (فَعَلَ ، يفعلُ) ، فهذا قليل .⁴

د - قد يلجأ الأخفش إلى التصغير للكشف عن طبيعة الحرف في الكلمة ، جاء في

تفسير الآية : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ﴾ البقرة 22

يقول : " فقطع الألف لأنه اسم تثبت الألف فيه في التصغير ، إذا صغرت قلت :

¹ - نفسه ، 2 / 456

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 191

³ - قرأ أبو عبد الرحمن السلمي ويحي بن وثاب والأعمش ، وغيرهم " دِمْتَ " بكسر الدال ، وهي لغة تميم .

ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 2 / 525

⁴ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 207

(أنيداد) ، وواحد الأنداد نَدّ ، والنَدّ : المِثْلُ¹ .

وكثيرا ما يسارع إلى التنظير مستدلا بالتصغير ، يقول : " وما كان من نحو الألفات اللواتي ليس معهن اللام في أول اسم وكانت لا تسقط في التصغير فهي مقطوعة ، تكون في الاستئناف على حالها في الاتصال ، نحو قوله [تعالى] :
﴿ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ ﴾ ص 25 ، وقوله ﴿ يَا أَبَانَا ﴾ يوسف 11
وقوله ﴿ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ المدثر 35.²

هـ - يظهر أن الصرف كان الأداة المفضلة عند أبي الحسن للتحليل والتوضيح ، فضلا عن الاستعانة بالقرآن نفسه أو بكلام العرب ، جاء في تفسير الآية :
﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ آل عمران 14
يقول : " مهموز منها موضع الفاء (يقصد : المآب) لأنه من (آب - يؤولب) ،
مثل : قلت - تقول ، والمفعل : مقال ، تقول : آب يؤولب ، إيابا ، قال الله تعالى :
﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ الغاشية 25 ، وهو الرجوع .
قال الشاعر³ : (من الطويل)

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وأما (الأواب) وهو الراجع إلى الحق ، وهو من : آب - يؤولب ، وأما قوله تعالى :
﴿ يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ ﴾ سبأ 10 ، فهو - فيما يذكر - التسبيح ، وهو -
والله أعلم - مثل الأول ، يقول : ارجعي إلى الحق ، والأواب : الراجع إلى الحق .⁴

و - وفي معاني الأوزان ، أفاض أبو الحسن ، وميز بين تلك المعاني المختلفة ، جاء في تفسير الآية :
﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ الأعراف 189

¹ - المصدر نفسه ، 51 / 1

² - المصدر نفسه ، 5 / 1

³ - البيت لمُعَقَّر بن حمار البارقي ، وقيل لعبد ربه السلمي أو لسليم بن ثمامة الحنفي ، ينظر :

ابن منظور ، اللسان ، 65 / 15 ، مادة " عصا " . هذا ونسبه الجاحظ إلى المضرّس الأسدي ، ينظر :

الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، 410 / 1

⁴ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / ، 197 ، 198

يقول : " لأنَّ الحَمَلَ ما كان في الجوف والحَمْلُ ما كان على الظهر " ¹ .
 أما قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿ فَلَمَّا أَثَقَلَتْ ﴾ ، فيقول عنه : " صارت ذات ثقل ،
 كما تقول : وَأَثْمَرْنَا ، أي صرنا ذوي ثَمَرٍ ، وَأَلْبَنَّا ، وَأَعْشَبَتِ الْأَرْضُ ، وَأَكْمَأَتْ " ²
 وقد لا يختلف المعنى ، وإن تغير الوزن الصرفي ، من ذلك : (عَدَلَّ) و (عَدَلَ) في
 قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ الانفطار 7
 يقول الأخفش : " أي : كذا خلقك . وبعضهم يخففها ³ ، فمن ثَقَلَ (عَدَلَكَ) فإنما
 يقول : عَدَلَ خَلْقَكَ ، وعَدَلَكَ ، أي عدل بعضك ببعض فجعلك مستويا معتدلا ، وهو
 في معنى (عَدَلَكَ) " ⁴ .

ونظير ذلك (صَدَقَاتِهِنَّ) في قوله تعالى :

﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ النساء 4

جاء في المعاني : " وواحد الصَّدَقَاتِ : صَدَقَةٌ ، وبنو تميم : صَدَقَةٌ ، ساكنة الدال
 مضمومة الصاد . " ⁵

3- المجال الصوتي :

عناية الأخفش بالجانب الصوتي واضحة ، يدعو إلى ذلك اختلاف القراءات باختلاف
 لغات العرب ، ولذلك زخر كتابه بالكثير من الظواهر الصوتية ، نختار من هذه
 الظواهر

أ - ظاهرة الإدغام : ومن أمثلته ما جاء في :

• تفسير الآية ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ البقرة 83

¹ - المصدر السابق 2 / 315

² - المصدر نفسه ، 2 / ، ص 316

³ - قرأ ابن كثير وناقع وأبو عمرو وابن عامر ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ بالتشديد ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي

﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ خفيفة ، ينظر : ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1400 هـ ، ص 674

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 531

⁵ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 226

يقول أبو الحسن : " فجعلها من (تَنْظَاهِرُونَ) وأدغم التاء في الظاء ، وبها نقرأ ، وقد قرئت (تَظَاهِرُونَ¹) مخففة بحذف التاء الآخرة لأنها زائدة لغير معنى² .

• تفسير الآية ﴿ وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ ﴾ الأعراف 22

يقول الأَخْفَشُ : " جعلها من (يَخْصِفَانِ) فأدغم التاء في الصاد ، فسكنت وبقيت الخاء ساكنة ، فحركت الخاء بالكسر لاجتماع الساكنين . ومنهم من يفتح الخاء³ ويحول عليها حركة التاء⁴ " .

• تفسير الآية : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ البقرة 72

يقول الأَخْفَشُ : " وإنما هي (فَتَدَارَأْتُمْ) ، ولكن التاء تدغم في الدال ، لأن مخرجها من مخرجها ، فلما أدغمت فيها حُوِّلت فجعلت دالا مثلها ، وسكنت فجعلوا ألفا قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها ، كما قالوا (اضْرِبْ) فألحقوا الألف حين سكنت الضاد ، ألا ترى أنك إذا استأنفت قلت : (ادَّارَأْتُمْ)⁵ " .

ب - ظاهرة الحذف لتقارب المخرج :

جاء في تفسير الآية : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ الكهف 97

¹ - قرأ عاصم وحمره والكسائي بتخفيف الظاء ، وقرأ باقي السبعة بتشديد الظاء أي بإدغام الظاء في التاء ، وقرأ أبو حيوة " تَظَاهِرُونَ " بضم التاء وكسر الهاء . ينظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 1 / 459

² - في معاني الأَخْفَشِ ، بتحقيق : د . فايز فارس " تَظَاهِرُونَ " (بضمّ التاء وفتح الظاء) ، أما في الكتاب نفسه بتحقيق : د . هدى قراعة ، فـ " تَظَاهِرُونَ " (بفتح التاء والظاء معاً) ، والظاهر أن الصواب ما أثبتته الدكتورة ، لأنّ الأَخْفَشَ عندما يعقب على هذه القراءة (تَظَاهِرُونَ) بأنه حذف فيها التاء الآخرة من الأصل (تَنْظَاهِرُونَ) ، فإنه لا يعقل أن تحذف التاء الثانية ثم تضم التاء الأولى لغير سبب . ينظر :

الأَخْفَشِ ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس 1 / 128

الأَخْفَشِ ، معاني القرآن ، تحقيق : هدى قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990 ، 1 / 101

³ - قرأ الحسن والأعرج ومجاهد وابن وثّاب ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ بفتح الياء وكسر الخاء والصاد وشدها ، وقرأ الحسن فيما روى عنه محبوب كذلك ، إلا أنه فتح الخاء (يَخْصِفَانِ) ، ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 4 / 281

⁴ - الأَخْفَشِ ، معاني القرآن ، 2 / 296

⁵ - المصدر نفسه ، 1 / 106

يقول : " لأن لغة العرب تقول : اسطاع ، يسطيع ، يريدون به : استطاع ، يستطيع ، ولكن حذفوا التاء إذا جامعت الطاء ، لأن مخرجهما واحد . " ¹

ج - ظاهرة الوصل وحكم الألف فيه :

• جاء في تفسير الآية : ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ البقرة 71

يقول : " وإن استأنفت (الْآنَ) قطعت الألفين جميعا ، لأن الألف الأولى مثل ألف (الرجل) ، وتلك تقطع إذا استؤنفت ، والأخرى همزة ثابتة ، تقول : الْآنَ ، فتقطع همزة الوصل . ومنهم من يذهبها ويثبت الواو التي في (قالوا) ² ، لأنه إنما كان يذهبها بسكون اللام ، واللام قد تحركت ، لأنه قد حول عليها حركة الهمزة . ³

• جاء في تفسير الآية : ﴿ فَلَئُوَدَّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ ﴾ البقرة 283

يقول : " هي من : أَدَى يؤدي ، فلذلك همز ، و (أُوتِيَ) همزها لأنها من الأمانة ، موضع الفاء منها همزة ، إلا أنك إذا استأنفت ، تَبَّتْ أَلْفُ الْوَصْلِ ، فلم تهمز موضع الفاء لئلا تجتمع همزتان . ⁴

د - ظاهرة الروم والإشمام :

والروم اختلاس الحركة فتتطق بصوت خفي يسمعه القريب ⁵ ، أما الإشمام فاختلاس أخفى منه ، بحيث لا تسمع الحركة وإنما يشار إليها بحركة الشفة ⁶ . وقد تناول الأخفش الظاهرتين كليهما في مواضع من كتابه ، من ذلك :

* ما جاء في تفسير الآية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ البقرة 11

¹ - المصدر نفسه ، 2 / 399

² - قرأ الجمهور بإسكان اللام ، والهمزة بعده ، وقرأ نافع بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام ، وعنه روايتان ، احدهما : حذف واو قالوا إذ لم يعتد بنقل الحركة ، والرواية الأخرى إقرار الواو اعتدادا بالنقل . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 1 / 422

³ - الأخفش معاني القرآن ، 1 / 106

⁴ - المصدر نفسه ، 1 / 191

⁵ - ابن منظور ، لسان العرب ، 12 / 258

⁶ - المصدر نفسه ، 12 / 326

يقول : " ... ومنهم من يروم الضم في (قِيلَ) مثل رومهم الكسر في (رُدَّ) لغة لبعض العرب أن يقولوا (رِدَّ) ، فيكسرون الراء ويجعلون عليها حركة الدال التي في موضع العين¹ ، وبعضهم لا يكسر الراء ولكنه يشمها الكسر ، كما يروم في (قِيلَ) الضم ."²

• كما جاء في تفسير قوله سبحانه :

﴿ يَنْفِيًا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ النحل 48

يقول : " قلت (يَنْفِيًا) ، كما تقول بالعين : (يَنْفِيْعُ) ، جزماً ، وإن شئت أشممتها الرفع ورمته ، كما تفعل ذلك في : هذا جُرْ . "³

هـ - ظاهرة الإخفاء :

وهي حال بين الإدغام والإظهار ، وقد أشار الأخفش إلى ذلك عند تفسير عدد من الآيات منها :

قوله تعالى : ﴿ أُتْحَاجُونَا فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا ﴾ البقرة 139

يقول : " منقّلة (يقصد نون " أُتْحَاجُونَا ") ، فأدغم أحدهما في الآخر ، واحتمل السكن قبلهما إذا كان من حروف اللين ، وحرف اللين الياء والواو والألف إذا كنّ سواكن . و قال بعضهم (أُتْحَاجُونَنَا)⁴ فلم يدغم ولكنه أخفى ، فجعل حركة الأولى خفيفة ، وهي متحركة في الوزن ، وهي في لغة الذين يقولون : هذه مائة دَرَهَمٍ ، يشمون شيئاً من الرفع ولا يبينون ، وذلك الإخفاء ، وقد قرئ هذا الحرف على ذلك : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ (يوسف 11) ، بين الإدغام وبين الإظهار ."⁵

¹ - وهي لغة لبني ضبة ، ينظر : ابن جني ، المحتسب في القراءات ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد

الفتاح شلبي ، القاهرة ، 1386 هـ ، 1 / 346

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 41

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 382

⁴ - قرأ الجمهور ، أتحاجوننا بنونين ، أحدهما نون الرفع والأخرى الضمير ، وقرأ زيد بن ثابت والحسن والأعمش وابن محيصن بإدغام النون في النون ، وأجاز بعضهم حذف النون ، أما قراءة الجمهور فظاهرة ، وأما قراءة زيد ومن ذكر معه فوجهها أنه لما التقى مثلان ، وكان قبل الأول حرف مذّ ولين جاز الإدغام كقولك : هذه دار راشد .

ينظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 1 / 585

⁵ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 151

- قوله سبحانه: ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ القيامة 40
يقول: " وقال بعضهم: (يُحْيِي الموتى) فأخفى وجعله بين الإدغام وغير الإدغام¹. ولا يستقيم أن يكون ههنا مدغماً ، لأن الياء الآخرة ليست تثبت على حال واحد ، تصير ألفاً في قولك : (يحيا) ، وتحذف في الجزم ، فهذا لا يلزمه الإدغام ، ولا يكون فيه إلا الإخفاء ، وهو بين الإدغام وبين البيان.²
و - ظاهرة الإمالة :

ومعناها أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتُميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت ،³ وقد أشار الأخفش إلى هذا في مواضع منها :

- في تفسير قوله تعالى ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ البقرة 10
يقول: " فمن فخم نصب الزاي فقال (زَادَهُمْ) ، ومن أمال كسر الزاي فقال (زَادَهُمْ)⁴ ، لأنها من (زِدْتُ) أولها مكسورة ، فناس من العرب يميلون ما كان من هذا النحو ، وهم بعض أهل الحجاز⁵.. وأمالوا كل ما كان نحو (فُعَلَى) و (فَعَلَى) نحو بُشْرَى ومرضى وسكرى لأن هذا لو تثنى كان بالياء فمالوا إليها⁶ .
• في تفسير الآية ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ آل عمران 103
يقول: " فـ (الشَّفَا) مقصورة مثل (القَفَا) وتثنيته بالواو ، تقول : شَفَوَانَ ، لأنه لا تكون فيه الإمالة ، فلما لم تجئ فيه الإمالة ، عرفت أنه من الواو⁷.
أراد أبو الحسن أن يقول أنه لا إمالة في الاسم المقصور الذي أصل ألفه واو .

¹ - قرأ طلحة بن سليمان والفيض بن غزوان بسكون الياء من قوله " أن يحيي " ، وهي حركة اعراب لا تحذف إلا في الوقف ، وقد جاء في الشعر حذفها ، وقرأ الجمهور بفتحها ، وجاء عن بعضهم " يُحْيِي " بنقل حركة الياء إلى الحاء وإدغام الياء في الياء . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 8 / 382

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 518

³ - ابن منظور ، لسان العرب ، 1 / 512

⁴ - قرأ حمزة ﴿ فَرَادَهُمْ ﴾ بالإمالة ، ينظر :

عبد الرحمن أبو زرعة ، حجة القراءات ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1402 هـ / 1982م ،

⁵ - الإمالة لتميم ، والتفخيم للحجاز . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 1 / 189

⁶ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 518

⁷ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 211

4 - المجال الدلالي :

درس الأخفش دلالات الألفاظ من خلال كتابه وعالج قضاياها ، وتنوعت طرقه في هذه الدراسة ، كما يظهر في الآتي :

أ - الاكتفاء بالشرح المعجمي ، كأن يفسر (الأمة) بالحين في قوله تعالى :

﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ هود 8

و (اللينة) بأنها ضرب من النخل في قوله تعالى :

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ الحشر 5

يقول : " وهي من اللون في الجماعة¹ ، وواحدته (لينة) وهو ضرب من النخل ، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت إلى الياء ."²

أو أن (العدل) بمعنى (المثل) في قوله سبحانه :

﴿أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا³﴾ المائدة 95

يقول : " يريد : أو عليه مثل ذلك من الصيام .. وقال بعضهم : أو عدل ذلك صيامًا ، فكسر وهو الوجه لأن العدل المثل ، وقال [تعالى] :

﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ⁴﴾ (البقرة 123) ، أي : مثل ."⁵

ب - عدم الاقتصار على شرح اللفظة وإنما الكشف عن المعنى العام للجمل أو السياق ، كما ورد في تفسير قوله تعالى :

﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ق 2 ، 3

يقول : " لمن يذكر أنه رجع ، وذلك - والله أعلم - لأنه كان على جواب ، كأنه

¹ - " اللون " نوع من النخل قيل هو الدقل ، وقيل النخل كله ، ما خلا البرني والعجوة ، تسميه أهل المدينة الألوان ، واحدته " لينة " وأصله " لونة " فقلبت الواو ياءً لكسرة اللام . ينظر :

ابن منظور ، اللسان ، 13 / 394 ، مادة : لون .

² - الأخفش / معاني القرآن ، 497/2 ،

³ - المائدة / 95

⁴ - البقرة / 123

⁵ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 265

قيل لهم : إنكم ترجعون ، فقالوا : أنذا كنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد " ¹ وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ المجادلة 3

يقول الأخفش : " المعنى : فتحريير رقبة من قبل أن يتماسا ، فمن لم يجد فإطعام ستين مسكينا ، ثم يعودون لما قالوا أن لا نفعه ، فيفعلونه . " ²

أما بخصوص قول المولى سبحانه : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ مريم 90 فإن أبا الحسن يقول : " فالمعنى : يردن ، لأنهن لا يكون أن ينفطرن ولا يدنون من ذلك ، ولكنهن هممن به إعظاما لقول المشركين ، ولا يكون على من هم بالشيء أن يدنو منه ، ألا ترى أن رجلا لو أراد أن ينال من السماء لم يدن من ذلك ، وقد كانت منه إرادة . " ³

ج - التثبيبه إلى ظواهر لغوية تمس دلالات الألفاظ ، من ذلك :

• ظاهرة الترادف : وتتجلى هذه الظاهرة في كل الألفاظ التي أوردها أبو الحسن من

أجل توضيح معاني الألفاظ القرآنية ، فمثلا : (ذَرَأَ لَكُمْ) الواردة في قوله تعالى :

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ النحل 13

معناها عند الأخفش : " خلق لكم وبث لكم " ⁴ ،

و (رِدَاءً) في قوله سبحانه : ﴿ فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ القصص 34

أي : عونا فيمنعني ، ويكون في هذا الوجه : رداؤه ، أعنته ⁵ .

أما (صَفْوَان) في الآية الكريمة : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ⁶ ﴾ ، البقرة 264

¹ - المصدر نفسه ، 2 / 483

² - نفسه ، 2 / 496

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 405

⁴ - المصدر نفسه ، 2 / 382

⁵ - المصدر نفسه ، 2 / 433

⁶ - البقرة / 264

فيقول عنها أبو الحسن : " والواحدة صَفْوَانَةٌ ، ومنهم من يجعل الصَّفْوَانَ واحداً ، فيجعله الحَجَرَ ، ومن جعله جميعاً جعله الحِجَارَةَ ، مثل التَّمْرَةِ والتَّمْرِ ، وقد قالوا في " الكَذَّانِ " الكَذَّانَةُ ، وهو شبه الحجر من الطين " .¹

• ظاهرة المشترك اللفظي : يقول الأخفش في تفسير الآية :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ، يونس 2

" القَدَمُ هاهنا التقديم ، كما تقول : هؤلاء أهل القَدَمِ في الإسلام ، أي : الذين قدّموا خيراً ، فكان لهم فيه تقديم ."²

وكذلك الأمر في تفسير قوله سبحانه : ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ البروج 5 يقول : " وأما (الوقودُ) فالحطب ، و (الوقودُ) الفعل ، وهو الاتقاد ."³

• ظاهرة التضاد : من ذلك الفعل (شَرَى) الذي يحمل معنى البيع والشراء ، جاء في تفسير الآية :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ البقرة 207 يقول الأخفش :

" تقول (يَبِيعُهَا) كما تقول : شَرَيْتُ هَذَا الْمَتَاعَ ، أَي : بَعْتُهُ ، وشَرَيْتُهُ : اشتريته ، أيضا يجوز في المعنيين جميعاً ، كما تقول : إنَّ الْجِلَّ لِأَفْضَلِ الْمَتَاعِ ، وإنَّ الْجِلَّ لِأَرْدَاهُ⁴ ، على نحو ذلك يجوز مع كثير مثله ."⁵

أما كلمة (وَرَاءَ) الواردة في قوله سبحانه :

﴿ وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ ابراهيم 17

فيقول فيها أبو الحسن : " أي من أمامه⁶ ، وإنما قال (وَرَاءَ) ، أي : إنه وَرَاءَ

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 184

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 340

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 535

⁴ - " الجِلُّ " و " الجِلُّ " من الأضداد تطلق على أفضل المتاع وأردئه . ينظر :

ابن الأنباري ، الأضداد ، 89 ، 90 و ابن منظور ، اللسان 11 / 118 ، مادة : جل

⁵ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 166

⁶ - " وراء " من الأضداد ، يقال للرجل : ورائك ، أي خلفك ، ووراءك ، أي أمامك . ينظر :

ابن الأنباري ، الأضداد ، 68

ما هُوَ فِيهِ ، كما تقول للرجل : هَذَا مِنْ وَرَائِكَ ، أَي : سِيَّاتِي عَلَيْكَ ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ مَا أَنْتَ فِيهِ ، لِأَنَّ مَا أَنْتَ فِيهِ قَدْ كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَهُوَ وَرَاؤُهُ وَقَالَ [تَعَالَى] :

﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ الكهف 79

في هذا المعنى ، أَي كَانَ وَرَاءَ مَا هُمْ فِيهِ .¹ "

القيمة اللغوية لكتاب " معاني القرآن " للفراء

لا يختلف كتاب الفراء عن كتاب الأخفش في عنايته بقضايا اللغة والنحو ، غير أن لكل منهما تميزاً خاصاً يظهر عند تناول عينات من المجالات النحوية والصرفية والصوتية والدلالية لكل منهما ، فبعد عرضنا لهذه المجالات عند الأخفش ، ها هي ذي بنفس الترتيب عند الفراء :

1 - المجال النحوي :

تعد القضايا النحوية أكثر القضايا تناولاً في الكتاب والدارسون لكتاب المعاني للفراء يتخذون منه أداة للكشف عن الآراء النحوية للفراء ومن ثم التعرف على كثير من نظريات النحو الكوفي ، والفراء في تناوله لهذه القضايا النحوية من خلال تحليل الآيات القرآنية الكريمة ، يعتمد عدة طرق :

أ - الإيجاز والاكتفاء بالإشارة الخفيفة عندما لا يستدعي المقام تفصيلاً ، من ذلك قوله في تفسير الآيتين الكريمتين :

﴿...وَأِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ الزخرف 22

و﴿...وَأِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ الزخرف 23 .

يقول الفراء : " رُفَعْنَا (يقصد " مُهْتَدُونَ " و " مُقْتَدُونَ ") ولو كانتا نصبا لجاز ذلك ، لأن الوقوف يحسن دونهما ، فتقول للرجل : قدمت ونحن بالأثر متبعين ومتبعون . "

2

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 374

² - الفراء ، معاني القرآن ، ج 3 ، ص 30

ب - قد يلجئه إلى الوقفة النحوية تبرير بعض القراءات ، واهتمامه بها واضح غني عن البيان ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَمَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ الذاريات 23

يقول الفراء : " ... وقد رفع عاصم والأعمش (مثل) ونصبها أهل الحجاز والحسن ، فمن رفعها جعلها نعتا للحق ، ومن نصبها جعلها في مذهب المصدر ، كقولك : إنه لحق حقاً ، وإن العرب لتنصبها إذا رفع بها الاسم ، فيقولون : مثل من عبد الله ، ويقولون : عبدُ الله مثلك ، وأنت مثله .¹ "

ج - قد يعرض بعض القضايا النحوية عرضاً مستفيضاً يصل درجة الإسهاب ، وهو في تفصيله يريد أن يبيت في القضية المطروحة وينتهي إلى قول واضح فاصل ، من هذه القضايا المتناثرة في الكتاب (معاني القرآن) نختار المسألتين الآتيتين :

• علاقة العدد بالمعدود :

يرى الفراء أن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا الليالي ، وإذا أظهرها تميزوا عملوا بالقاعدة المعروفة ، مخالفة العدد للمعدود من الثلاثة إلى العشرة ، كما تغلب الليالي إذا فصل بين العدد والمعدود أو اختلطت الأيام مع الليالي ، جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

وَعَشْرًا ﴾ البقرة 234

يقول الفراء : " ولم يقل (عَشْرَةَ) وذلك أن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حتى إنهم ليقولون : قد صمنا عشرا من شهر رمضان لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام ، فإذا أظهرها مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء ، والذكران بالهاء ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ

سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة 7

فأدخل الهاء في الأيام حين ظهرت ، ولم تدخل في الليالي حين ظهرن . فإن جعلت العدد غير متصل بالأيام كما يتصل بالخافض بما بعده غلبت الليالي أيضا

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 3 / 85

على الأيام . فإن اختلطا فكانت ليالي وأياما غلبت التأنيث ، فقلت : مضى له سبع ، ثم تقول بعد : أيام فيها برد شديد . وأما المختلط فقول الشاعر :¹ (من الطويل)

أَقَامَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَ النَّكِيرُ أَنْ تَضِيفَ وَتَجَارًا

فقال : ثلاثا وفيها أيام .²

يفهم من كلام الفراء أن " عشراً " من الآية السابقة من سورة البقرة ، ما ذُكِرَتْ - والمعدود هو الأيام - إلا من باب تغليب الليالي على الأيام ، وقد قيل إنَّ السبب يعود إلى أن " عشراً " أخفّ في اللفظ ، فتغلب الليالي على الأيام إذا اجتمعت في التاريخ ، لأنَّ ابتداء الشهور بالليل عند الاستهلال ، فلما كان أول الشهر الليلة غلب الليلة ، تقول : صمنا خمسا من الشهر ، فتغلب الليالي وإن كان الصوم بالنهار .³

ويقترّب من هذا التعليل ، تعليل أبي حيان حيث يقول :

" ... بل الذي نقله أصحابنا أنه إذا كان المعدود مذكراً وحذفته فلك فيه وجهان :

أحدهما ، وهو الأصل ، أن يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود ، فتقول : صمت خمسة ، تريد خمسة أيام . ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث ، حكى الكسائي عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمسا ، ومعلوم أن الذي يصام من الشهر هي الأيام .⁴ "

• حكم هيات ومرفوعها :

جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ المومنون 36

¹ - الشاعر هو النابغة الجعدي ، و " تضيف " في البيت (بضم التاء أو فتحها) بمعنى : تحزن ، و " تجار " بمعنى تصيح ، والحديث في البيت عن بقرة وحشية فجعت بابنها ، ينظر : البغدادي ، الخزانة ، 7 / 407 ، 416 ،

² - الفراء ، معاني القرآن ، 1 / 151

³ - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 3 / 161

⁴ - أبو حيان ، البحر المحيط ، 2 / 233

يقول الفراء : " لو لم تكن في (ما) اللام كان صوابا ، ودخول اللام عربي ، ومثله في الكلام : هيهات لك ، هيهات أنت منا ، وهيهات لأرضك ، قال الشاعر¹ : (من الطويل)

فَأَيْهَاتَ أَيّهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَأَيْهَاتَ وَصَلَّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ

فمن لم يدخل اللام رفع الاسم . ومعنى (هيهات) بعيد ، كأنه قال : بعيد (ما) توعدون) ، وبعيد العقيق وأهله . ومن أدخل اللام قال هيهات أداة ليست بمأخوذة من فعل بمنزلة بعيد وقريب ، فأدخلت لها اللام كما يقال : هلم لك ، إذ لم تكن مأخوذة من فعل . فإذا قالوا : أقبل ، لم يقولوا : أقبل لك ، لأنه يحتمل ضمير الإسم² . فإذا وقفت على (هيهات) وقفت بالتاء في كليهما لأن من العرب من يخفض التاء ، فدل ذلك على أنها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة (دَرَاكِ) و (نَظَارِ)³ . ومنهم من يقف على الهاء لأن من شأنه نصبها فيجعلها كالهاء . والنصب الذي فيهما أنهما أداتان جمعتا فصارتا بمنزلة خمسة عشر . وإن قلت إن كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها فإن نصبها كنصب قوله ، قُمْتَ تُمَّتَ جَلَسْتَ ، وبمنزلة قول الشاعر⁴ : (من السريع)

مَآوِيَّ بَلْ رَبَّتَمَا غَارَةَ شَعْوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ

1 - الشاعر هو جرير بن عطية اليربوعي ، و" أيهات " لغة في هيهات ، و" العقيق : واد بالمدينة ،

ينظر : محمد اسماعيل الصاوي ، شرح ديوان جرير ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (د.ت) ص 479 .

2 - " هَلْمٌ " اسم فعل عند الحجازيين ، فلا تتصل بها الضمائر ، فهي بمعنى " احضروا " فتتعدى بنفسها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هَلْمْ شُهَدَاءَكُمْ ﴾ الأنعام 150 ، أي : احضروهم ، أو بمعنى : أقبل ، فيتعدى بـ " إلى " نحو : هلمّ إلينا ، وقد تُعدى باللام ، نحو : هلمّ للثريد ، وهي في كل ما سبق ، اسم فعل أمر ، أما بنو تميم (وهذا الذي أشار إليه الفراء) فيعدونها فعلاً ، وبالتالي فإن الضمائر تتصل بها ، فيقولون : هلمّي ، هلمّا ، هلمّوا .

ينظر : السيوطي ، همع الهوامع ، 3 / 110 .

3 - " دراك " اسم فعل أمر بمعنى : أدرك ، ينظر : اللسان ، 10 / 420 ، مادة " درك "

" نظار " اسم فعل أمر بمعنى : انتظر ، ينظر اللسان ، 5 / 219 ، مادة " نظر "

4 - الشاعر هو ضمرة بن ضمرة النهشلي ، و" ماوي " : علم لامرأة مرخم ، " اللذعة " : الإحراق ،

" الميسم " : آلة الكي . ينظر :

ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 1 / 105

فنصب (هيات) بمنزلة هذه الهاء التي في ربت ، لأنها دخلت على رُبٍّ وثُمَّ ، وكانا أداتين ، فلم يغيرهما عن أداتهما فنصبا . قال الفراء : واختار الكسائي الهاء ، وأنا أقف على التاء .¹

2 - المجال الصرفي :

على الرغم من أن النحو حظي بنصيب الأسد في كتاب الفراء إلا أن الصرف لم يكن بالمهم بل لقي من العناية القدر الكافي ، وقد تناوله الفراء في مواقف مختلفة ، منها :

أ - تتبع الفراء كعاداته اختلاف اللهجات العربية بناء على ما ورد في القرآن الكريم ، فمثلا : الفعل : جَنَبَ " قد يرد بمعنى واحد في الأوزان الثلاث : فَعَلَ ، أَفْعَلَ ، فَعَّلَ² . جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

ابراهيم 35

قال الفراء : " أهل الحجاز يقولون : جَنَبْنِي ، هي خفيفة . وأهل نجد يقولون : أَجَنَبْنِي شَرَّهُ وَجَنَبْنِي شَرَّهُ . فلو قرأ قارئ (وأجَنَبْنِي وَبَنِيَّ) لأصاب ، ولم أسمع من قارئ " .³

والأمر نفسه مع الفعل " نَبَتَ " ، فالمعنى واحد منه في : فَعَلَ وَأَفْعَلَ . من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴾ المومنون 20

يقول : " وقرأ الحسن تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ، وهما لغتان ، يقال : نَبَتَتْ وَأَنْبَتَتْ ، كقول زهير :⁴ (من الطويل)

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ⁵

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 235 ، 236

² - ابن منظور ، لسان العرب ، 1 / 278 ، مادة : جَنَبَ .

³ - الفراء ، معاني القرآن ، ج2 ، ص 78

⁴ - قطينا : ساكنين ، البقل : نبات ، هذا وللييت رواية أخرى هي :

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا بِهَا حَتَّى إِذَا نَبَتَ الْبَقْلُ

ينظر : ديوان زهير ، شرح : حمدي طموس ، دار المعرفة ، بيروت ط2 ، 1425 / 2005 ، ص 50

⁵ - الفراء ، معاني القرآن ، ج2 ، ص 232

ب - تسويغ القراءات القرآنية وتوجيهها توجيهها صرفيا :

وهذا في مثل تفسير قوله سبحانه :

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ الكهف 59

يقول الفراء : " وقرأ عاصم (لِمَهْلِكِهِمْ) فَتَح الميم واللام ، ويجوز (لِمَهْلِكِهِمْ) بكسر اللام ، تَبْنِيهِ على " هَلَك ، يَهْلِك " . فمن أراد الاسم (يقصد اسم الزمان أو المكان) مما يفعل منه ، مكسور العين ، كسر مفعلا ، ومن أراد المصدر فتح العين ، مثل

المضرب والمضرب والمدب والمدب والمفر والمفر ...¹

وفي موضع آخر من المعاني يربط الفراء بين التوجيه الصرفي للقراءات وعلاقة ذلك بما استعملته العرب ، جاء هذا في تفسير قوله تعالى :

﴿ عُرْبًا أْتَرَابًا ﴾ الواقعة 37 ، يقول : " وحدثني شيخ عن الأعمش قال : كنت

أسمعهم يقرؤون : (عُرْبًا أْتَرَابًا) بالتخفيف ، وهو مثل قولك : " الرُّسُلُ والكَتُبُ " في لغة تميم وبكر ، بالتخفيف ، والتثقيل وجه القراءة ، لأن كل فَعُولٍ أو فَعِيلٍ أو فِعَالٍ ، جمعٌ على هذا المثال ، فهو مثقلٌ مُذَكَّرًا كان أو مؤنثًا ،² والقراء على ذلك .³

ج - وقد لا تكون القراءة سببا في التحليل الصرفي لبعض المفردات وإنما الحرص على إيضاح وجه الصواب في العربية ، فمثلا ، يتناول صيغة " أفعل " وأحكامها في التفضيل ، عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الإسراء 72

يقول : " والعرب إذا قالوا : هو أفعل منك ، قالوه في كل فاعلٍ وفَعِيلٍ ، وما

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، ج2 ، ص 148

² - يجمع جمع كثرة على " فُعْلٌ " ما كان مفردة على وزن : فَعُولٍ وفَعِيلٍ وفِعَالٍ وفَعَالٍ ... وللمسألة كلام مفصل في : أبي حيان الأندلسي ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة

ط1 ، 1418 / 1998 ، ص 423 ، 424 ،

³ - الفراء ، معاني القرآن ، ج3 ، ص 125

لا يزداد في فعله شيء على ثلاثة أحرف . فإذا كان على " فَعَلَّتْ " مثل زَخْرَفَتْ ، أو أَفْعَلَّتْ مثل احْمَرَّرَتْ واصْفَرَّرَتْ لم يقولوا : هو أفعل منك ، إلا أن يقولوا : هو أشد حمرة منك ، وأشدّ زخرفة منك . وإنما جاز في العمى لأنه لم يرد به عمى العين ، إنما أراد به - والله أعلم - عمى القلب . فيقال : فلان أعمى من فلان في القلب ، ولا تقل هو أعمى منه في العين .¹

يؤكد الفراء هنا ما هو شائع عند النحاة ، وهو أن " أفعل " التفضيل لا تصاغ إلا من فعل استوفى شروطاً محددة ، من هذه الشروط أن يكون ثلاثياً وقابلاً للتفاضل ، فإن لم يستوفها ، فلا يجوز ذلك إلا استثناءً كالذي أشار إليه في صفة العمى ، وأكد هذه الإجازة بما نقله عن العرب عندما قال : " حدثني شيخ من أهل البصرة أنه سمع العرب تقول : مَا أَسْوَدَ شَعْرَهُ ."²

وفي مواضع أخرى ، يذهب به التحليل الصرفي إلى الكشف عن بنية الكلمة ، ففي كلمة " تترى " من الآية الكريمة :

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ المومنون 44

فالألف في كلمة " تترى " قد تكون ألف إعراب أو أن التاء منقلبة عن واو أو أن الألف زائدة وليست أصلية ، يقول الفراء :

" أكثر العرب على ترك التنوين ، تنزل بمنزلة تقوى ومنهم من نون فيها وجعلها ألفا كألف الإعراب ، فصارت في تغيير واوها بمنزلة التراث والتجاه³ . وإن شئت جعلت بالياء منها كأنها أصلية فتكون بمنزلة المعزى تُنَوِّن ولا تُنَوِّن . ويكون الوقوف عليها حينئذ بالياء وإشارة إلى الكسر . وإن جعلتها ألف إعراب لم تشر لأنك لا تشير إلى ألفات الإعراب بالكسر ، ولا تقول رأيت زيدا ولا عمرى ."⁴

¹ - نفسه ، ج 2 ، ص 125 ، 126

² - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 128

³ - الفعل منهما " وَرَثَ ، و " وَجَهَ " ، وكذلك " تَتْرَى " ، قيل إن الفعل منها هو " وَتَرَ " ، ينظر :

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 12 / 106

⁴ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 2 ، ص 236

د - قد يستعين الفراء بالتحليل الصرفي للكشف عن بعض المعاني الخفية ، من ذلك تأمله لصيغة " فَعَلَّ " فهو " مُفَعَّل " والتي تفيد التكثير عادة ، فهل يجوز استخدامها في كلِّ حال ؟

يجيب الفراء عند تفسير قوله تعالى :

﴿... وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ النساء 78

يقول الفراء : " يشدد ما كان من جمع ، مثل قولك : مررت بئشاب مصبغة وأكبش مذبحة ، فجاز التشديد لأن الفعل متفرق في جمع . فإذا أفردت الواحد من ذلك ، فإن كان الفعل يتردد في الواحد ويكثر ، جاز فيه التشديد والتخفيف ، مثل قولك : مررت برجل مُشجج ، وبثوب مُمرق ، جاز التشديد ، لأنَّ الفعل قد تردد فيه وكثر . وتقول مررت بكبش مذبوح ، ولا تقل مُذبح ، لأن الذبح لا يتردد كتردد التخرق ."¹

يفهم من كلام الفراء أنَّ " فَعَلَّ " لا تستعمل للتكثير إلا إذا كان المعنى يتحمَّل ذلك ، فنقول " أكبش مُذبحة " ، ولا يجوز " كبش مُذبح " ، وهو ما أكده ابن الحاجب (ت646) ، عندما جوز قولك " موتت الإبل " ، بخلاف " موتت الشاة " ، فهذا خطأ ، لأنَّ هذا الفعل لا يستقيم تكثيره بالنسبة للشاة² .

3 - المجال الصوتي :

اشتمل كتاب الفراء على وقفات مهمة في الجانب الصوتي ، وليس هذا بالمستبعد ، فالقرآن كتابٌ تواتر نقله بالمشافهة لا بالمكاتبة ، والعناية بسلامة النطق من أساسيات تلاوة النص الكريم ، وهذا وقد تناول الفراء قضايا صوتية تجلت في الآيات الكريمة من خلال ما يأتي :

أ - لا يزال الخط العربي على عهد الفراء في مرحله الأولى بحيث كان مجالا واسعا للاجتهاد ، من ذلك أن بعض كتاب المصاحف يلغون كتابة بعض الحروف عندما يكون

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 277

² - ابن الحاجب ، الإيضاح في شرح المفصل ، تحقيق : إبراهيم محمد عبد الله ، دار سعد الدين ، دمشق ،

ط2 ، 1431 هـ ، 2010 م ، 2 / 120

هناك إدغام بين حرفين ، فعوض أن يجرد الأول من الحركة ويشدد الثاني ، يقومون بإلغاء الأول تماما من الكتابة ثم يشدد الثاني ، وهذا ما أشار إليه الفراء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ النمل 22

يقول الفراء : " قال بعض العرب : أحطُّ ، فأدخل الطاء مكان التاء ، والعرب إذا لقيت الطاء التاء ، فسكنت الطاء قبلها ، صيروا الطاء تاءً ، فيقولون أحطُّ ، كما يحولون الظاء تاءً في قوله [تعالى] ﴿ أَوْعَتَّ أُمَّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾¹ ، والذال والذال تاءً مثل (وَأَخْتُمْ)² ، ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله (وَأَخْتُمْ)³.

كما يحدث خلاف بين المنطوق والمكتوب فيكتب الحرف في الكلمة لكنه لا ينطق ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴾ الطور 37

و ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ الغاشية 22

يقول الفراء : " كتابتها بالصاد ، والقراءة بالسين والصاد . وقرأ الكسائي بالسين ، ومثله : بصِطَّة⁴ ، بسِطَّة⁴ ، كتب بعضها بالصاد ، وبعضها بالسين . والقراءة بالسين في بسِطَّة⁴ ، وييسُطُ ، وكل ذلك أحسبه - قال - صواب .⁵

ب - التحليل الكافي لظواهر الإبدال والإدغام والتفريق بين لغات العرب في ذلك ، مثل ما ورد في كلمة " مذكر " من قوله تعالى :

﴿ وَأَقَدَّ تَرْكَانَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴾ القمر 17

يقول : " المعنى : مذكر ، وإذا قلت : " مُفْتَعِلٌ " فيما أوله ذال ، صارت الذال وتاء " الافتعال " دالا مشددة ، وبعض بني أسد يقولون : " مذكر " فيُغْلِبُونَ الذال فتصير ذالا مشددة .¹

¹ - الشعراء / 136 ، وهي في المصحف " أَوْعَطَّتْ "

² - آل عمران / 81 ، وهي في المصحف " وَأَخْتُمْ "

³ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 2 ، ص 289

⁴ - من قوله تعالى : ﴿ ... وَزَادَهُ بَسِطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ... ﴾ البقرة / 247

⁵ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 3 ، ص 93

ج - وفي خضم التفاتات الفراء الصوتية نجده ينبه إلى ظاهرة لغوية تعرف بـ " الاشتقاق الأكبر" وهو ارتباط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العام وترتيبها فقط²، جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾. التكوير 11 يقول الفراء: "نَزَعَتْ وَطُوِيَتْ"، وفي قراءة عبد الله: "قُشِطَتْ" بالقاف، وهما لغتان، والعرب تقول: القافور والكافور، والقَفُّ والكَفُّ، إذا تقارب الحرفان في المخرج، تعاقبا في اللغات، كما يقال: جدف وحدث، تعاقبت الفاءُ الثاءُ في كثير من الكلام، كما قيل:

الأثافي والأثافي .³

د - ومما له صلة بالجانب الصوتي في القرآن الكريم، نسجل انتباه الفراء إلى ظاهرة الفواصل القرآنية وأثرها في إحداث إيقاع صوتي جميل ميّز القرآن الكريم عما سواه، ولعل الفراء أول من أثار هذه القضية⁴، وصارت بعده مجالاً خصبا للدراسة، لذلك نجده يتخذ من فواصل القرآن تعليلاً لورود الآيات بشكل دون آخر، أو يقدمها دليلاً على استحبابه لقراءة ما . ونكتفي بهذين المثالين:

• نبه الفراء إلى سبب حذف ياء المتكلم من آخر الكلمة في بعض

الآيات، جاء في المعاني:

" وقال [تعالى على لسان] إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ إبراهيم 40، بغير ياء، وقال في سورة الملك: ﴿كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (الآية 18) و ﴿نَذِيرِ﴾ (الملك 17)،

¹ - الفراء، معاني القرآن، ج 3، ص 107

² - علي عبد الواحد والفي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 7 (د، ت) ص 184

³ - الفراء، معاني القرآن، ج 3، ص 241

⁴ - محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، مطبعة الأصيل، حلب (د ت) ص 37

وذلك أنهن رؤوس الآيات ، لم يكن في الآيات قبلهن ياء ثانية فأجرين على ما قبلهن ، إذ كان ذلك من كلام العرب.¹

- ربما مال الفراء إلى قراءة ما ، لأنه بها يتحقق توافق بين رؤوس الآي ، جاء في المعاني عند تفسير قوله تعالى :
﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّاخِرَةً ﴾ النازعات 11
" وقرأ أهل المدينة والحسن (نَخِرَة) ، و(نَاخِرَة) أجودُ الوجهين في القراءة ، لأن الآيات بالألف . ألا ترى أن (ناخرة) مع ﴿ الحافرة ﴾ (النازعات 10)
و ﴿ الساهرة ﴾ (النازعات 14) أشبه بمجيء التنزيل² .

4 - المجال الدلالي :

على الرغم من أن معاني القرآن كتاب لم يعتن فيه الفراء بتفسير الألفاظ عنايته بجوانب النحو والصرف ، إلا أننا نلمس فيه اهتماماً بالدلالة بين الحين والحين ، وقد ظهر ذلك في عدة صور ومواقف نذكر منها :

أ - الاكتفاء بالشرح المعجمي المباشر كما هو واضح في الأمثلة الآتية :

• قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ... ﴾ الحجر 19

أي دحوناها وهو البسط³ .

• قال سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ الحجر 26

يقول الفراء : " ويقال إن الصلصال طين حرٌّ خلط برمل فصار يصلصل كالفخار والمسنون : المتغير⁴ - والله أعلم - أخذ من سننت الحجر على الحجر ، والذي يخرج مما بينهما يقال له : السنين .

• وقد يعتمد الفراء الدقة أكثر في مثل ما يأتي :

يقول تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ الإنسان 17

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 201

² - الفراء ، معاني القرآن ، 3 / 231

³ - المصدر نفسه ، 2 / 86

⁴ - المسنون : تحتل عدة معان ، منها : المصقول ، المحكوك ، المتغير ، المنتن ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 224 ، 227 ، مادة : سَنَّ .

قال الفراء : " إنما تسمى الكأس إذا كان فيها الشراب ، فإذا لم يكن عليها الخمر لم يقع عليها اسم الكأس ، وسمعت بعض العرب يقول للطبق الذي يهدى عليه الهدية : هو المَهْدَى ، ما دامت عليه الهدية ، فإذا كان فارغا رجع إلى اسمه إن كان طبقا أو خوانا ، أو غير ذلك . " ¹

ب - اعتماد المقارنة بين لفظين تشابها في المعنى ، كما في تفسير قوله تعالى : ﴿

إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ البقرة 229

يقول الفراء : " ... والخوف والظن متقاربان في كلام العرب ، من ذلك أن الرجل يقول : قد خرج عبدك بغير إذنك ، فتقول أنت : قد ظننت ذلك ، وخفت ذلك ، والمعنى واحد . وقال الشاعر : ² (من الطويل)

أَتَانِي كَلَامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ وَمَا خَفْتُ يَا سَلَامَ أَنَّكَ عَائِبِي
وقال الآخر ³ : (من الطويل)

إذا مت فادْفِنِّي إلى جَنبِ كَرَمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنِّي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أُذَوِّقَهَا
والخوف في هذا الموضع كالظن . ⁴

ج - إرجاء شرح الكلمة حتى الفراغ من توضيح بنائها، كقوله :

" قوله (الأيكة) ⁵ قرأها الأعمش وعاصم والحسن البصري (الأيكة) بالهمز في كل القرآن . وقرأها أهل المدينة كذلك إلا في الشعراء ⁶ وفي ص ⁷ ، فإنهم جعلوها بغير ألف ولا م ولم يجروها . ونرى - والله أعلم - أنها كتبت في هذين الموضعين

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 3 / 217

² - الشاعر هو أبو الغول الطهوي وهو أبو البلاد ، والبيت في :

أبي حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 2 / 207

³ - وهو أبو محجن النقي ، ينظر ، البغدادي ، الخزانة ، 8 / 398 ، 402

⁴ - الفراء ، معاني القرآن ، ج 1 ، ص 146

⁵ - من قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ الحجر / 78

⁶ - في الشعراء ، الآية 176 ، وهي ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾

⁷ - في ص ، الآية 13 ، وهي ﴿ وَتَمُودُ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾

على ترك الهمز، فسقطت الألف لتحرك اللام . فينبغي أن تكون القراءة فيها بالألف واللام لأنها موضع واحد في قول الفريقين ، والأيكَة : الغيضة " .¹

د - عند إبراز دلالات الألفاظ ، لم ينس الفراء الإشارة إلى اختلاف لغات العرب ، جاء ذلك في قوله :

" وقوله (منسكاً)² و (منسكاً) ، قد قرئ بهما جميعاً ، والمنسك لأهل الحجاز والمنسك لبني أسد ، والمنسك في كلام العرب : الموضع الذي تعتاده وتألفه ويقال : إن فلان منسكاً يعتاده في خير كان أو غيره ، والمناسك بذلك سميت - والله أعلم - لترداد الناس عليها بالحج والعمرة .³

هـ - لم يرغب عن الفراء إشارته إلى ما عده بعضهم دخيلاً في القرآن ، جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ المومنون 11

قال الفراء : " قال الكلبي : هو البستان بلغة الروم . - قال الفراء - : وهو عربي أيضاً . العرب تسمى البستان الفردوس " .⁴

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 91

² - من قوله سبحانه : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ الحج / 67

³ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 231

⁴ - المصدر نفسه ، 2 / 231

الفصل الثاني : أصول اللغة عند الأخفش والفراء

المبحث الأول : النقل وأثره في التقعيد اللغوي عندهما

المبحث الثاني : القياس اللغوي وطريقة التوظيف

المبحث الثالث : الإجماع

إن الفصل بين اللغة العربية ونحوها لا يعني شيئاً بقدر ما هو أداة لتسهيل الدراسة ، خصوصاً في هذا المجال مجال الحديث عن الأصول ، لأنه لم يحدث انفصال بينهما البتة لدى متعلمي العربية ، فهما وجهان لعملة واحدة ❁ ، لكن ذلك لا يمنع من أن يتخصص العلماء في أحدهما دون الآخر ، فممن عرف بالرواية واشتهر بها أبو عمرو بن العلاء والمفضل الضبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وغيرهم . أما الخليل وسيبويه والكسائي والفراء وغيرهم فقد وصفوا بأنهم نحاة أكثر منهم أهل رواية ونقل . ولذلك جنح بعض كتاب الطبقات والتراجم إلى الفصل بين الفريقين ، فهذا الزبيدي (ت379 هـ) يضع مصنفه "طبقات اللغويين والنحويين، وهذا ابن قاضي شهباسة(ت851 هـ) يؤلف كتابه " طبقات النحاة واللغويين " ثم جاء بعدهما السيوطي (ت911 هـ) في " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " ¹ ، غير أن هذا التوجه في تأليف التراجم قليل إذا ما قورن بما سواه من التصنيف في طبقات النحاة أو تراجم الأعلام بوجه عام .

ثم إن الدافع إلى الفصل بين اللغة والنحو في مقام الحديث عن الأصول هو أنه على الرغم من أن أصولهما مشتركة غير أن هناك أصولاً يعتمد عليها في النحو أكثر منها في اللغة ، فالسمع أصل خدم اللغويين أكثر ، أما القياس فكان عمدة النحاة ، وقس على ذلك الإجماع والاستصحاب كلُّ وأهميته الخاصة في اللغة أو النحو ، وهذا ما سنتبته الدراسة إن شاء الله .

¹ - طلال علامة ، الطبقة والنحو ، دار الفكر اللبناني بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص77

❁ هكذا بدأ الموضوع للباحث أول مرة ، لكن تبين له بعد المناقشة أن أصول اللغة له جوانب أخرى ليس بالضرورة أن تتطابق مع أصول النحو ، وسأفرد لأصول اللغة بحثاً مستقلاً إن شاء الله .

المبحث الأول : النقل وأثره في التقعيد اللغوي عندهما

عندما شرع العلماء يضعون للعربية قواعدها ويشرحون غوامضها لم يكن لهم من وسيلة - في البداية - يعتمدونها غير الأخذ عن العرب والرواية عنهم . وهذا ما اصطح عليه بالنقل أو السماع .

ظهر هذا المصطلح في شكله التطبيقي على أيدي الأوائل من النحاة واللغويين ، عندما كانوا يستدلّون بما سمعوه من العرب على صحة ما يذهبون إليه من آراء أو قواعد في النحو واللغة ، ولم يرد هذا المفهوم مصطلحا بارزا مستقلا إلا على يد المتأخرين من الأصوليين ، يقول عنه أبو البركات بن الأنباري (ت577هـ): " النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة " ¹ ، أما السيوطي (ت911هـ) فيعرفه بقوله : " وأعني به (يقصد السماع) ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمّل كلام الله تعالى وهو القرآن ، وكلام نبيه ﷺ وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر ، فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت " ² .

هذا وإن اختلف أبو البركات بن الأنباري مع السيوطي في المصطلح إلا أنهما لم يختلفا في مضمونه ، فهو - أي السماع أو النقل - عندهما يشمل : القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ وكلام العرب الذي حصروه زمانيا في ما صار يعرف بعصور الاحتجاج ، أما الشرط الذي يجمع هذه الثلاثة فهو ثبوت السند ، ثم إن السيوطي نفسه يقرّ بأن ما أسماه " السماع " ، هو نفسه " النقل " عند ابن الأنباري والذي كان سابقا للسيوطي في الحديث عنه ، يقول السيوطي : " بعد أن حررت هذا الباب بفروعه - يقصد السماع -

¹ - ابن الأنباري ، لمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، 1377هـ/1957 ، ص 81 ،

² - السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق : أحمد سليم الحمصي ، محمد أحمد قاسم ، طبع جروس برس ، ط1 1988 ص 36

وجدت ابن الأنباري قال في أصوله : " أدلة النحو ثلاثة : نقل وقياس واستصحاب حال ، فالنقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول ..."¹

هكذا يصبح النقل أو السماع أصلاً ثابتاً من أصول العربية باتفاق علمائها على مر العصور ، وهو السابق للقياس دون شك ، فإذا كان القياس وسيلة للتفصيل اللغوي فإن السماع أو النقل مادته التي يقوم عليها ، فضلاً عن كون السماع مقدماً على القياس في كل الأحوال ، يقول ابن جني : " إذا أدّك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه "²

ولنتناول الآن عناصر السماع الثلاث :

القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب

¹ السيوطي ، الاقتراح ص 64

² - الخصائص ، ابن جني . تحقيق : عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 2002 ، 156/1

أولا : القرآن الكريم وقراءاته

أجمع علماء العربية على أن القرآن الكريم هو النص العربي الصحيح الفصيح المنقول إلينا بالتواتر نقلا خرج عن حد القلة إلى حد الكثرة ، لذلك فهو أصل ثابت من أصول هذه اللغة ، لكن :

كيف تعامل النحاة واللغويون مع القرآن الكريم ؟ وتحديدًا كيف تعامل الأخفش والفراء مع القرآن الكريم ؟ وكيف استفادا منه في خدمة اللغة العربية ؟
إن الإجابة عن هذه التساؤلات تقتضي منا أن نعود إلى العصر الذي عاش فيه الرجلان ، وأن نستجلي مكانة القرآن عند الناس في تلك الفترة .

في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وأوائل الثالث ، لا يزال القرآن يومها غضا طريا ، يتلوه التابعون الذين سمعوه مشافهة عن الصحابة (ر) ، كما أن لغة القرآن لم تزال قريبة من عربية ذلك العصر فهم في غالب الأحيان يتذوقون القرآن ويتجاوبون معه دونما حاجة إلى تفسير، والأمر الملفت للنظر في هذا العهد أن الناس كانوا يقرؤون القرآن بحسب ما يتيسر لهم .

فالفراء كانت له قراءة يشيد بها أحيانا بقوله " في قراءتنا " أو " بذلك نقرأ " ، وربما استهجن قراءة غيره - كما سنبين ذلك لاحقا - أما الأخفش فكان يختار من القراءات ما يطيب له ويترك غيرها وهو الآخر يقول " في قراءتنا " .

هذا كله يعني أننا في عصر لم تختصر فيه القراءات بعد إلى سبع أو عشر أو أقل من ذلك أو أكثر ، فلم يحدث هذا التحديد إلا في القرن الرابع للهجرة على يد العلامة المقرئ أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت324هـ) ، وقبل ذلك لم تكن القراءة إلا طريقة في قراءة القرآن الكريم ، صادفت ميلا وانسجاما لدى القارئ بحسب خصوصياته اللغوية وبحسب ما رواه عن شيخه بسند يتصل بالنبي ﷺ ، ولذلك كثيرا ما كان الناس في ذلك العهد يستتكفون من أن يقال " قراءة فلان " بل كانوا يقولون " فلان قرأ بوجه كذا "

و " فلان يقرأ بوجه كذا " ¹ ، وهنا لابد أن نشير إلى مسألة ذات بال ولعلها كانت الأساس

في موقف اللغويين والنحاة من القرآن الكريم وقراءاته وهي :
ما الفرق بين القرآن الكريم وقراءاته " هل القرآن شيء والقراءات شيء آخر ؟ وإذا اختلفا فهل يجوز في القراءات ما لا يجوز قوله في القرآن ؟
ذهب الزركشي على خلاف الجمهور، إلى أن القرآن شيء والقراءات شيء آخر ، يقول : " واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتنقيل وغيرها " ²

يظهر أن الزركشي في فصله بين القرآن والقراءات اعتمد على الجانب الشكلي الظاهري ، فإذا كان القرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ فإن قراءاته ليست إلا طريقة في تلاوة هذا الكتاب بحسب ما روي عن النبي محمد ﷺ ، ويبدو أن هذا الفهم البريء في التفريق بين القرآن والقراءات دفع ببعض الباحثين المحدثين إلى أن يجعل للقرآن صورتين :

صورة القرآن الموحد ، وصورة القرآن المتعدد ، أي القراءات القرآنية ³ . ولا ينبغي أن يفهم هذا التفريق البريء بين القرآن والقراءات فهما غريبا ، كأن يتحول القرآن الكريم بقراءاته إلى شيين : قرآن موحد ، وقراءات قرآنية ، وهو تفريق يأباه هذا الكتاب الكريم ، فهذا الذي سمي قرآنا موحدا ، وأليس هو في حد ذاته قراءة ؟

والسواد الأعظم من العلماء على أن القراءة توقيفية ، وهي سنة متبعة ⁴ . غير أن الميل إلى قراءة دون أخرى لا يعني بالضرورة رفض الأخرى ، فاختيار القراءة شيء ورفضها أو إنكارها شيء آخر ، فقد أثر عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أنه لم يرض بقراءة حمزة لما فيها من طول المد وغيره فقال " لا تعجبني " ¹

¹ - مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1421هـ / 2000 م

39/ 1

² - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) ، 318/1

³ - محمود أحمد نحلة ، أصول النحو العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2002 ، ص34

⁴ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 1 / 321

فالقراءات إذن ليست إلا صورة من صور قراءة القرآن رويت عن كبار القراء الذين تلقّت الأمة قراءاتهم بالاستحسان والقبول هؤلاء هم :

1 - عبد الله بن عامر اليحصبي (ت118هـ)

2- عبد الله بن كثير (ت120هـ)

3- عاصم بن بهدلة الأسدي (ت128هـ)

4- أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)

5 - حمزة بن حبيب الزيات (ت156هـ)

6- نافع بن نعيم المدني (ت169هـ)

7- علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ)

ثم زاد العلماء الأمر تمحيصا وتدقيقا فوضعوا للقراءة شروطا هي :

1- صحة السند عن رسول الله ﷺ ، وإذا اختل هذا الشرط فالقراءة باطلة مرفوضة ، وهو شرط أساسي لدى القراء .

2- موافقة العربية بأي وجه من الوجوه سواء أكانت هذه الموافقة في الفصح بدل الألفصح أو في القليل الاستعمال بدل الشائع وإذا فقد هذا الشرط كانت القراءة ضعيفة ، وهو شرط معتدّ به كثيرا لدى النحاة .

3- موافقة المصحف العثماني ولو احتمالا ، فإذا خالفته كأن تشتمل القراءة على كلمات زائدة أو أحرف صارت القراءة شاذة ، غير أن حصر القراءات في سبع وفق شروط معينة يستلزم ملاحظات هي :

- تواتر القراءات أمر مختلف فيه فهي متواترة عند الجمهور وقيل مشهورة ، والتحقيق - كما ذكر الزركشي - أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر ، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة² .

¹ - المصدر نفسه ، 1 / 320

² - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 1 / 319

- اختيار القراءات اجتهاد فردي قام به شيخ القراء في بغداد العلامة أبو بكر بن مجاهد (ت324 هـ) ، ولم يكن متسع الرواية والرحلة كغيره¹ . والسبب في اشتها السبعة دون غيرهم أن الخليفة عثمان ؓ لما كتب المصاحف ووجهها إلى الأمصار، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيري العدد ، أراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة والنقل وحسن الدين وكمال العلم ، قد طال عمره واشتهر أمره وأجمع أهل مصر على عدالته ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان ؓ مصحفاً إماماً هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسواها...²
- الأصل في الأمر الإطلاق " فاقروا ما تيسر منها " ، فكأننا بالجيل الذي ضم الأخفش والفراء وأضربهما قد فهما هذا الحديث حق الفهم ، فراح كل من هؤلاء يقرأ القرآن بالصورة التي تتيسر له فتراه يعتز بهذه الصورة تارة ، ويبيدي رأيه في قراءة غيره تارة أخرى ، أو ربما استهجن قراءة غير قراءته لمخالفتها العربية أو لغرابتها ...

1 - مكانة القرآن الكريم عند الأخفش والفراء

إن المتأمل للكتابين " معاني القرآن " يحس أن مؤلفيهما يقفان من القرآن الكريم موقف التقديس والإجلال بمعنى أنه ليس ذلك الكتاب المعروض للتحليل والتفسير كيفما اتفق دونما ضوابط وآداب تحفظ له مكانته في نفوس المسلمين ، نلمس هذا الإحساس من خلال الملاحظات الآتية :

1-يحاول المؤلفان الكشف عن خصوصيات القرآن اللغوية والميزات التي يتميز بها وتسري في كل آياته ، فنجد الأخفش يقول :

¹ - المصدر نفسه ، 1 ، 327/

² - نفسه ، 2 / 329

"وأشبه هذا في القرآن كثير" ¹ "وكذلك هو في كل موضع من القرآن ...

وهذا في القرآن كثير" ² "وكذلك جميع ما في القرآن" ³ وللتوضيح نورد

المثال الآتي :

يتناول **الأخفش** مسألة التقديم والتأخير في القرآن مبرزاً علاقة ذلك بالمعنى .

جاء في قوله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

الأعراف 1

يرى أن تأويلها : (كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ لَتُنذِرَ بِهِ ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) .

ومثلها قوله تعالى :

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ النمل 28

والمعنى - في رأيه - : (فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ)

وكذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ النحل 43 ، 44

والمعنى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ فَاسْأَلُوا أَهْلَ

الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

وهكذا يقرر الأخفش أن هذا كثير في القرآن تفهم الآية بإدراك ما فيها من تقديم أو

تأخير .

أما **الفراء** فينهج نفس النهج ويجتهد في إبراز ما هو وارد في القرآن بكثرة ،

تجعله ميزة من ميزاته ، فتراه يقول :

" ومثلها في القرآن كثير " ¹ " كلما كان في القرآن ... " ² " وأشبه ذلك في

¹ - الأخفش ، معاني القرآن 4/1

² - نفسه ، 27/1

³ - نفسه ، 120 /1

القرآن " 3

فمثلا يكشف الفراء عن سر من أسرار لغة القرآن عندما يتأمل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ البقرة 41

فكأنه يتساءل قائلاً : لِمَ نصب الثمن وأدخلت الباء في المبيع ؟

أو لِمَ لَمْ يقل : "لا تشتروا آياتي بثمن قليل " ؟

يقول الفراء :

"... كل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن ، وأدخلت الباء في المبيع⁴

أو المشتري ، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشئيين لا يكونان ثمنا معلوما مثل الدنانير

والدراهم ، فمن ذلك اشتريت ثوبا بكساء ، أيهما شئت تجعله ثمنا لصاحبه لأنه ليس

من الأثمان ، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على

هذا ، فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كما قال [تعالى] في

سورة يوسف :

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ يوسف 20 .⁵

2- يذهب المؤلفان في كتابيهما إلى إثبات أنه ما من لفظ أو تركيب في القرآن الكريم

إلا وله ما يبرر استعماله عند العرب ، فتجد الأخفش يورد مثل هذه العبارات

في كتابه :

" وذلك أن العرب تقول " ⁶ وذلك موجود في كلام العرب " ⁷ " وقد قالت العرب "

" ⁸ وهو كثير في كلام العرب " ¹ ...

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 35/1

² - نفسه ، 30 / 1

³ - السابق ، 98 / 1

⁴ - (المبيوع) كذا وردت في كتاب الفراء طبعة عالم الكتب ، والأمر نفسه مع طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا / 1 / 20 .

⁵ - الفراء ، المعاني ، 30 / 1

⁶ - الأخفش ، معاني القرآن 19 / 1

⁷ - نفسه 21 / 1

⁸ - نفسه 36 / 1

والأمر نفسه عند الفراء فيتردد كثيرا قوله :

" كثير في كلام العرب " ² " إن العرب لتجمع بين الحرفين . " ³ " العرب تقول " ⁴ .

وما في القرآن من كلام العرب لم يكن على درجة واحدة من حيث الاستعمال ، ففي

القرآن من كلامهم ما هو كثير الاستعمال :

- جاء في كتاب الأخفش :

" وقال بعضهم " فَأَجْمَعُوا " لأنهم ذهبوا به إلى العزم ، لأن العرب تقول أجمعت

أمري أي أجمعت على أن أقول كذا وكذا أي عزمت عليه ⁵

- جاء في كتاب الفراء من تفسير قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ البقرة 29

" الاستواء في كلام العرب على جهتين : إحداهما أن يستوي الرجل وينتهي

شبابه أو يستوي عن اعوجاج ، فهذان وجهان ، ووجه ثالث أن تقول : كان مقبلا

على فلان ثم استوى عليّ يشاتمني .. ⁶

وفي القرآن من كلام العرب ما هو قليل الاستعمال

- جاء في معاني الأخفش من تفسير قوله تعالى :

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ البقرة 61

أن العرب يختلفون في همز " النبي " واختلفت القراءات تبعاً لذلك ، لكنهم يجتمعون

على ترك همز " المنسأة " ، ولا يكاد أحد يهزها إلا في القرآن ⁷ ، فإن أكثر القراء

قرأها بالهمز ⁸ .

¹ نفسه 1/ 134

² - الفراء ، معاني القرآن 1/ 14

³ - نفسه 1/ 37

⁴ - نفسه 1/ 252

⁵ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2/ 346

⁶ الفراء ، معاني القرآن ، 1/ 25

⁷ - ذلك في قوله تعالى : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾ سبأ 14

قرأ نافع وأبو عمرو (منسأته) دون همز ، وقرأ ابن ذكوان وجماعة (منسأته) بهمزة ساكنة ، وقرأ باقي

السبعة بالهمز مفتوحة . ينظر : البحر المحيط ، 7/ 256

⁸ - الأخفش ، المعاني ، 1/ 100

- كما جاء في معاني الفراء من تفسير قوله تعالى:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ آل عمران 113

يقول الفراء :

" ذكر أمة ولم يذكر بعدها أخرى ، والكلام مبني على أخرى ... وقد تستجيز

العرب إضمار أحد الشئيين إذا كان في الكلام دليل عليه . " ¹

3 - أثبت كلُّ من الأخفش والفراء في كتابيهما أنه يحسن أحيانا في العربية ما لا

يحسن في القرآن ، وتعليل ذلك ظاهر ، وهو يعود إلى سببين هما :

- لغة القرآن قائمة على السماع وصحة السند ، فما صحَّ سنده لا تبطله قواعد العربية .

- يدعم لغة القرآن رسم المصحف وهو دليل مأخوذ به في قبول القراءة .

فمما هو شائع في العربية غير مقبول في القرآن قول العرب " أخراتكم " يعنون بها " الآخرة " .

يقول الفراء في معرض قوله تعالى :

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ آل عمران 153

" ومن العرب من يقول " أُخْرَاتِكُمْ " ، ولا يجوز في القرآن لزيادة التاء فيها على كتاب المصاحف ² .

والأمر نفسه مع الأخفش عندما يترك كثير الاستعمال في كلام العرب إلى ما ذهب

إليه جمهور القراء ، بدا ذلك في قوله تعالى :

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الأعراف 201

يقول : " والطيف أكثر في كلام العرب ، وقال الشاعر ³ : (المتقارب)

أَلَا يَا لِقَوْمٍ لَطِيفِ الْخِيَالِ أَرَقَّ مِنْ نَارِحِ ذِي دَلَالِ

¹ - السابق 230 / 1

² - نفسه 239 / 1

³ - البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي ، ينظر: البغدادي ، الخزانة ، 2 / 429 ، 435 ، 436

ونقروها " طائف " ¹ لأنّ عامّة القراء عليها ²

2 - القراءات القرآنية في كتابي الأخفش والفراء

ازدحمت القراءات القرآنية في الكتابين ، فلا يبرح الأخفش أو الفراء الآية حتى يبرزوا أوجه الخلاف في قراءتها وعلاقة ذلك باللغة العربية ، والقراءات المشار إليها في الكتابين ليست تلك التي أحدثت في القرن الرابع للهجرة فحسب إنما تعددت وتنوعت ، ففيها قراءات منسوبة لكبار الصحابة من أمثال أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعمر وابن عباس وغيرهم وكذلك كبار التابعين كالحسن البصري وعبد الله بن المبارك والنخعي وغيرهم ، وما كان يرى الأخفش والفراء في نسبة القراءة إلى صاحبها ضرورة ، فكثيرا ما تنسب القراءات إلى مجاهيل نحو قولهما " ومن قرأ " " كقراءة من قرأ " " وقرأ بعضهم " .

هذا وإن لتعدد القراءات في الكتابين له ما يبرره ، من ذلك :

- إن تحديد القراءات بالسبع أو العشر إنما حدث بعد عصرهما - كما أسلفنا فليس هناك مانع من الاعتداد بكل القراءات الشائعة والمتداولة في ذلك العصر .

- إن الدافع إلى تناول القراءات المختلفة إنما هو تعدد أوجه العربية في التركيب الواحد ، ومهمة الأخفش والفراء هي تقديم سندي لغوي لتلك القراءات مما يثبت أن القرآن نزل بلغة العرب ، بل قد يكون للعربية من الأوجه ما لا وجود له في القرآن ، لذلك كثيرا ما نجد في الكتابين قولهما :

" ولو قرئ به لجاز " لم أسمع أحدا قد قرأ به "

بقي أن نشير إلى أن عرض القراءات في الكتابين دفع بمؤلفيهما إلى عدم استثناء ما صار يعرف بالقراءات الشاذة ، هذه القراءات التي اختل فيها شرط من شروط صحة

¹ - قرأ النحويان (أبو عمرو والكسائي) وابن كثير " طيف " وقرأ باقي السبعة " طائف " ، ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 4 / 445

² - الأخفش ، المعاني ، 2 / 316

القراءة ، وأجمعت الأمة على منع التعبد بها ، لكن مع ذلك فإن للقراءات الشاذة مكانها في الكتابين .

فالفراء اهتم بها اهتماما ملفتا للنظر ، فلا يغادر صفحة من كتابه إلا ونبه فيها إلى قراءة عبد الله بن مسعود خاصة ، وبين الحين والآخر يشير إلى قراءات شاذة أخرى كقراءة عائشة وأبي بن كعب رضي الله عن الجميع .

وأهمية قراءة عبد الله بن مسعود واضحة في كتاب الفراء فهو يستعين بها على تفسير بعض القضايا اللغوية أو الكشف عن مدلولات الآيات ولنضرب لذلك المثالين الآتيين :

• قوله سبحانه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة 66

جاء في قراءة عبد الله (بل يدها بسطان) يقول الفراء :

العرب تقول : " ألق أخاك بوجه مبسوط وبوجه بسط¹

• قوله تعالى : ﴿ بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ النساء 80

جاء في قراءة عبد الله (بَيْتَ مُبَيِّتٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ)

يقول الفراء : " ومعناه غيروا ما قالوا وخالفوا " ²

أما الأخفش فإنه لم يهمل هذا النوع من القراءات ، فقد كان يشير إليها في كتابه أحيانا ، ويظهر أنه لم يولها من الأهمية ما أولاهها الفراء ، فمما ورد في كتاب الأخفش :

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقرة 196

يقول الأخفش :

" فإنما قال : عشرة كاملة وقد ذكر سبعة وثلاثة ، ليخبر أنها مجزية ، ليس ليخبر عن عدتها .. وقد ذكروا أنه في حرف ابن مسعود : (تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً أُنتَى)

وذلك أن الكلام يؤكد بما يستغنى به عنه . " ³

هذا إذا موقع القراءات القرآنية على اختلافها جملة في الكتابين ، فما موقف الأخفش والفراء من القراءات القرآنية تفصيلا ؟

¹ - الفراء ، معاني القرآن 1 / 315

² - نفسه 1 / 279

³ - الأخفش ، معاني القرآن 1 / 163

الأخفش والقراءات

بدا موقف الأخفش من القراءات القرآنية في صور متعددة هي :

1- قد تستوي القراءتان عنده أو الثلاث أو الأكثر قبولا واستحسانا ، فتراه لا يفاضل بينها ، من ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ رَبِّبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ ﴾ التوبة 110

يقول الأخفش : " و (تَقَطَّعَ) في قول بعضهم¹ ، وكلُّ حسن² "

• قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) البقرة 106

فكلمة " ننسها " في الآية الكريمة تُقرأ :

"نُنْسِهَا" و " نَنْسَأُهَا " و " نَنْسَهَا " والتي تتفق كلها في معنى " التأخير "³ وقد عقب الأخفش على كل ذلك بقوله : " وكلُّ صواب "⁴.

2- قد يعرض القراءات المختلفة في الآية الواحدة دون أي تعليق أو يكتفي بتبرير ما

هو موجود .ومما جاء في كتابه :

• قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ ﴾ التوبة 117

¹ - قرأ ابن عامر وحمزة وحفص (إلا أن تَقَطَّعَ) بفتح التاء ، وباقي السبعة بالضم ، مضارع قَطَعَ " مبني للمفعول . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 5 / 105

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 337 ينظر أيضا 2 / 428

³ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو " نَنْسَأُهَا " ، وقرأ باقي السبعة " نُنْسِهَا " ، وقد أورد لها أبو حيان إحدى عشرة قراءة ، ينظر : أبو حيان ، البحر ، 1 / 513

⁴ - نفسه 1 / 143

يقول : " وقال بعضهم (يَزِيغُ)¹، جعل في كاد وكادت اسما مضمرًا ورفع القلوب على " تزيغ " .²

• قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ هود 41

يقول : " إذا جُعِلت من أَجْرِيَّت وأرسيَّت (يقصد قراءة " مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) ، وقال بعضهم (مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)³ إذا جعلت من جَرِيَّت ، وقال بعضهم (مَجْرِيَّهَا وَمُرْسِيَّهَا) لأنه أراد أن يجعل ذلك صفة لله عز وجل .⁴

3- قد يصرح باختياره لقراءة ما ، وهذا يحتمل صورتين :

أحيانا يبرر سبب الاختيار ، وأحيانا أخرى لا يقدم مبررا لذلك .
فأما تبريره فالأسباب عنده متعددة .

• فقد يكون السبب موافقة المصحف ، كاختياره قراءة " دَرَسَتْ " بدلا

من " دَارَسَتْ " من قوله تعالى :

﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾⁵ الأنعام 106
وهذا لأنها أوفق للكتاب .⁶

• وقد يكون السبب جودة المعنى وشيوع القراءة كاختياره قراءة " عَدَّوًّا "

بدلا من " عَدَّوًّا " في قوله سبحانه :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾⁷ الأنعام 109
لأن الأولى - كما قال - أكثر في القراءة وأجود في المعنى .⁷

¹ - قرأ حمزة وحفص " يزيغ " بالياء ، وقرأ باقي السبعة بالتاء . ينظر : أبو حيان ، البحر ، 5 / 111

² - الأخفش ، المعاني ، 2 / 338

³ - قرأ الجمهور من السبعة مجراها بضم الميم ، وقرأ الأخوان (حمزة والكسائي) وحفص بفتحها ، وكلهم ضم ميم مُرْسَاهَا ، وقرأ ابن مسعود والأعمش وآخرون مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا بفتح الميمين ، وقرأ الضحاك والنخعي وابن وثاب وآخرون مُجْرِيَّهَا وَمُرْسِيَّهَا اسم فاعل من أجرى . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 5 / 225

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 352 ، 353

⁵ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو " دَارَسَتْ " وقرأ ابن عامر وجماعة من غير السبعة " دَرَسَتْ " ، وقرأ باقي السبعة " دَرَسَتْ " ، ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 4 / 200

⁶ - نفسه ، 1 / 285

⁷ - نفسه 1 / 285

• وقد يختار القراءة دون سبب يذكره من ذلك :

ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ¹ ﴾ الأنعام 56
حيث يورد لغتين " ضَلَلْتُ " و " ضَلَلْتُ " أو لاهما بالفتح والثانية بالكسر ، ويختار
الأولى قائلاً : " ونقرأ بالمفتوحة " ² .
أو من قوله تعالى : ﴿ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام 86
فـ " اليَسَعَ " يقرأها " بعضهم " اللِّيْسَع ³ ، يختار الأخفش الأولى قائلاً :
" ونقرأ بالخفيفة " ⁴

4- قد تكون القراءة مفضلة عنده ولكنها ليست القراءة التي اختارها بالضرورة
كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً ⁵ ﴾ النساء 12
يقول : " ولو قرئت " يُورثُ " كان جيِّداً " ⁶ .

5- ربما أعرب عن عدم رضاه عن القراءة مع تعليل ذلك .
ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة 279
لا يرى أبو الحسن جواز قراءة " ميسرة " ⁷ بضم السين لأنه ليس في الكلام " مَفْعُل " ⁸ .
و لا يجد الأخفش غضاضة في أن يصرح بأن في القراءة لحنا لا تعرفه العرب ،
فقد علق على قراءة الكسر عند الأعمش في قوله تعالى :

¹ - قرأ السلمي وابن وثاب وطلحة " ضَلَلْتُ " بكسر فتحة اللام ، وهي لغة . ينظر :

أبو حيان ، البحر ، 4 / 202

² - الأخفش ، المعاني ، 2 / 276

³ - قرأ الجمهور " واليَسَعَ " ، وقرأ الأخوان (حمزة والكسائي) " واللِّيْسَع " على وزن فيعل نحو الضيِّعَم ، ينظر :

أبو حيان ، البحر ، 4 / 178

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 281

⁵ - قرأ الجمهور " يُورثُ " بفتح الراء مبنيا للمفعول من أورث ، وقرأ الحسن كسرهما مبنيا للفاعل من أورث أيضا

. ينظر : أبو حيان ، البحر ، 3 / 197

⁶ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 232

⁷ - قرأ نافع " مَيْسَرَةٌ " بضم السين ، وقرأ الباقر بفتحها ، ينظر : أبو حيان ، البحر ، 2 / 355

⁸ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 188

﴿ ما أنا بمُصْرَخِكُمْ وما أنتم بمُصْرَخِي ﴾ إبراهيم 24

وذلك بقوله : "وبلغنا أن الأعمش قال "بِمُصْرَخِي" فكسره ، وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو. " ¹

تلك كانت مواقف متنوعة لأبي الحسن من القراءات ، إلا أن علاقة الأخفش بالقراءات لا تنحصر في الاستحسان والقبول أو الإنكار والرفض ، إنما القراءة عنده كانت أصلاً من أصول اللغة يعتمد عليها ، ويستدل بها ، بدا ذلك واضحاً في مجالي : الدلالة والصوت .
فما ورد عنده في مجال الدلالة وعلاقته بالقراءات ، نورد الأمثلة الآتية :

• لفظة " ثمود " من قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ هود 68

هذه اللفظة ترد مصروفة في قراءة وغير مصروفة في أخرى ² .

فمن صرفها جعلها اسم أبيهم أو اسم الحي ، ومن منعها من الصرف جعلها اسم القبيلة ، يقول أبو الحسن :

" وإنما صرفت لأنه جعل " ثمود " اسم الحي أو اسم أبيهم ، ومن لم يصرف جعله اسم القبيلة ، وقد قرئ هذا غير مصروف ³ .

• الفعل " تَلُّوْا " من قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا ﴾ النساء 135

فهو من : لَوَى ، يلوي ، وهذه قراءة أغلب القراء .

أما " تَلُّوْا " ⁴ ، فقد عدّها الأخفش لحناً ، لأنها من الولاية ، إلا على إضمار عليهم ، وهذا جائز . يقول :

¹ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 375

² - (ألا إن تمود) منع حمزة وحفص صرفه ، وصرفه الباقر ، ينظر : أبو حيان ، البحر ، 5 / 241

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 355

⁴ - قرأ جماعة في الشاذ ، وابن عامر وحمزة ، وإن تلوا ، بضم اللام ، بواو واحدة ، يرد أبو حيان على من لحن هذه القراءة قائلاً : " ولحن بعض النحويين قارئ هذه القراءة ، وهذا لا يجوز لأنها قراءة متواترة في السبع .. "

ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 3 / 386

" (إِنْ تَلُّوا) فَإِنْ كَانَتْ لُغَةً ، فَهِيَ لِاجْتِمَاعِ الْوَاوَيْنِ ، وَلَا أَرَاهَا إِلَّا لِحْنًا ، إِلَّا عَلَى مَعْنَى الْوِلَايَةِ ، وَلَيْسَ لِلْوِلَايَةِ مَعْنَى هَهُنَا إِلَّا فِي قَوْلِهِ : (وَإِنْ تَلُّوا عَلَيْهِمْ) فَطَرَحَ " عَلَيْهِمْ " فَهُوَ جَائِزٌ " .¹

• لفظة " الْجَنْبُ " ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْجَارِ الْجُنْبِ ﴾ النِّسَاءُ 36

قَرَأَ بَعْضُهُمْ (وَالْجَارِ الْجُنْبِ)² ، يَرَى أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ لَافْرَقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى ، فَـ " الْجَنْبُ " : الْمَتَّحِي عَنِ الْقَرَابَةِ ، وَـ " الْجُنْبُ " : الْمَجَانِبُ لِلْقَرَابَةِ .³

أَمَّا مَا وَرَدَ عَنِ أَبِي الْحَسَنِ فِي الْمَجَالِ الصَّوْتِيِّ وَعِلَاقَتِهِ بِالْقَرَاءَاتِ ، فَنُورِدُ مِنْهُ الْأَمْثَلَةَ الْآتِيَةَ :

• قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَضْرِكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾ آلِ عِمْرَانَ 120

يَفْصَلُ الْأَخْفَشُ فِي قَرَاءَاتِ (لَا يَضْرِكُمْ)⁴ ، مَبِينًا مَا بَيْنَهَا مِنْ فُرُوقٍ ، يَقُولُ :

" (لَا يَضْرِكُمْ) لِأَنَّهُ مِنْ ضَارَ ، يَضِيرُ ، وَضِرَّتُهُ ، خَفِيفَةٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ

(لَا يَضْرِكُمْ) جَعَلَهُ مِنْ ضَرَّ ، يَضُرُّ ، وَحُرْكَ لِلسُّكُونِ الَّذِي قَبْلَهُ ، لِأَنَّ حَرْفَ التَّنْقِيلِ

بِمَنْزِلَةِ حَرْفَيْنِ ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا سَاكِنٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ (لَا يَضْرِكُمْ) جَعَلَهَا مِنْ ضَارَ ، يَضُورُ ، وَهِيَ لُغَةٌ .⁵

• قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ ﴾ الْبَقَرَةُ 54

يُخَطِّئُ أَبُو الْحَسَنِ مِنْ قَرَأَ (بَارِيكُمْ) بِتَسْكِينِ الْهَمْزَةِ⁶ ، فَالْأَصْلُ فِي رَأْيِهِ تَخْفِيفُهَا لَا

تَسْكِينُهَا ، يَقُولُ : " وَقَدْ قَرَأَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْهَمْزَةَ بِالتَّخْفِيفِ ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَبَيْنَ

¹ - الأخفش معاني القرآن ، 1 / 147

² - قرأ عاصم في رواية المفضل عنه " والجار الجنب " بفتح الجيم وسكون النون ومعناه : البعيد ، ينظر :

أبو حيان ، البحر ، 3 / 255

³ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 237

⁴ - قرأ الحرميان (نافع وابن كثير) وأبو عمرو وحزمة في رواية عنه لا يَضْرِكُمْ مِنْ ضَارَ يَضِيرُ ، وَيَقَالُ ضَارَ

يَضُورُ ، وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ (عاصم وحزمة والكسائي) وابن عامر لا يَضْرِكُمْ ، بضم الضاد والراء المشددة ، من

ضَرَّ يَضُرُّ ، يَنْظُرُ : أَبُو حَيَانَ ، الْبَحْرُ ، 3 / 46

⁵ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 214

⁶ - قرأ أبو عمرو بتسكين الهمزة . ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 1 / 386

الياء ، وقد زعم قوم أنها تجزم ، ولا أرى ذلك إلا غلطاً منهم ، سمعوا التخفيف فظنوا أنه مجزوم ، والتخفيف لا يُعرف إلا بمشاهدة ولا يعرف في الكتاب .¹

الفراء والقراءات

بدا موقف الفراء من القراءات في كتابه " معاني القرآن " كما يأتي :

1- للفراء قراءته التي يعتد بها ، فكثيرا ما يقول : " وهي في قراءتنا " ² ، وربما أعجب بقراءته فقال : " فالرفع في قراءتنا أجود من النصب " ³ ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ ﴾ ⁴ الأنعام 27

و لا يرى الفراء بأسا في أن ينفي عن قراءته ما ليس منها فيقول : " وليس في

قراءتنا " ، يريد ما جاء في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي من إضافة " أن " إلى

قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ (أن) يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ

لَكُمْ الدِّينَ ﴿ البقرة 131

ومع ذلك يعقب على قراءته وقراءة عبد الله وأبي بقوله " وكلُّ صواب " ⁵

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 93

² - الفراء ، معاني القرآن 1 / 258 و 331 و 375

³ - نفسه ، 1 / 276

⁴ - قرأ ابن عامر وحمزة وحفص (ولا نُكذِّبُ ... وَتَكُونُ) بالنصب فيهما ، وقرأ باقي السبعة بالرفع فيهما ،

ينظر : أبو حيان ، البحر ، 4 / 106

⁵ - الفراء ، المعاني ، 1 / 80

ومثل ذلك قوله : " ولا يجتمع في قراءتنا وقراءة أبي إلا على صواب " ¹

2- القراءات في كتاب الفراء كثيرة متنوعة ، منها ما هو من السبعة ومنها غير ذلك ، واهتمام أبي زكريا بقراءة ابن مسعود - إحدى القراءات الشاذة - اهتمام واضح جداً ، لا ينسى الإشارة إليها في أغلب الآيات التي يتناولها ، ومع عبد الله ابن مسعود يكثر من ذكر أصحاب عبد الله ، وهم : حمزة وخلف والكسائي ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى شيوع هذه القراءة في الكوفة بلد الفراء ² : ومع قراءة ابن مسعود يكثر من ذكر قراءة أبي بدرجة أقل وهي من القراءات الشاذة أيضا .

3 - عناية الفراء بالقراءات غير خافية كما أسلفنا ، وكتابه " معاني القرآن " كتاب في اللغة وليس كتابا في القراءات ، واهتمامه بها يعني اهتمامه بالعربية وأوجهها المختلفة ، والتي لا تعتمد القراءة إلا إذا وافقت العربية ، وهو ما اشتراطه العلماء ذلك الذين جاؤوا بعد الفراء ، ولذلك تراه في كتابه يتخذ من نفسه حكما في القراءات ، فمن وجوه القراءات ما هو حسن أو جائز أو جميل في العربية أو هو أبين ³ ، ولكن هذا لا يعني أن شرط موافقة العربية هو الشرط الوحيد - في نظر الفراء - الذي على أساسه تقبل القراءة ، بل الشرط الأقوى هو صحة السند واجتماع الناس على القراءة فإذا اختلف هذا الشرط الأخير لا تقبل القراءة ولو وافقت العربية ، يقول الفراء : " ولولا كراهية خلاف الآثار والاجتماع لكان وجها جيدا من القراءة " ⁴ يقصد قوله تعالى : ﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ الحج 13 إذ يجوز في العربية كسر اللام في " لِمَنْ " فتصير بمعنى " إلى " ولكن القراءة لم ترد بالكسر .

¹ - نفسه 1 / 106

² - شعبان صلاح ، مواقف النحاة من القراءات القرآنية ، دار غريب ، القاهرة ، 2005 ، ص 174

³ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 21 ، 27 ، 152 ، و 3 / 52 ، 139 ، 157

⁴ - نفسه 2 / 218

4 - وما دام البحث في القراءات يعني خدمة العربية فإنّ كل القراءات لها ما يبررها في كلام العرب ، غير أنه لا يصلح العكس ، فتعدد أوجه كلام العرب ليس له كله ما يثبتها في القراءات ، لأنّ القراء - كما قال الفراء - لا يقرؤون بكل ما يجوز في العربية¹ ، ولذلك نجد عنده ما يمكن تسميته بالقراءات الافتراضية ، وهي أوجه من القراءة يملئها ما يجوز في كلام العرب ، غير أنه لم يرد بهذه القراءة رواية ولا أثبتتها رسم المصحف .

مثال ذلك ما جاء في قوله سبحانه :

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء 3

يرى الفراء أنه لو قيل في هذين " من " كان صوابا ، ولكن الوجه ما جاء به الكتاب².

يقصد لو قيل (فَانكِحُوا مَنْ طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) كان جائزا في العربية ولكن لم ترد به قراءة . ولذلك تجد عند الفراء كثيرا من هذه العبارات :

" وهو جائز ولا يصلح في القراءة " ، " ووجه آخر لم يقرأ به " ، " ولو قيل .. لجاز " " ولو قرئت كذلك كان وجهها " ³

5 - وأمام هذا العرض الواسع للقراءات المتعددة لا يُخفي الفراء ميله إلى إحداها أو رفضه للأخرى ، يقول عن قراءة حمزة⁴ قوله تعالى :

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ الأنفال 59
" وما أحبها لشذوذها " ⁵

وعن قراءة أخرى يقول : " والفتح أحب إليّ "

¹ - نفسه 1 / 245

² - الفراء ، المعاني 1 / 254

³ - نفسه ، 1 / 327 و 2 / 217 و 2 / 220 و 3 / 150

⁴ - قرأ (ولا تحسبن) بالياء كل من حمزة وابن عامر وعاصم برواية حفص ، ينظر :

أبو حيان ، البحر ، 4 / 505

⁵ - الفراء ، المعاني ، 1 / 416

يقصد فتح تاء الفاعل في " علمت " بدلا من ضمها¹، في قوله تعالى :
﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الإسراء 102
وهو في الموضع نفسه يردّ على الكسائي الذي يقرأ بالرفع فيقول :
" أخالفة أشد الخلاف " ²

وكثيرة هي المواضع التي يعبر فيها الفراء عن موقفه من بعض القراءات قبولاً ورفضاً
كقوله : " لست أستهيها " ، " وأجود من ذلك " ، " إنما أستحب " ، " وهو مما يرفض من
القراءة " ...³

هذا وقد كان لتتوع القراءات عند الفراء - كما عند الأخفش - أثر في مجالات الدلالة
والصوت.

فأما مجال الدلالة ، فتمثل له بما يأتي :

• الفعل " أُوْبِي " من قوله تعالى :

﴿ يَا جِبَالَ أُوبِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ سبأ 10

يقول أبو زكريا : " اجتمعت القراء الذين يعرفون على تشديد " أُوْبِي " ومعناه سبّحي
وقرأ بعضهم " أُوْبِي مَعَهُ " ⁴ من " أَب ، يُوُوبُ ، أي تصرفي معه . " ⁵

• لفظة " سواء " تعني " عدل " وهي الواردة في قوله تعالى :

﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ آل عمران 64

يستدل الفراء لمعناها بقراءة عبد الله بن مسعود ، يقول :

" وهي في قراءة عبد الله (إِلَى كَلِمَةٍ عَدَلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) ، وقد يقال في معنى " عدل "

سوى وسوى ، قال تعالى :

﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ﴾ طه 58 .

¹ - قرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي " علمت " بضم التاء ، ينظر : أبو حيان ، البحر ، 6 / 83

² الفراء ، معاني القرآن 2 / 132

³ - نفسه ، 1 / 27 ، 356 ، 441 ، و 2 / 216

⁴ - قرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي اسحق ، " أُوْبِي " ، أمر من أُوْبٍ ، أي : رجّعي معه في التسييح ،

ينظر : أبو حيان ، البحر ، 7 / 252

⁵ - الفراء معاني القرآن ، 2 / 355

يراد به عدل ونَصَفَ بيننا وبينك " 1

• الفعل " انظرونا " من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ الحديد 13

على أن هناك فرقا بين " انظرونا " و " أنظرونا " فالأولى من الانتظار، والثانية من الإنظار وهو التأخير² ، وقد قرأ بالأولى سائر القراء ، وقرأ بالثانية يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة .³

أما المجال الصوتي وعلاقته بالقراءات ، فنورد منه المثالين الآتيين :

• جاء في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ⁴ ﴾ النجم 22

يذهب الفراء في حديثه عن " ضِيزَى " إلى أن من العرب من ينطقها : ضِيزَى

وضازَى وضُوزَى ، وهي على وزن فُعَلَى ، ثم يعلل ضم الفاء منها قائلاً :

" وإذا رأيت أولها مكسوراً ، هي مثل قولهم : بِيضٌ ، وَعَيْنٌ ، كان أولها مضموماً ،

فكرهوا أن يترك على ضمته ، فيقال : بُوضٌ وَعُونٌ ."⁵

• قال تعالى : ﴿ وَيَحْيَا مَنْ حَيٍّ عَنِ بَيْتَةٍ ﴾ الأنفال 42

يعلل الفراء الإدغام في " حَيٍّ " ويذهب إلى أن الذين أدغموا - وهم أغلب القراء⁶ -

كأنما استنقلوا اجتماع ياءين متحركتين فأسكنت الأولى وأدغمت الثانية ، أما الذين

أظهروا فقد أجروها على الأصل .⁷

الخلاصة

1 - نفسه 220 / 1

2 - ابن منظور ، اللسان ، 216 / 5 ، مادة : " نظر "

3 - الفراء ، المعاني ، 133 / 3

4 - قرأ الجمهور ضِيزَى من غير همز ، وقرأ ابن كثير ضِيزَى بالهمز ، وقرأ زيد بن علي ضِيزَى بفتح الضاد

وسكون الياء . ينظر : أبو حيان ، البحر ، 160 / 8

5 - الفراء ، المعاني ، 98 / 3

6 - قرأ نافع والبيزي عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم " حَيِّيَ " بالفك ، وباقي السبعة بالإدغام ، ينظر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 497 / 4

7 - الفراء ، المعاني ، 411 / 1

بعد عرضنا لمكانة القراءات عند الأخفش والفراء وكيف تعاملوا معها نستطيع أن نخلص إلى ما يأتي :

- 1 - عرض كل منهما ما بلغه من القراءات دون إقصاء أو إهمال بما في ذلك القراءات التي سميت بعدهما بالشاذة يعتمدان في ذلك على ما بلغهما سماعاً أو ما وجداه في المصاحف .
- 2 - كثيراً ما يفاضلان بين القراءات بحسب ما يتفق وقواعد العربية المبنية أساساً على ما شاع على ألسنة العرب .
- 3 - رفض كل منهما قراءات معينة للسبب السابق غير أن الأخفش كان أقوى في رفضه من الفراء .

ثانياً : الحديث النبوي الشريف ومكانته في الكتابين

إذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للعربية بإجماع العلماء فإنه من المتوقع أن يكون حديث رسول الله ﷺ هو المصدر الثاني في الاستشهاد ، لأن النبي ﷺ ، بإجماع اللغويين والنحاة ، يعد أفصح العرب قاطبة .

لكن الملاحظ لعلاقة النحاة واللغويين بأحاديث رسول الله ﷺ ، يدرك زهدهم في الاعتماد عليها مصدرًا أساسياً من مصادر الاستشهاد في اللغة والنحو .

كان ذلك في عهد المتقدمين واستمر عند المتأخرين ، حتى جاء القرن السابع للهجرة فعاد النحاة إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، ويأتي على رأس هؤلاء الإمام عبد الله بن مالك (ت672هـ) والذي أثار، باعتماده على الحديث ، حفيظة أبي حيان الأندلسي (ت745هـ) الذي قال فيه : " وقد أكثر هذا المصنف - يعني ابن مالك - من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره ."¹

وعلى العموم فإن العلماء انقسموا إلى طوائف بخصوص الاستشهاد بأحاديث الرسول ﷺ : طائفة منعت وأخرى جوزت وثالثة توسطت .

¹ السيوطي ، الاقتراح ، ص 40

المانعون : يمثلون تيار المحافظين الذين تمسكوا بما سار عليه شيخ النحاة سيبويه ومن جاء بعده ، وقد برر موقفهم هذا أبو حيان الأندلسي بذكر سببين للامتناع هما :

- إن الأحاديث رويت بالمعنى .

- إن كثيرا من رواة الحديث كانوا غير عرب بالطبع.¹

المجوزون : وأغلبهم من اللغويين صناع المعاجم كالأزهري (ت368هـ) وابن سيده (ت458هـ) مع بعض النحاة كابن مالك وابن هشام (ت761هـ)² .

المتوسطون : وهؤلاء كانوا بين المنع والإباحة ، بمعنى أن استشهادهم لم يكن بشكل مطلق ، وإنما وضعوا لذلك شروطا تجتمع كلها في أن الاستشهاد لا يكون إلا بالأحاديث التي ثبت لفظها عن رسول الله ﷺ ، يمثل هؤلاء الإمام الشاطبي (ت790هـ) وأبي البركات الأنباري (ت577هـ) وجلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، ومن المحدثين الشيخ محمد خضر حسين (ت1377هـ) الذي تقدم ببحث إلى مجمع اللغة العربية طرح فيه المسألة من كافة وجوهها وخلص إلى أن من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به في اللغة وذكر لذلك ستة أنواع هي :

1 - ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته عليه الصلاة والسلام ، كالأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان ، كقوله ﷺ " مأزورات غير مأجورات³ " وقوله ﷺ " إن الله لا يملّ حتى تملّوا"⁴ .

2 - ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها ﷺ أو أمر بالتعبد بها ، كألفاظ القنوت ، والتحيات ، وكثير من الإنكار والأدعية التي كان يدعو بها في أوقات خاصة .

3 - ما يروى شاهدا على أنه كان يخاطب كل قوم بلغتهم . ومما هو ظاهر أن الرواة كانوا يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة لرواية الحديث بلفظه .

¹ - السابق ، ص 41 ، 42

² - سعيد الأفغاني ، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، دمشق 1994، ص 49 ، 50

³ - صحيح مسلم ، تحقيق : فؤاد عبد الباقي ، 1 / 47

⁴ - المصدر نفسه ، 1 / 540

4- الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها ، فإنَّ اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق ، دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في ألفاظها ، والمراد أن تتعدد طرقها إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة والتابعين ، الذين ينطقون الكلام العربي فصيحاً .

5- الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية ، لم ينتشر بها فساد اللغة ، كمالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، والإمام الشافعي .

6 - ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى ، مثل ابن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، وغيرهم ¹ .

والآن ، إلى أية طائفة ينتمي الأخفش والفراء ؟ إلى المانعين ، أم إلى المجيزين ، أم إلى المتوسطين ؟

من السهل أن نصنف أحدهما أو كليهما في طائفة من الطوائف الثلاث ، سألفة الذكر ، ونحتكم في ذلك إلى عدد الأحاديث الواردة في معاني القرآن لكل منهما ، لكن ذلك يقينا لا يكفي ، بل لا بد من تحليل الدوافع والأسباب التي دعت إلى شيوع هذه الظاهرة عندهما ، وقلة ورود الأحاديث النبوية الواردة في الكتابين ، وهي عند الفراء ثلاثة عشر وعند الأخفش معدومة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أن غايتنا في هذا المبحث كشف النقاب عن مكانة الحديث النبوي الشريف في البحث اللغوي في الكتابين .

يظهر أن اللغويين والنحاة في ذلك العهد المبكر لم يكونوا على اهتمام كافٍ بالحديث النبوي الشريف ، بل انصرفوا عنه إلى رواية الأشعار انصرافاً استغرق جهودهم فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودراسته بقية ² .

ومع هذه الصورة الواضحة يبقى السؤال مطروحاً :

لِمَ انصرفوا كل هذا الانصراف إلى الشعر وكلام العرب ، وتركوا الحديث النبوي الشريف ؟

سنحاول رسم ملامح البيئة العلمية في ذلك العهد من خلال النقاط الآتية :

1 - لم تكن الحركة في الحديث النبوي الشريف جمعاً وتمحيصاً بنفس النشاط الذي كانت عليه في اللغة والنحو في هذا العهد ، بل إن الأولى جاءت متأخرة عن الثانية حيث أن

¹ - محمد خضر حسين ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد الثالث ، السنة 1936 ، ص 208 ، 209

² - سعيد الأفغاني ، في أصول النحو ، ص 46

حديث رسول الله ﷺ كان في أول عهده مخبوءاً في صدور الرجال حتى خلافة عمر بن عبد العزيز ؓ الذي أمر بكتابه¹، ولكنها في ذلك، أي كتابته لم تكن ذات شأن، إذ لم يكن لأمره هذا أثر، فلعله عوجل عنه، ولم يأبه لذلك من خلفه²، حتى انتصف القرن الثاني للهجرة وظهرت هناك محاولات فردية في كتابة الحديث النبوي، فكل عالم يجمع الأحاديث التي صحت عنده، فكان أول من دون الحديث محمد بن مسلم الزهري (ت124هـ) وقيل الربيع بن صبيح (ت160هـ) وسعيد بن أبي عروبة (ت156هـ) إلى أن انتهى الأمر إلى الطبقة التي تلي طبقة الزهري كالإمام مالك بن أنس (ت179هـ) وعبد الملك بن جريج (ت150هـ) والأوزاعي (ت157هـ)، وسفيان الثوري (ت161هـ)، وحماد بن سلمة (ت167هـ)³. ثم جاءت كتب الحديث الصحاح بعد ذلك بزمن، وبالموازاة مع حركة جمع الحديث النبوي وتمحيصه كانت حركة اللغة والنحو في عنفوانها وهي في ذلك الأسبق.

فإذا كان أول من كتب حديث رسول الله ﷺ هو محمد بن مسلم الزهري (ت124هـ) أو الربيع بن صبيح (ت160هـ) فإن هذا العصر يمثل عند أهل اللغة والنحو نهاية مرحلة الوضع والتكوين، ومن أعلامها:

عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت117هـ) وعيسى بن عمر النخعي (ت149هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) وبداية مرحلة النشوء والنمو ومطلعها عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)⁴

يضاف إلى ذلك أن النقل والرواية منهج حجازي، أما العقل فمنهج عراقي ولذلك لا نستغرب قلة رواج الحديث في بيئة العراق.

2 - يظهر أنه من السهل اعتبار سيبويه شيخ الاثنين معاً، إما مباشرة، كما هو حال الأخفش الأوسط، أو بواسطة كما هو حال الفراء، الذي تتلمذ على أبي جعفر الرؤاسي (ت175هـ) وأبو جعفر هذا، تلميذ سيبويه، فلا جرم أن يتأثراً معاً بمنهج سيبويه

1 - الراجعي، تاريخ آداب العرب 1 / 218

2 - أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط10، بيروت، 1969، ص 222

3 - محمد الخضر حسين مجلة مجمل اللغة العربية بالقاهرة العدد 3، السنة 1936، ص 203

4 - محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط3، القاهرة، 2005، ص 72

وموقفه من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، وهنا من المفيد أن نذكر بقصة سيبويه مع حماد

بن سلمة أثناء بداية مسيرته العلمية ، حيث يروى أن سيبويه طلب أخذ الحديث عن ابن سلمة ، فبينما هو يستملي حمادا قول الرسول ﷺ :

" ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء ¹ فقال سيبويه :
" ليس أبو الدرداء " وظنه اسم ليس . فقال حماد : " لحت يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت ، وإنما ليس ههنا استثناء ! فقال سيبويه :

" لا جرم ، سأطلب علما لا تلحنني فيه " ، ثم مضى ولزم الخليل ².

هكذا كان إقبال سيبويه على تعلم العربية يصاحبه نفور من تعلم الحديث لأنه علم يمكن أن يلحن فيه . ويظهر أن كثيراً من تلاميذ سيبويه بل وتلاميذ تلاميذه رضوا هذا المنهج منه وساروا على الدرب نفسه حتى القرن السابع للهجرة عصر أبي حيان الأندلسي الذي شنع على ابن مالك استدلاله بأحاديث رسول الله ﷺ ، مستدلاً بأن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين لأحكام من لسان العرب ، كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين ، لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين ³.

وهكذا غدا سيبويه ومعهم السابقون واللاحقون أنموذجاً يقتدى به في هذا الباب .

¹ - هذا الحديث كثيراً ما يتردد ذكره عند النحاة في ترجمة سيبويه ، لكن لا وجود له بهذا اللفظ في كتب الحديث عموماً والسنة الصحاح على وجه الخصوص ، أما المعروف عند المحققين فهو ما نصه :
" ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه في خلقه ليس أبا عبيدة بن الجراح "
وهو حديث مرسل ورجاله ثقات ، ينظر :

ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في معرفة الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ،
1412هـ / 1992م ، 3 / 588

² - السيرافي ، طبقات النحويين البصريين ، ص 43

³ - السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 40 ، 41

3 - أمام الحالة التي عليها الحديث النبوي الشريف من عدم تمييز صحيحه من فاسده في هذا العصر الإقليلاً ، فإن شعورا عاشه كثيرٌ من اللغويين والنحاة وهو إحساس يقوم على شدة ورعهم وتقواهم من أن يصدق عليهم قول الرسول ﷺ : " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " ¹ .

يقول الأصمعي (ت216هـ) : " إنّ أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ : " من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار " ، لأنه ﷺ لم يكن يلحن ، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه " ²

4 - إن القول بأن اللغويين أصحاب المعاجم كانت لهم عناية بحديث رسول الله ﷺ ، كلام لا يعنينا في هذه الفترة التي عاشها الأخفش والفراء ، ذلك لأن الذين احتجوا بالحديث في معاجمهم إنما كانوا من لغويي وعلماء القرن الرابع للهجرة من أمثال الأزهري (ت370هـ) صاحب التهذيب ، والجوهري (ت393هـ) صاحب الصحاح ، وابن سيده (ت458هـ) صاحب المخصص ، وابن فارس (ت395هـ) صاحب مقاييس اللغة . كل هؤلاء إنما جاءوا بعد أن بلغ علم الحديث مرحلة النضج والاكتمال ، وتميزت الأحاديث صحيحها من فاسدها ، بل ظهرت إلى الوجود الكتب الصحاح الست وهي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

وهكذا تثبت لنا الأسباب السابقة بما لا يدع مجالاً للشك أن علاقة كل من الأخفش والفراء بالحديث النبوي الشريف علاقة فاترة ضعيفة ، فلا نطلب من الرجلين ما ليس عندهما ، فورود الحديث الشريف في الكتابين يحمل إحدى الصورتين :

- قليل جداً عند الفراء

- منعدم عند الأخفش

¹ - صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) 1 / 10 = صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير - اليمامة ، ط3 ، بيروت 1407هـ / 1987م ، 52/1

² - سعيد الأفغاني ، في أصول النحو ، ص 56 نقلاً عن مخطوطة الظاهرية لتاريخ دمشق لابن عساكر ورقة 1/481

1 - الحديث النبوي في كتاب الفراء

اشتمل كتاب الفراء على اثنتين وأربعين حديثاً ، وأعني بالحديث هنا كل قول نُسب إلى النبي ﷺ صراحة ، هذه الأحاديث موزعة كالآتي :

• ستة وعشرون حديثاً في توضيح السياق الذي وردت فيه الآية كأسباب النزول وغيرها .

• ستة أحاديث في قراءاته ﷺ .

• تسعة أحاديث استخدمت شواهد في اللغة .

• حديث واحد يمكن اعتباره شاهداً نحويًا .

وفي هذا الصدد لا بد من إبراز الملاحظات الآتية : أ

أ - أغلب هذه الأحاديث غير مسندة ، يورده الفراء بقوله :

" جاء في الحديث أن النبي ﷺ ¹"

" نقلنا في الحديث ²"

" بلغنا أن النبي ﷺ قال ³"

ب - أغلب هذه الأحاديث وُظِّفت في توضيح ظروف وملابسات نزول الآيات القرآنية .

ج - القلة من هذه الأحاديث استخدمت شواهد في اللغة والنحو، ولقنتها أُوردها

¹ - الفراء ، معاني القرآن 59/2

² - نفسه 1/ 280

³ - نفسه 1/ 37 ، 38

بنصوصها ، وهي مرتبة كما وردت في كتاب " معاني القرآن " :

- 1 - وقول من روى عن النبي (ص): " أوصى امرأاً بأمه " ¹
- 2 - بلغنا أن النبي (ص) قال : " الكمأة من المنّ وماؤها شفاء العين " ²
- 3 - حدثني قيس عن هشام بن عروة بإسناد يرفعه إلى النبي ﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ ، فقال : " يرحم الله هذا ، هذا أذكرني آيات قد كنت أنسيتها " ³
- 4 - نقلنا في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : " أمرت بالسواك حتى خفت لأذركن " ⁴
- 5 - وجاء في الحديث : " كفي بالمرء إثماً أن يضيع من يقيت ، ويقوت " ⁵
- 6 - كما قالوا: نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال " ⁶
- 7 - ولقد سمعت عن النبي ﷺ أنه قال في بعض المشاهد : " لتأخذوا مصافكم " ⁷
- 8 - جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال " إن عمّ الرجل صنو أبيه " ⁸
- 9 - وفي الحديث : " إذا كان الشتاء قيظاً والولد غيظاً ، وغاضت الكرام غيظاً ، وفاضت اللئام فيضاً ، فقد تبين النقصان في الغيظ " ⁹
- 10 - وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : " العيادة قدر فواق الناقة " ¹⁰

والخلاصة مما سبق أن تسعة من شواهد الفراء من الحديث النبوي الشريف استعملت في اللغة أي في شرح الألفاظ وتوضيح دلالاتها ، وشاهد واحد يمكن اعتباره شاهداً نحويًا حيث استدل به الفراء على جواز كسر همزة " أمه " أو رفعها إذا سبقت

1 - نفسه 5 / 1

2 - نفسه 38/1

3 - نفسه 65 / 1

4 - نفسه 266/1

5 - نفسه ، 280/1

6 - نفسه 468/1

7 - نفسه 470/1

8 - نفسه 59/2

9 - السابق ، 59/2

10 - نفسه ، 400/2

* ربما كانت هناك فائدة في تخريج هذه الأحاديث ، لكنني رأيت أن ذلك يتقل كاهل البحث ويبعده عن مساره

بكسرة ، فهذه الهمزة إما أن ترفع مراعاةً للأصل أو تكسر تجنباً لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم ، والحديث هو : " أوصى امرأً بإمِّه " يجوز " بأُمَّه " ويجوز " بإمِّه " * .

2 - الحديث النبوي الشريف في كتاب الأخفش

ليس للحديث النبوي الشريف أثر يذكر في كتاب " معاني القرآن " للأخفش ، وبذلك يكون أبو الحسن من الذين أعرضوا كلية عن الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ ، فكأننا به يمثل مذهب شيخه سيبويه أحسن تمثيل .

ثالثاً : كلام العرب في الكتابين

لجأ اللغويون والنحاة إلى الفصيح من كلام العرب لرغبتهم في فهم لغة القرآن ، وقد روي أن الكسائي لما أعجب بعلم الخليل ، سأله عن مصدر هذا العلم ، فأجاب الخليل : " من بوادي الحجاز ونجد وتهامة " فخرج الكسائي إلى البادية ورجع ، وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ .¹

هذا شأن الشيخين مع كلام العرب ، فكيف يكون شأن التلميذين ؟

لم يشذ الأخفش والفراء عن المنهج الذي اختطه العلماء في تحصيل العربية ، إذ العودة إلى كلام العرب لفهم القرآن ولوضع قواعد العربية أصل لا خلاف فيه . لكن كيف وظّف كلُّ منهما كلام العرب في فهم لغة القرآن ؟ وبعبارة أخرى :

إلى أي مدى كان كلام العرب أصلاً من أصول اللغة في كتابيهما "معاني القرآن" ؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من التذكير بالأسس التي انبنى عليها الأخذ عن العرب عند علماء اللغة والنحو .

يمكن أن نوجز هذه الأسس في ثلاث هي :

1 - تحديد مصادر الأخذ زماناً ومكاناً . فأما الزمان فقد حددوه في ثلاثة قرون : قرن ونصف قبل الإسلام وقرن ونصف بعده ، هذا عند الحضر ، أما أهل البادية فقد يمتد زمن الاحتجاج بكلامهم إلى القرن الرابع للهجرة ، والحقيقة أن هذا التحديد الزمني

¹ - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 13 / 169

لا يعيننا ونحن نتحدث عن الأخفش والفراء ، لأنه لم يمتد بهما العمر إلى زمن ما بعد الاحتجاج حتى نتساءل في ما إذا كانا قد التزما بهذا التحديد أم لم يلتزما .
أما المكان ، فقد حصروه في القبائل الفصيحة : أسد وقيس وهذيل وتميم وبعض كنانة وبعض طيء ، وأول من حدّد هذه القبائل عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي¹ .

2 - عدالة الناقل : إذا كانت المادة اللغوية ضرورية لاستتباط القواعد والأحكام فإن التمحيص في طريقة النقل ضروري أيضا ، إذ ما لا يجب الواجب إلا به فهو واجب ، وقد أدرك الخليل بن أحمد ضرورة التثبيت من النصوص اللغوية المروية قبل أن تصبح محلّ دراسة وتحليل واستتباط لأن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادةً للبس والتعني² ، ولو قارنا بين الشرط الأول (تحديد مصادر الأخذ زمانا ومكانا) وهذا الشرط (عدالة الناقل) لوجدنا الشرط الأول إبداعا لغويا صرّفا أنتجته قريحة اللغويين والنحاة بهدف فهم لغة القرآن وتأسيس علم للعربية يحفظها من اللحن والخطأ . أما الشرط الثاني فقد كان أثرا من آثار علم الحديث في الدراسات اللغوية (وكذلك الشرط الثالث كما سنبين) وشرط عدالة الراوي عند علماء الحديث شرط جوهرى انبنت عليه بحوثهم المعمقة في الجرح والتعديل وغير ذلك .
ويصرح ابن الأنباري بهذه العلاقة قائلا:

" ... أن يكون ناقل اللغة عدلا رجلا كان أو امرأة ، حرا كان أو عبداً كما يشترط في نقل الحديث ، لأن بها معرفة تفسيره وتأويله ، فاشترط في نقلها ما اشترط في نقله . " ³
والحقيقة أن هذا التعليل الذي قدمه ابن الأنباري يحتاج إلى تنمّة ، فاللغة ما جيء بها لتفسير الحديث فحسب إنما لتفسير القرآن الكريم أولا ثم الحديث ثانيا .
إذا كانت العدالة عند علماء الحديث تعني اكتمال صفات المروءة بوجه عام والالتزام بالإسلام ديناً وخلقا ، من ترك للمعاصي وتورع عن الكذب الظلم⁴ ، فإنها عند علماء اللغة

¹ - محمد سالم صالح ، أصول النحو (دراسة في فكر الأنباري)، دار السلام ، ط1، القاهرة ، 1427هـ /

2006م ، ص45

² - السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 1/ 137

³ - ابن الأنباري ، لمع الأدلة ص85

⁴ - الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق :أبو عبد الله السورقي وإبراهيم المدني ، دار المكتبة

تعني الأمانة في النقل بغض النظر عن الانتماء الديني أو الطائفي ، فها هو ذا العز بن عبد السلام يقرر في بعض فتاويه أنه قد اعتمد في العربية على أشعار العرب وهم كفار، لبعد التدليس فيها ، كما اعتمد في الطب ، وهو في الأصل مأخوذ عن قوم كفار لذلك ¹ . وقد شاع عند علماء اللغة والنحو ، أخذهم عن أهل الأهواء ، إلا أن يكونوا ممن يتدين بالكذب ، بمعنى أن بدعته تدعوه إلى أن يكذب على مخالفيه كالخطابية² من الرفضة³.

3- الإسناد : وهو شرط يتصل بشرط العدالة ويقوم عليه ، فلا يكفي أن يكون الناقل عدلاً بل يجب أن يكون في نقله اسناد متصل ، وهذا الشرط أيضاً من الشروط التي تأثر فيها منهج اللغويين والنحاة بعلماء الحديث ، فرفضت الروايات المرسلة والروايات التي أسندت إلى مجاهيل .

فالمرسل هو الذي انقطع سنده ، والمجهول هو الذي لم يعرف قائله وانقطع السند والجهل بالقائل يوجبان الجهل بالعدالة والجهل بالعدالة يعني رفض الرواية . هذه هي النتيجة التي يفضي إليها هذا الشرط ، لكن هناك من العلماء من قال بقبول الرواية وإن كان فيها إرسال أو جهل بالناقل ، وقد علل ابن الأنباري ذلك بقوله : " ... لأن الإرسال صدر ممن لو أسند لقبل ولم يتهم في إسناده ، فكذلك في إرساله ... وكذلك النقل عن المجهول صدر ممن لا يتهم في نقله لأن التهمة لو تطرقت إلى نقله عن المجهول لتطرقت إلى نقله عن المعروف . " ⁴

يفهم من هذا التعليل أن تطبيق هذا الشرط لن يكون حرفياً جافاً ، قد يكون كذلك مع من لا عهد له بالرواية أو أن روايته محل شك وارتياب . أما غيره من العلماء ، أهل الثقة

العلمية ، المدينة المنورة (د،ت) ، ص 78

¹ - السيوطي ، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، 1/ 140

² - الخطابية ، فرقة تنسب إلى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي ، من غلاة الشيعة ، زعم أن الأئمة أنبياء ثم

آلهة ، قتل بسبب خبث دعوته في خلافة أبي جعفر المنصور ، ثم تفرقت الخطابية بعده فرقا ، ينظر :

الشهرستاني ، الملل والنحل ، 1 / 179 ، 180

³ - ابن الأنباري ، لمع الأدلة ص 86

⁴ - نفسه ، ص ، 91

فلا يلتفت إلى هذين الشرطين ، إذ يجوز أن يقبل نقلهم ولو كان فيه إرسال أو نقل عن مجاهيل ، وهذا الذي حدث بالذات مع الخليل وسيبويه وأضرابهما ، ويظهر أن ابن الأنباري لم يرقه هذا التعليل ولم يقتنع به ، فيعقب على من جوّز قبول ما فيه إرسال أو جهل بالناقل :

" هذا اعتبار فاسد ، لأن المسند قد صرح فيه باسم الناقل وأمكن الوقوف على حقيقة حاله بخلاف المرسل ، وكذلك أيضا النقل عن المجهول ، لم يصرح فيه أيضا باسم الناقل ، ولا يمكن الوقوف على حقيقة حاله ، بخلاف ما إذا صرح باسم الناقل ، فبان بهذا أنه لا يلزم من قبول المسند قبول المرسل ، ولا من قبول المعروف قبول المجهول ."¹

1 — كلام العرب عند الأخفش

سنحاول هنا أن نتبين مدى التزام أبي الحسن بالشروط التي وضعها علماء العربية لقبول المرويات ، وكيف تعامل معها ، وقد حاولت حصر كل ما ذكره المؤلف في كتابه " المعاني " من كلام للعرب ، على أن يكون متعلقاً بالجانب اللغوي لا النحوي تماشياً مع خطة البحث .

ويمكن إبراز اعتماد الأخفش على كلام العرب وفق التصنيف الآتي :

أولاً - التلقي المباشر عن العرب :

وقد صرح أبو الحسن بذلك في أكثر من موضع ، بقوله :

" وقد سمعنا ذلك من العرب " و " سمعت العرب الفصحاء " و " سمعت من العرب "

...

• فمثلاً عندما يريد أن يثبت وجهاً آخر من وجوه الاستعمال للفظة يقول :

" ..ومن قال هو يَمْحَى ، قال : هو يَلْغَى لَغْوًا ومحوًا ، وقد سمعنا ذلك من العرب "²

• من ذلك أيضا إقراره بأن من الكلمات في العربية ما لا مفرد له ، يقول :

¹ - ابن الأنباري ، لمع الأدلة ، ص 91 ، 92

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 174

" سمعت العرب الفصحاء يقولون : " أرسل إله أبابيل " يريد جماعاتٍ ، فلم يتكلم لها
بواحد " ¹

ثانيا - التلقي غير المباشر:

يحدث هذا للأخفش مع شيخه يونس بن حبيب فهو نافذته إلى كلام العرب ، إلى أشهر
من حفظوا كلام العرب كأبي عمرو بن العلاء . ومع يونس كثيرا ما يروي عن أبي
زيد الأنصاري .

• من روايته عن يونس ، قوله :

" قال يونس : سألت رؤبة فقال : وَقَرَّتْ أذُنُهُ تَوَقَّرُ ، إِذَا كَانَ فِيهَا الْوَقْرُ " ²

" زعم يونس عن أبي عمرو أنه يقول : حَصْرَتَهُ عَنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَإِذَا مَنَعَتْهُ مِنَ التَّقَدُّمِ
خَاصَّةً ، فَقَدْ أَحْصَرَتْهُ " ³

• أما أبو زيد الأنصاري فمما نقل عنه :

" قال أبو زيد : سمعت العرب تقول : أُنْزِ مَوْقُورَةً . " ⁴

ثالثا - الاعتداد بلغات العرب :

احتقى الأخفش بلغات العرب أيما احتفاء وأسند لها ما شاع عنها ، وقد برزت عنايته
بلغات العرب في صور هي :

1 - الاهتمام بالقبائل الفصيحة ومنها تميم وأسد وقيس و هذيل وكنانة وطبي ⁵

وقبائل العرب قد تختلف في :

• المجال الدلالي ، مثل :

" هَدَى بِمَعْنَى : عَرَّفَ ، فَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ : هَدَيْتَهُ الطَّرِيقَ أَي عَرَّفْتَهُ " ¹

¹ - نفسه ، 273 / 2

² - نفسه ، 272 / 2

³ - نفسه ، 162 / 1

⁴ - المصدر نفسه ، 272 / 1

⁵ - نفسه ، على سبيل المثال ص ، 98 / 1 ، 226 ، و 276 / 2 ، 280

في التأنيث والتذكير، مثل :

" الصراط " يؤنثها أهل الحجاز كما يؤنثون الطريق والسبيل والزقاق ، وبنو تميم
يذكرون هذا كله ، وبنو أسد يؤنثون " الهدى " .²

• المجال الصوتي ، مثل :

" الصدقات " واحدها " صدقة " وبنو تميم " صدقة " ساكنة الدال مضمومة الصاد.³
" اثنتا عشرة " ، يكسر الشين بنو تميم (اثنتا عشرة) وأما أهل الحجاز فيسكنون
" اثنتا عشرة " .⁴

2 - الأخذ عن قبائل غير فصيحة ، مثل : بنو قشير وبلعبر .

فقد سمع الأخفش عن بلعبر أنهم يقولون : " صحاري " و " معاطي " جمع صحراء
ومعطاء.⁵

كما نسب لبني قشير قولهم " سخين " يريدون " سكين " .⁶

3 - الإسناد إلى لغات لم يحددها بالاسم ، لكنها شائعة مستعملة ، من ذلك⁷ :

- الوضوء وهو الماء ، والوضوء وهو الفعل ، وزعموا أنهما لغتان في معنى واحد.

- حملته أمه كرهاً ، وقال بعضهم " كرهاً " ، وهما لغتان مثل " الغسل " و " الغسل " .

- وقال بعضهم برَبْوَة ، وبرَبْوَة ، وبرَبَاوَة ، وبرَبَاوَة ، كل من لغات العرب .

وقد يشك الأخفش في أن ما ذكر لغة من لغات العرب :

جاء في معنى " دُولَة " من قوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً ﴾ الحشر 7 .

1 - نفسه 16 / 1

2 - نفسه 17/1

3 - نفسه ، 226 / 1

4 - نفسه ، 98 / 1

5 - نفسه ، 118 / 1

6 - نفسه ، 180 / 1

7 - نفسه ، 41/1 ، 51 ، 171 ، 184 ، 207 ، و 276 / 2 ، 371

يقول أبو الحسن : " الدُّوْلَة في هذا المعنى : أن يكون ذلك المال مرة لهذا ، ومرة لهذا ... يزعمون أن " الدُّوْلَة " أيضاً في المال لغة للعرب ، ولا تكاد تعرف الدُّوْلَة في المال .¹

رابعاً - النسبة إلى مجاهيل :

أغلب الشواهد اللغوية للأخفش إنما كانت لمجاهيل² ، وقليل منها منسوب إلى صاحبه ، من هذا القليل ما أورده من شواهد للنابغة ، وامرئ القيس والأخطل ولبيد وأمّية بن الصلت .

ومن الشواهد ما يستشهد به في أكثر من موضع فينسبه إلى صاحبه مرّة ويترك ذلك أخرى ، فكأننا بأبي الحسن لا يرى الكشف عن أصحاب الشواهد مهمة تستحق جهداً ، أو عناية ، وربما شهرة الشاهد أغنت عن ذكر صاحبه .

خامساً - الإحساس بأنه جزء من البيئة العربية الفصيحة :

ليست أدلة الأخفش اللغوية محصورة في أنه سمع ذلك من العرب الفصحاء أو أخبره بذلك أحد شيوخه أو أن ذلك لغة معروفة من لغات العرب ، إنما نجد صيغاً أخرى ، مثل :

" هذا مثل كلام العرب " ³ " العرب تقول " ⁴ " " ولم أجد العرب تعرف له واحداً " " كما تقول العرب " " كل هذا تقوله العرب " ⁵ .

يلاحظ أن الدليل الذي اعتمده الأخفش ليس دقيقاً محدداً كما هو الحال في الاستدلال بكلام العرب الفصحاء ، أو ببعض أشعارهم ، إنما هو دليل عام يشمل واقعا لغويا واسعا عاشه الأخفش ، مما يجعلنا نقول بأنه جزء لا يتجزأ منه ، وإذا كان في كلام العرب

¹ - نفسه ، 2/ 497

² - الأخفش ، معاني القرآن ، على سبيل المثال : 1/ 46 ، 47 ، 48 ، 95 ، 174 ، 179 ، 184 ، 240 ، و 2/ 314 ، 332 ، 335 .

³ - نفسه ، 1 / 201

⁴ - نفسه ، 1/ 239 و 2 / 310

⁵ - نفسه 273 ، 285 ، 313

المقبول والمرفوض ، فالمقبول يعرفه من فقه العربية وأدرك طرق استعمالها بالمعايشة والممارسة ، فتنشكّل عنده ملكة تصل به إلى مستوى السليقيين ، وهذا معنى قول ابن جنّي الذي مفاده أن من العربية أن تصوغ من الفعل " دَخَلَ " على وزن " جَعْفَرَ " فنقول " دَخَلَ " فهذا صحيح لأنه جار على سنن العرب في كلامها ¹ .
وما دام أبو الحسن الأخفش بهذا المستوى ، فله أن يقبل ويرفض ما يشاء من الصيغ والتراكيب المستحدثة .

ولنضرب لذلك الأمثلة الآتية :

• جاء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقِيَّةً ﴾ ² آل عمران 28

قال الأخفش :

" وقال بعضهم (تُقَاةً) ، وكلُّ عربي ، و " تُقَاةً " أجود مثل اتكأ تكأةً ، واتخم تُخمةً واتحف تُحفةً ³ . "

• قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ﴾ المائدة 41

يقول الأخفش : " وأهل المدينة يقولون : " يُحْزِنُكَ " ، يجعلونها من " أَحْزَنَ " والعرب تقول " أَحْزَنْتُهُ ، وَحْزَنْتُهُ " ⁴ "

• قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام 109

قرأ بعضهم " أَنَّهَا " ⁵ التي بمعنى " لعلها " يقول أبو الحسن :

" كما تقول العرب : اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئاً ، أي لعلك " ⁶ .

وقد يرفض الأخفش بعض الصيغ ، من ذلك :

• قوله تعالى : (أساطير الأولين) الأنعام 25

¹ - ابن جنّي ، الخصائص ، 1 / 153

² - قرأ الجمهور تُقَاةً ، وأمال حمزة والكسائي ، وقرأ ورش بين اللفظين ، وفتح الباقون ، وقرأ ابن عباس وآخرون تُقِيَّةً ، ينظر : أبو حيان ، البحر ، 2 / 442 ، 443

³ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 199

⁴ - نفسه ، 1 / 258

⁵ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية داوود الإيادي " إِنَّهَا " بكسر الهمزة ، وقرأ باقي السبعة بفتحها ،

ينظر : أبو حيان ، البحر ، 4 / 203

⁶ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 285

يقول أبو الحسن : " فبعضهم يزعم أن واحده أسطورة وبعضهم إسطورة . ولا أراه إلاّ من الجمع الذي ليس له واحد ، نحو : عباييد ومذاكيروأبائيل ، وقال بعضهم واحد

الأبائيل إبييل ، وقال بعضهم إبول مثل عَجُول ، ولم أجد العرب تعرف له واحدا " ¹

• وقد لا يرفض إنما يصف بالقبح ، نحو قوله :

فـ " لغوتَ تلغو" مثل " محوت ، تمحو" وبعض العرب يقول " لغي يَلغى " وهي قبيحة قليلة ، ولكن " لَغِيْ بكذا وكذا " أي : أُغْرِىَ به ، فهو يقوله ويصنعه . ²

• وقد يفاضل بين وجهين ، نحو :

" مُدْخَلًا " من " ادْخَلَ يَدْخُلُ " ، في قوله تعالى :

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا ﴾ التوبة 57

يقول أبو الحسن :

" لأنه (أي مُدْخَلًا) من ادْخَلَ يَدْخُلُ ، وقال بعضهم " مَدْخَلًا " ³ ، جعله من دخل يَدْخُلُ ، وهو فيما أعلم أردأ الوجهين . ⁴

وبعد هذا كلّهُ :

ما قيمة كلام العرب عند الأَخفش ؟ وما أهمية ذلك عند الدارسين ؟
لا شك في أن الأَخفش يعتبر كلام العرب أصلا من أصول العربية ، وهو في تعامله مع القرآن يستعين بالعرب الفصحاء لبيان معاني الألفاظ وطريقة النطق ومسائل التذكير والتأنيث والإفراد والجمع وغيرها ، فهو في كل ذلك إما أن يلقي الفصحاء فيسمع منهم مباشرة ، أو أن يلقي من لقيهم والعدالة هنا متوفرة في الناقل والمنقول عنه (كروايته

¹ - المصدر السابق ، 2 / 272

² - الأَخفش ، المعاني ، 2 / 466

³ - قرأ الجمهور " مُدْخَلًا " ، وقرأ الحسن وابن أبي اسحق وآخرون " مَدْخَلًا " بفتح الميم من دَخَلَ . ينظر :

أبو حيّان ، البحر ، 5 / 55 ، 56

⁴ - الأَخفش ، المعاني ، 2 / 332

عن شيخه يونس بن حبيب ، وعنه عن أبي عمرو بن العلاء) ، كما أنه يعتني بلغات العرب خاصة منها ما نسب إلى قبائل فصيحة ، بل يتجاوزها أحيانا إلى غيرها . وأخيرا نقول إنّ الأخفش ليس ناقلا أميناً فحسب للمادة اللغوية ولكنه ناقدٌ أيضا ، فيقر ويرفض ويستقيح ويفاضل .

ولا يخفى ما لهذه المواقف التي وقفها الأخفش من كلام العرب من أهمية وفائدة تعود على الدراسة العربية بوجه عام ، تبرز هذه الأهمية في :

1 - الأخفش مصدر من مصادر المادة اللغوية العربية ، فقد لقي الفصحاء وأخذ عنهم ولقي غيرهم ومحصّ ما نقل واحتجّ به .

2 - لقد أضفى على الشواهد اللغوية التي اعتمدها نوعا من التزكية والترجيح حتى ولو كانت لمجاهيل ، وقليل منها من جهل قائله من قبل المحققين بعد ذلك ، ولهذا غدت هذه الشواهد معتمدة من طرف كل العلماء والدارسين في العصور اللاحقة .

3 - إن نقد أبي الحسن للمادة اللغوية وتمييز صحيحها من فاسدها يسهل على العلماء بعده اعتمادها أساسا من الأسس التي بني عليها اجتهادهم في تحليل النص اللغوي من استنباط القواعد والأحكام .

2 - كلام العرب عند الفراء

يتناول هذا المبحث مكانة كلام العرب عند الفراء في سياق الاحتجاج اللغوي لا النحوي ، تبرز هذه المكانة من خلال المميزات الآتية :

أولا : توسيع دائرة الإحتجاج :

لم يحصر الفراء شواهد اللغوية في القبائل الست المعروفة بالفصاحة وهي قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض طيء ، إنما تجاوزها إلى غيرها من القبائل التي رفض البصريون الاحتجاج بعربيتها لمخالطتها الأعاجم ، من هذه القبائل : ربيعة ، بنو الحارث ، أهل حوران ، بنو عامر ، كلاب ، قضاة ، أهل اليمن ، بنو نمير ، بكر ، بنو سليم ، كندة .

ولا بد ههنا من تسجيل الملاحظات الآتية :

- 1- إن أغلب مواضع الاستشهاد اللغوي إنما كانت لقبائل فصيحة دون غيرها.
- 2- إن الفصاحة المنسوبة إلى هذه القبائل المذكورة ، إنما هي نسبية فالفراء لا ينسب أحيانا اللغة إلى القبيلة برمتها وإنما إلى بعض منها ، فمثلا :
- "..والمُلكُ السلطان وبعض بني أسد يقول: مالي مُلكٌ ، يقول مالي شيء أملكه ..."¹
- جاء في الآية الكريمة ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ يوسف 19
- قال الفراء " ويا بشراي . بنصب الياء وهي لغة في بعض قيس . " ²
- 3- قد تكون اللغة مشتركة بين قبيلة فصيحة وأخرى غير فصيحة من ذلك :
- يقول الفراء : " ... يقال بعت الثوب ، على معنى أخرجته من يدي ، وبعته : اشتريته ، وهذه اللغة في تميم وربيعة "³
- يقول أيضا : " الرسل والكتب في لغة تميم وبكر بالتخفيف ⁴
- 4 - معرفته بلغات العرب واسعة فتراه ينسبها إليهم مباشرة في مثل قوله :
- " ... يقال كنت عنده ملوّة من دهر (أي طويلا) وملوّة وملوّة وملوّة من دهر . وهذيل تقول ملوّة "⁵
- " أسوة برفع الألف في كل القرآن وكان يحيى بن وثاب يرفع بعضا ويكسر بعضا . وهما لغتان : الضم في قيس . والحسن وأهل الحجاز يقرؤون (إسوة) بالكسر في كل القرآن ⁶
- قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ الطلاق 6
- قال الفراء : " لو قرأوا " من وجدكم " كان صوابا لأنها لغة لبني تميم "⁷
- 5 - قد يُثبت سماعه بواسطة واحد منها ، مثل :
- قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ العاديات 9

1 - الفراء ، معاني القرآن ، 2/ 189 ، 3/ 286

2 - المصدر السابق ، 2/ 39

3 - نفسه 1/ 56

4 - نفسه 3/ 125

5 - نفسه ، 2/ 129

6 - نفسه 2/ 339

7 - نفسه 3/ 164

يقول : " وسمعت بعض بني أسد ، وقرأها فقال : " بَحْثِر " وهما لغتان : بَحْثِر وبعثر¹ "

وفي موضع آخر يقول أبو زكريا :

" سمعت بعض بني الحارث يقول : كان به جرب فنشر أي عاد وحي² "

ومجمل القول في علاقة الفراء بلغات العرب أن الرجل ذو الإمام واسع بها ، إما بالمخالطة المباشرة أو بشيوعها في البيئة اللغوية العامة في ذلك العصر .

ثانياً الاعتداد بكلام العرب :

لم تكن لغات العرب إلا نذرا يسيرا من علم الفراء بكلام العرب جملة ، فمعاشرته للعرب الفصحاء وفقهه لأساليب وأفانين كلامهم جعله يتبوأ منصب الحكم ، يحكم في كل ما يسمع وما ينجز من كلام ، فيقرر صحته أو فساده أو ندرته أو قلته على الوجه الوارد ودليل ذلك :

1- ما ألفه وفقهه من كلام العرب عندما يقول :

" ذلك من كلام العرب " ، " الكلام العربي هكذا " ، " جائز في كلام العرب " ³

ونكتفي هنا بمثال واحد :

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ البقرة 229

يقول أبو زكريا معلقا على قراءة أبي : ﴿ إِلَّا أَنْ يَظُنَّا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾

" والخوف والظن متقاربان عند العرب ، من ذلك أن الرجل يقول : قد خرج عبدك بغير إذنك ، فتقول أنت : قد ظننت ذاك وخفت ذاك والمعنى واحد " ⁴

2 - ما سمعه منهم مباشرة ، عندما يقول :

" سمعت بعض العرب " ، " سمعت العرب " ، " سألت عنه بعض العرب " ⁵

وللتوضيح نورد ما ذكره في:

¹ - الفراء ، المعاني ، 3 / 286

² - المصدر السابق ، 1 / 173

³ - نفسه 14/1 و 214/3

⁴ - نفسه 1 / 146

⁵ - نفسه ، 152/1 و 299 / 1 و 3 / 232

• قوله تعالى :

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ البقرة 235

يقول : " الخِطْبَةُ مصدر بمنزلة الخِطْبِ ، وهو مثل قولك : إنه لحَسَن القِعدة والجلِسة ، يريد القعود والجلوس . والخِطْبَةُ مثل الرسالة التي لها أول وآخر¹ ، قال سمعت بعض العرب يقول : اللهم ارفع عنا هذه الضُّغطة ، كأنه ذهب إلى أن لها أولا وآخرا ..."²

• ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾ الإسراء 92

جاء في معنى (الكِسْفِ) ، قال الفراء : " سمعت أعرابيا يقول لبزازٍ ، ونحن بطريق مكة : أعطني كِسْفَةً أي قطعة"³

• ومنه كذلك ما ورد في سياق تفسير قوله تعالى ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ فصلت 19

يقول : " فهي من وزَعْتُ ، ومعنى وزَعْتُهُ : حبسته وكففته ... وسمعت بعض العرب

يقول : لأبعثنَّ عليكم من يزَعُكم ويَحْكُمُكم من الحَكَمَةِ⁴ التي للدابة ."⁵

• ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَنَّكَآ ﴾ يوسف 31

ويقال إنَّ " مَنَّكَآ " غير مهموز ، وسمعت أنه الأترجج ، وحدثني شيخ من ثقات أهل البصرة أنه الزُّمَّاورِدُ"⁶ .

3 - أمثال العرب :

غالبا ما يفرق الفراء بين لغة الحديث اليومي ولغة الأمثال ، فيقول عن الأولى :

¹ - الخِطْبَةُ ، اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب ، ينظر :

ابن منظور ، اللسان 1 / 361 ، مادة : خطب .

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 152

³ - نفسه ، 2 / 131

⁴ - حَكَمَةُ اللجام : ما أحاط بحنكي الدابة ، سمي بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد ، وجمعه حَكَم ، ينظر :

ابن منظور ، اللسان 12 / 144 ، مادة : حكم

⁵ - الفراء ، المعاني ، 3 / 15

⁶ - نفسه 2 / 42 ، والزماورد : طعام يتخذ من البيض واللحم ، ينظر :

المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، القاهرة ، (د.ت) ، 1 / 401

" قالت العرب " ، " سمعت العرب " ، أما الثانية فإنه يصرح بقوله : "ومن أمثال العرب" ، وقد كان لهذه الأمثال الحظ الأوفر في الاستدلال اللغوي .
من بين الأمثال التي استدل بها :

• " شَرَّ مَا أَشَاءَكَ إِلَى مُخَّةِ عِرْقُوبٍ ¹ "

جاء هذا المثل في معرض قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ مريم 23 يقول الفراء : " فأجاءها المخاض " من جنبت ، كما تقول : فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة ، فلما ألقيت الباء جعلت في الفعل ألفا ... ولغة أخرى لا تصلح في الكتاب ، وهي تميمية " فأشاءها المخاض " ، ومن أمثال العرب : شرَّ ما ألجأك إلى مخة عرقوب ، وأهل الحجاز وأهل العالية يقولون : شرَّ ما أجاءك إلى مخة عرقوب والمعنى واحد ، وتميم تقول : شرَّ ما أشاءك إلى مخة عرقوب ² .

• " وَلُدُّكَ مِنْ دَمِّي عَفْبِيكَ ³ "

استدل الفراء به على أن من لغات العرب : " الوُدُّ والوَدُّ وهما لغتان مثل العَدَمُ والعُدْمُ ، وهما واحد. ⁴

• " النَقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ ⁵ "

مثل استدل به الفراء على إيضاح معنى " الحافرة " في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ النزعات 10

يقول : " يقال : إلى أمرنا الأول إلى الحياة ، والعرب تقول أتيت فلانا ثم رجعت على حافرتي ، أي رجعت إلى حيث جنبت . ومن ذلك قول العرب : النقد عند الحافرة ⁶ "

¹ - والمعنى ما ألجأك إليها إلا شرَّ أي فقر وفاقة ، وذلك أن العرقوب لا مخ له ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء . ينظر :

الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، 1955 (د.ط) ،

358 / 1

² الفراء ، المعاني ، 164 / 2

³ - الميداني ، مجمع الأمثال ، 363 / 2

⁴ - الفراء ، المعاني ، 173 / 2

⁵ - الميداني ، مجمع الأمثال ، 337 / 2

⁶ - الفراء ، المعاني ، 232 / 3

4 - الحكم على بعض الكلام بالقلّة ، بقوله :

" العرب لا تكاد تقول " أو " قد يجمع العرب بين اللغتين "

وهذان المثالان للتوضيح :

• قوله تعالى : ﴿ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ البقرة 152

يقول الفراء : " العرب لا تكاد تقول : شكرتك ، إنما تقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقولون : نصحتك ، وربما قبلنا " ¹ .

• قوله تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَادِرُونَ ﴾ المرسلات 23

" فقدرنا " تقرأ بالتخفيف والتشديد ² .

يقول : " لأن العرب قد تقول : قُدِّرَ عليه الموت ، وقُدِّرَ عليه رزقه ، وقُدِّرَ عليه بالتخفيف والتشديد ... وقد يجمع العرب بين اللغتين " ³

5 - نفي ورفض ما لا يتفق وما قالته العرب كأن يقول :

" لم نقل العرب " ، " لم نسمعها من العرب " " لم نسمعه من ثقة "

نمثل لذلك من كتاب الفراء :

• ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام 32

فالآخرة - في الآية - وصف للدار ، ومعناها واحد ، ويجوز أن تضاف الدار إلى الآخرة كما أضيف الحق إلى اليقين في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ الواقعة 95 والحق هو اليقين .

أما إذا اتفق اللفظان والمعنى واحد ، فلا يجوز أن يضاف أحدهما إلى الآخر يقول أبو زكريا :

" فإذا اتفقا لم نقل العرب : هذا حق الحق ، ولا يقين اليقين لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان في المعنى . " ¹

¹ - المصدر السابق 1 / 92 ، 1 / 430

² - قرأ نافع والكسائي بالتشديد ، وخفف الباقر ، ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 19 / 120

³ - الفراء ، المعاني ، 3 / 223

• قوله تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ ﴾ هود 70

قال الفراء "...والمعنى فيه : فبشرناها بإسحاق ، فضحكت بعد البشارة ، وهو مما قد يحتمله الكلام - والله أعلم بصوابه - وأما قوله (فضحكت) حاضت فلم نسمعه من ثقة ..²

6 - تغليب العرب :

ليس ما تنطقه العرب عند الفراء منزها عن الخطأ والزيغ ، فقد يخطئون ويتكلمون بما يبابه اللسان العربي ، فيصرح الفراء قائلا : " غلط تغلظه العرب " ونورد المثالين الآتيين :

• قوله تعالى ﴿ فَأِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ الحج 5

(ربت) من تريبو ، يعقب الفراء على قراءة أبي جعفر المدني (اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ) مهموزة .

يقول : " فإن كان ذهب إلى الربيبة الذي يحرس القوم فهذا مذهب ، أي ارتفعت حتى صارت كالموضع للربيبة³ ، فإن لم يكن أراد هذا ، فهو من غلط قد تغلظه العرب ، فنقول

: حَلَّتْ السويقُ وَلَبَّتْ بالحج . " ⁴

وفي موضع آخر من كتابه يخطئ الفراء امرأة من طيئ ، يقول : " سمعت امرأة من طيئ تقول : رثأت زوجي بأبيات ، ويقولون لبأت بالحج وحلأت السويق فيغلطون ، لأن حلأت قد يقال في دفع العطاش من الإبل ، ولبأت ذهب إلى اللبأ

¹ - المصدر السابق ، 330 / 1

² - نفسه ، 22 / 2

³ - ربأ القوم ، بَرِيؤُهُمْ ، رَبَّأً ، وَرَبَّأً لَهُمْ ، اطلع لهم على شرف ، وَرَبَّأْتُهُمْ وَارْتَبَّأْتُهُمْ ، أي رقيبتهم ، وذلك إذا كنت

لهم طليعة على شرف ، ينظر : ابن منظور ، اللسان 1 / 82 ، مادة : رَبَّأً

⁴ - الفراء ، المعاني 2 / 216

الذي يؤكل ... وورثأت زوجي ، ذهبت إلى رثيئة اللبن ، وذلك إذا حلبت الحليب على الرائب ... " 1

ثالثا - الاعتماد على مصادر ثابتة في الرواية :

لم تكن مصادر السماع عند الفراء هي ما نطقته العرب بوجه عام أو ما تفردت به بعض القبائل ، إنما كان لأبي زكريا شخصيات ثابتة روى عنها أغلب مادته اللغوية ولعلها كانت محل ثقته أكثر من غيرها .
هذه الشخصيات يمكن تصنيفها إلى فئتين :

1 - شخصيات علمية :

ونقصد بهم شيوخ الكوفة عموما ، وأبرزهم الكسائي (ت189هـ) وأبو جعفر الرؤاسي (ت175هـ) ، من ذلك استدلال الفراء بما نقله الكسائي عن العرب من أنّ الفعل " قَلَّ " يفيد النفي ، يقول :

" حكى الكسائي عن العرب : "مررت ببلاد قلّ ما تنبت إلا البصل والكرات ، أي ما تنبت إلا هذين"²

أما الرؤاسي فقد نقل عنه الفراء ، أن واحد " الأبايل " ، " إِبَالَةٌ " ، يقول :
" زعم لي الرؤاسي ، وكان ثقة مأمونا أنه سمع واحدها " إِبَالَةٌ " ، لا ياء فيها"³
والجدير بالذكر أن روايات الفراء عن الكسائي ومناقشته له في آرائه ، وردت في مواضع كثيرة من المعاني فاقت التسعين موضعا ، بخلاف أبي جعفر الرؤاسي الذي لم يرد ذكره إلا في أربعة مواضع على الأكثر.

2 - فصحاء سليقيون :

1 - نفسه 459/1

2 - المصدر السابق 1 / 59

3 - نفسه 292 / 3

هؤلاء الذين عدّ الفراء كلامهم دليلاً قاطعاً في الفصاحة ، فكان يستشهد بأشعارهم ويستفسرهم في المسائل اللغوية المختلفة ، وقد تردد ذكر هؤلاء كثيراً في " معاني القرآن " ومنهم :

• أبو ثروان العكلي وهو أعرابي فصيح يعلم بالبادية ، له من الكتب كتاب خلق الإنسان وكتاب معاني الشعر.¹

• ومنهم أبو زياد الكلابي : أعرابي بدوي ، قدم بغداد أيام المهدي وأقام بها حتى مات² . ومنهم أيضاً أبو الجراح العقيلي وأبو القمقام الأسدي ، ذكرهما ابن النديم في الفهرست لكنه لم يترجم لهما³ .

وشواهد هؤلاء فيها الشعر وفيها النثر ، ومما أورده الفراء في هذا الشأن :

جاء في قوله سبحانه : ﴿ فَهَمْ يُوزَعُونَ ﴾ فصلت 19

قال الفراء : " فهي من وزعت ، ومعنى وزعت : حبسته وكففته ، وسمعت بعض العرب يقول : لأبعثن عليكم من يزعمك ويحكمك ، من الحكمة التي للدابة ، قال ، وأنشدني أبو ثروان العكلي : (من الطويل)⁴

فإنكما إن تحماني وترسلاً عليّ غواة الناس إيب وتضلعا⁵

أما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ المزمّل 6

فقد ذكر الفراء أن هناك من قرأ (سبحاً)⁶ ، والتسبيخ توسعة الصوف والقطن وما أشبهه ، وقد روي أن أبا زياد الكلابي حضر مجلس الفراء ، فسأله الفراء عن هذا

1 - ابن النديم ، الفهرست ، 1 / 69

2 - نفسه ، 1 / 67

33 - نفسه ، 1 / 70

4 - البيت منسوب إلى سويد بن كراع العكلي برواية أخرى هي :

فإن أنتما أحكمتاني فازجرا أراهط نوذيني من الناس رضعا

ينظر : حاتم الضامن ، شعراء مقلون ، ط1 ، عالم الكتب 1407 هـ / 1987م ، ص 63

5 - الفراء ، المعاني ، 3 / 15

6 - قرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبله ، سبْحاً ، بالخاء المنقوطة ، ومعناه : خفة من التكليف ، والتسبيخ :

التخفيف ، وهو استعارة من سبّخ الصوف إذا نفشه ونشر أجزاءه ، فمعناه : انتشار الهمة وتفرق خاطر بالشواغل .

ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 8 / 355

الحرف - أي التسبيخ - فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبِّحْ عنه¹ ، للمريض والملسوع ونحوه .²

والخلاصة من كلام العرب عند الفراء :

- 1- لم يكن الفراء - في اعتماده على كلام العرب - راويا ناجحا ولا ناقلا أميناً فحسب ، إنما كان ممحصاً لما ينقل ، مختبراً لما يروي ، مما جعل مروياته حجة للعلماء والدارسين بعده .
- 2- إمام أبي زكريا بكلام العرب وثقته المتناهية في مصادر الرواية محدّدة ، جعلت له دائرة احتجاج خاصة تتجاوز بيئة الفصاحة التي حددها العلماء الذين جاؤوا بعده .
- 3- إنَّ منهج الفراء في الأخذ عن العرب وطريقة تعامله مع المرويات أعطى الكوفيين خصوصية تميّزوا بها في باب الرواية ، فنثلاً إذا كان الفراء قد وضع كلَّ ثقته في من عدّهم فصحاء من أمثال أبي زياد الكلابي وأبي ثروان العكلي وغيرهما ، فإنَّ هؤلاء ليسوا كذلك عند البصريين .

¹ - يقال : اللهم سبِّحْ عني الحمى ، أي خفّفها وسلِّها ، ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 3 / 23 ، مادة : سبّخ

² - الفراء ، المعاني ، 3 / 197

3 - كلام العرب بين الأخفش والفراء

بعد عرضنا لمكانة كلام العرب عند الرجلين وطريقة توظيفهما له يمكن أن نخرج بالآتي :

1 - المدونة اللغوية لدى الفراء أوسع بدليل :

اعتماده عددا كثيرا من لغات العرب ، فلم يقتصر على القبائل الست المعروفة ، بل زاد عليها بكرة وقضاعة وبني كلاب ... وغيرها ، وهذا لا نجده عند الأخفش الذي لم يخرج عن القبائل الفصيحة المعلومة وإن خرج فإلى لغات مجهولة .

2 - تمكن الرجلين من كلام العرب واضح في كتابيهما ومستواه عال دون شك ، أولم يشملهما عصر الاحتجاج ؟ غير أن لدى الفراء أحكاما حادة أحيانا عندما ينسب الغلط للعرب ، ويستدرك عليهم خطأ قد يقع في دلالات بعض الألفاظ ، وقد مثلنا لكل ذلك .

ولا بأس أن نعرض هذه المسألة اللغوية المشتركة التي اشترك الاثنان في تحليلها ، كلٌّ ومنهجه الخاص .

نص الأخفش :

قوله تعالى : ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام 25

" ... فبعضهم يزعم أن واحده أسطورة وبعضهم إسطاره ، وأراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد ، نحو : عباييد¹ ومذاكير وأباييل² وقال بعضهم : واحد الأباييل إبييل ، وقال بعضهم إبول مثل عجول ، ولم أجد العرب تعرف له واحدا . فأما الشمايط³ ، فإنهم يزعمون أن واحده " شمطاط " وكل هذه لها واحد ، إلا أنه ليس يستعمل ، ولم

¹ - عباييد : الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها ، ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 276 / 3 ، مادة : عبد

² - الأباييل : جماعة في تفرقة ، ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 6 / 11 ، مادة : أبل

³ - الشمايط : القطع المتفرقة ، شمايط الخيل : جماعة في تفرقة ، ينظر :

ابن منظور ، اللسان ، 336 / 7 ، مادة : شمط .

يُتكلّم به ، لأن هذا المثال لا يكون جميعاً ، وسمعت العرب الفصحاء يقولون :

أرسل إله أبابيل ، يريد جماعات فلم يتكلم لها بواحد .¹

التحليل :

- المسألة المعروضة في النص هي أن هناك جموعاً لا مفرد لها كالأساطير - على حدّ قوله - والعبايد والمذاكير والأبابيل
- قال إن بعضهم زعم للأبابيل مفرداً وهو " إِبِيل " أو " إِبُول " مثل عَجُول ، غير أنه رفض ذلك ، لأنه لم يجده عند العرب ، واستدل بما سمعه عن العرب الفصحاء الذين قالوا " أرسل إله أبابيل " أي جماعات . بخلاف " الشمايط " التي أقر بوجود مفرد لها لكنه غير مستعمل.

نص الفراء :

قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ الفيل 3

" ... لا واحد لها مثل الشمايط والعبايد والشعارير² ، كل هذا لا مفرد له واحد ، وزعم لي الرؤاسي ، وكان ثقة مأمونا أنه سمع واحداً : إبالة لا ياء فيها ، ولقد سمعت من العرب من يقول : " ضغث على إبالة"³ ، يريدون خصب على خصب ، وأما الإيبالة فهي الفضلة ، تكون على حمل الحمار أو البعير من العلف ، وهو مثل الخصب على الخصب وحمل فوق حمل ، فلو قال قائل : واحد الأبابيل إبالة كان صواباً ، كما قالوا : دينار ودنانير ، وقد قال بعض النحويين وهو الكسائي : كنت أسمع النحويين يقولون : أبوك مثل العجول والعجاجيل .⁴

¹ - معاني الأخفش ، 2 / 272

² - الشعارير : لعبة للصبيان لا مفرد لها ، ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 4 / 416 ، مادة : شعر

³ - الإبالة : الحزمة من الحطب ، الضغث : قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس ، وهو مثل معناه :

بليّة على أخرى ، ينظر :

الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1988 ، 1 /

التحليل :

- يقرر الفراء من البداية أن الأبايل لا مفرد لها من لفظها ، مثل الشمايط والعباديد والشعارير .
- لكنه يورد قولاً للرؤاسي أنه سمع واحدها وهو " إبالة " ، كما أنه سمع من العرب " ضغت على إبالة " ، والإبالة ليست في معنى الأبايل .
- ثم يفرع الفراء إلى القياس فيقيس الأبايل على الدنانير ، فيكون مفردها إبالة إذا كان مفرد الدنانير " دينار " .

موازنة بين النصين

في نص الأخفش دقة وثبات ، يطرح الافتراضات أولاً ، ثم ينفىها بعد ذلك ، ويستدل على صحة مذهبه بما سمع عن العرب الفصحاء .

أما الفراء فينطلق من مسلمة ابتداءً ، وهي أن لا مفرد لـ " أبايل " ثم يضعف من قوتها بإيراد أقوال تنفيها ، حتى إذا لم يجد حاجته في كلام العرب ، راح يقيس غير المنقول " أبايل " على المنقول " دنانير " ، فشتان بين المنهجين .

الباب الثاني

القياس اللغوي وطريقة التوظيف

الفصل الأول : القياس اللغوي عند الأخفش

الفصل الثاني : القياس اللغوي عند الفراء

إن أهمية القياس في التقعيد لا تقل عن أهمية السماع في التأصيل، فإذا كان السماع سابقاً - ولو نظرياً - فإن القياس نتيجة حتمية له ، بل إنه من الصعب الفصل بينهما فحيثما كان هناك نقل عن العرب تولد عنه قياس ، إذ لا يسع المتكلم بالعربية أن يحصر كلامه في الصيغ والتراكيب المسموعة ، بل يجد نفسه مضطراً إلى أن ينتج كلاماً تظهر عروبه في صحة قياسه على كلام العرب ، تبعاً للقاعدة الشهيرة " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب " .

لذلك فبداية القياس ترجع إلى الفترة المبكرة التي حرص فيها العلماء على جمع كلام العرب حتى إذا كان عصر عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت117هـ) ، بدأ القياس بشكل جلي أداة واضحة لإحكام قواعد اللغة ، وقد نسب للحضرمي البداية الفعلية للقياس ، يقول عنه ابن سلام الجمحي إنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل¹ ، مع ملاحظة أن الحضرمي كان يستتبط قواعد اللغة العربية من كلام العرب ثم يقيس على هذه القواعد² ، وسئل يونس ابن حبيب : هل سمعت من ابن أبي إسحق شيئاً ؟ قال : نعم ، قال ، قلت له : هل يقول أحد الصويق ؟ يعني الصويق ، فقال : نعم عمرو بن تميم تقولها ، وما تريد إلى هذا ، عليك بباب من النحو يطرد وينقاس³ .

جاء بعد الحضرمي عيسى بن عمر (ت149هـ) الذي كان يختار المطرد من النصوص والتي تفضي إلى قواعد ثابتة يقيم عليها قياسه ، وفي المقابل فإنه كان لا يهمل الغريب واللهجات⁴ . أما أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) فنبوغه في الرواية واللغة جعله لا يقع رهينة القياس المجرد ، بحيث ينتقي من كلام العرب ما يوافق قياسه ويرفض ما سوى ذلك ، يلخص منهجه في القياس بإجابته على السؤال : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فيجيب : أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات⁵ .

¹ - ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : طه أحمد إبراهيم ، دارالكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ،

1402هـ / 1982م ، ص30

² - محمد سالم صالح ، أصول النحو ، ص 58

³ - ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ص 31

⁴ - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 26

⁵ - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 34

أما يونس بن حبيب (ت182هـ) فقد سار على نفس نهج أبي عمرو بن العلاء ، ولو أن له أقيسة خالف فيها الخليل وسيبويه ¹ .

هذه صورة القياس في مرحلة ما قبل الخليل وسيبويه ، والذي كان أداة طيعة في إثراء العربية ومنهجاً عميقاً في تحليل مادتها اللغوية .

لقد ساهمت عبقرية الخليل في نضج القياس وإخراجه من البساطة إلى العمق والتشعب ، فهذا ابن جني (ت392هـ) يبدي انبهاره بذكاء الخليل ، عندما حلل وعلل نسبة العرب إلى تهامة ، فقالوا " تهامٍ " بدلاً من " تهاميٌّ " ، فكأنهم نسبوا إلى "تَهَمٍ" و"تَهَمٍ" ، تماماً كما نسبوا إلى الشام واليمن ، وهو ما أثبتته السماع الصحيح عن العرب ، يقول ابن جني : " ... قال الخليل في هذا : إنهم كأنهم نسبوه إلى " فَعَلٍ " أو " فَعَلٍ " ، وكأنهم فكوا صيغة " تهامة " فأصاروها إلى تَهَمٍ أو تَهَمٍ ، ثم أضافوا إليه (أي نسبوا إليه) فقالوا : تهامٍ . وإنما ميّل الخليل بين فَعَلٍ وفَعَلٍ ولم يقطع بأحدهما ، لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً وهما (الشام) و (اليمن) وهذا الترجيم الذي أشرف عليه الخليل ظناً ، قد جاء به السماع نصاً ، أنشدنا أبو علي قال :

أنشد أحمد بن يحيى : (من الرجز)

أَرَقْنِي اللَّيْلَةَ بَرَقٌ بِالتَّهَمِ يَا لَكَ بَرَقًا مَن يَشُقُّهُ لَا يَنَمُ ²

فانظر إلى قوة تصور الخليل إلى أن هجم به الظن على اليقين . ³

ولم يكن القياس عند الخليل قياس شبهه بأن يشبه الفرع الأصل وإنما كان قياس تمثيل يقوم على الفرض والتقدير أو قياس مفارق يقوم على تعليل للنادر. ⁴

ثم جاء بعد الخليل سيبويه الذي ركّز على قياس التمثيل ، وفتح الباب أمام التمارين العقلية ⁵ . وبعد الخليل وسيبويه يأتي عصر الأخفش والفراء وهو ما سنفرده بالدراسة في

¹ - محمد سالم صالح ، أصول النحو ، ص 61

² - البيت مجهول القائل ، ينظر :

ابن منظور ، اللسان ، 12 / 72 ، مادة : تهم . ورواية اللسان :

أَرَقْنِي اللَّيْلَةَ لَيْلٌ بِالتَّهَمِ يَا لَكَ بَرَقًا مَن يَشُقُّهُ لَا يَنَمُ

³ - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : عبد الحميد هندواوي ، 1 / 472

⁴ - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 55

⁵ - المرجع نفسه ، ص 91

المبحث التالي .

لكننا هنا لا بد أن ننبه إلى أن هذا التطور الذي ذكرناه إنما هو للقياس بشقيه النحوي واللغوي ، والذي يعنينا في هذا القسم هو القياس اللغوي ، هذا القياس وإن كان يشكل نسبة ليست بالكثيرة بالنظر إلى القياس النحوي لكن القياس اللغوي أو قياس النصوص - كما يسميه بعض الدارسين - يعد ضرورة تحتمها ظروف التطور الاجتماعي التي تتطلب مرونة في استخدام المادة اللغوية ، ومن صور هذه المرونة إلحاق الصيغ والمفردات غير المنقولة بالصيغ والمفردات المنقولة ، كتتويع أشكال الاشتقاق والأبنية ، وهذا يعد وسيلة مباشرة لزيادة الثروة اللغوية .¹

¹ - علي أبو المكارم ، أصول التفكير النحوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007 ، ص 85

البحث الأول : القياس اللغوي وصوره عند الأخفش

القياس كما هو معلوم قسمان :

- استقرائي : يقوم على مدى اطراد الظاهرة في النصوص اللغوية مروية أو مسموعة ، واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها ومن ثم رفض الأخذ بالظواهر الشاذة .

- شكلي : وهو عملية شكلية يتم فيها إلحاق أمر بآخر لما بينهما من شبه أو علة ، فيعطي الملحق حكم ما ألحق به ، وبالتالي فإن القياس هنا يقوم على أربعة أركان : مقيس ومقيس عليه والجامع بينهما والحكم¹ .

تجدر الإشارة إلى أن القياس الاستقرائي استمر طيلة ثلاثة قرون ، من بداية نشوء علم النحو حتى عصر ابن جني ، أما الشكلي فظهر بصورة واضحة في عهد ابن الأنباري .

إذن فالقياس عند الأخفش الأوسط سيكون لا محالة استقرائياً ، لكنه لن يكون بنفس درجة الطبقات الأولى من البصريين ، فإذا كان هذا القياس الاستقرائي قد شهد تطوراً ملموساً على يد الخليل وسيبويه ، فإنه سيشهد أكثر من ذلك لدى من جاء بعدهما وهو أبو الحسن ، فإذا كان الخليل وسيبويه لم يقيسا على الشاذ والنادر وحفظهما الخليل أو أولهما ، فإن الأخفش قاس على غير المسموع واعتدّ بالشاذ . ولذلك قيل إنّ الأخفش وسّع دائرة القياس بل أصبح قياسه مرادفاً للرأي الذي يكون معللاً أحياناً وغير معلل أخرى² . هذا عن قياسه بوجه عام .

لكن ماذا عن قياس النصوص عنده ، أعني القياس اللغوي ؟

هذا ما سيكشف عنه الجانب التطبيقي لهذا المبحث .

تضمن القياس اللغوي عند الأخفش صوراً منها :

¹ - علي أبو المكارم ، أصول التفكير النحوي ص 27

² - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ص 99 ، 100

1 - القياس على المطرد :

إن الأخفش - وإن نسب إليه - توسيع دائرة القياس لكن ذلك لا يعني إهماله للأصل الذي جرى عليه اللغويون والنحاة في قياسهم ، وهو البناء على كلام العرب المطرد الثابت المسموع . من ذلك :

• حكم " مَنْ " في قوله سبحانه:

﴿ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴾ البقرة 61

وهذا جارٍ على كلام العرب ، ويورد الأخفش أمثلة :

" تقول في الكلام : أهل البصرة يأكلون من البر والشعير ، أو ذهب فأصببت من الطعام ، تريد شيئاً ، أو هل جاءك من رجل ؟ تريد : هل جاءك رجل وتقول العرب : قد كان من حديث فخلٌ عني حتى أذهب . يريدون : قد كان حديث ."¹

• قوله تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ البقرة 16

والذي لم يربح هو الإنسان وليس التجارة . يقول الأخفش :

" فهذا على قول العرب : خاب سعيك ، وإنما هو الذي خاب ."²

• قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ﴾ البقرة 57

السلى : طائر ، قال الأخفش : " لم يسمع له بواحد " ثم قاسه على " دفلى "

و " حبارى " التي يطلق فيها الواحد على الجماعة سواء . واستدل بقول

الفرزدق : (من الطويل)

وَأَشْلَاءُ لَحْمٍ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ سِنْنَا صَاحِبٍ مُتَأَلِّفٍ³

• قوله تعالى : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾ الأنعام 143

الضأن : جمع مفردة ضائن ، يقيسه الأخفش على : صاحب وصحب وتاجر

وتجر ، ثم يضيف : " وقال بعضهم : ضأن ومعز . جعله جماعة

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 98

² - نفسه ، 1 / 47

³ - رواية المفصل :

وَأَشْلَاءُ لَحْمٍ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا لَنَا قَانِصٌ مِنْ بَعْضِ مَا يَتَخَطَّفُ

ينظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، (د.ت) ، 5 / 90

- الضائن¹ والماعر مثل : خَادِمٍ وَخَدَمٍ ، حَافِدٍ وَحَفَدَةٍ مِثْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ أَلْحَقَ فِيهِ الْهَاءَ .²
- قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف 56
- يعلل الأخفش تذكير " قريب " ، وهي صفة الرحمة عندما يقيس ذلك على كلام العرب الذين سُمع عنهم ، عندما يقولون : رِيحٌ خَرِيقٌ³ ، ملحفة جديد ، شاة سديس⁴ ، وله تعليقات أخرى غير هذه .⁵
- ولا يكتفي أبو الحسن بأن يحتكم إلى كلام العرب ويقيس عليه ، بل يعلل لهذا المسموع الثابت ويؤوله ، من ذلك :
- ما جاء في قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ البقرة 38

- يقول : " ولغة للعرب يقولون : عَصِيَّ يَأْفَتِي ، وَهُدْيٍ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾⁶
- لما كان قبلها (أي الياء) حرف ساكن وكان ألفاً ، قلبته إلى الياء ، حتى تدغمه في الحرف الذي بعده ، فيجرونها مجرى واحدا وهو أخفّ عليهم " ⁷

وقد لا يعلل وإنما يعطيها المعنى المناسب ، من ذلك المعاني التي يتضمنها الفعل " هदानا " من قوله تعالى :

• ﴿ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ الأعراف 43

- يقول : " وتقول العرب : هو لا يهتدي لهذا أي لا يعرفه ، بنو تميم يقولون : هديت العروس إلى زوجها جعلوه في معنى : دللتها ، قيسٌ تقول : أهديتها ، جعلوه بمنزلة

¹ - الضائن من الغنم : ذو الصوف ، ويوصف به ، فيقال : كبش ضائن ، والأنثى ضائنة ، والضائن : خلاف الماعز ، والجمع : الضائن ، والضائن ، مثل : المعز والمعز . ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 13 / 251 ، مادة : ضائن

² - الأخفش ، المعاني ، 2 / 290

³ - ريح خريق : إذا اشتد هبوبها وتخللها المواضع ، ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 10 / 74 ، مادة : خرق

⁴ - شاة سديس : أي أتت عليها السنة السادسة ، ينظر ، ابن منظور ، اللسان ، 6 / 104 ، مادة : سدس

⁵ - الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، ص 300

⁶ - قرأ عاصم الجحدري وعبد الله بن أبي اسحق وعيسى بن عمر " هُدْيٍ " بقلب الألف ياءً وادغامها في ياء المتكلم ، وهي لغة هذيل . ينظر : أبو حيان ، البحر ، 1 / 322

⁷ - المصدر السابق ، 1 / 69

الهدية .

2 - القياس على القليل :

يقر الأخفش أحيانا بأن هذا قليل ومع ذلك لا يهمله ، ففي قوله تعالى :

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ آل عمران 75

يقول : " لأنها من " دُمْتَ ، تَدُومُ " ، ولغة للعرب " دِمْتَ " ، وهي قراءة¹ ، مثل : مِتَّ ، تَمُوتُ ، جعله على " فَعَلَ ، يَفْعُلُ ، فهذا قليل .² "

3 - القياس على المجهول :

وليس كل ما يقيس عليه أبو الحسن معلوما ثابتا بل قاس على المجهول ، حتى إن هذا الشاهد عرف به . يقول :

" زعموا أن تفسير " أكاد " [هو] أريد ، وأنها لغة ، لأن " أريد " قد تجعل مكان "

أكاد " مثل قوله تعالى : ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ الكهف 77

أي يكاد أن ينقض ، فكذلك " أكاد " إنما هي " أريد " ،

قال الشاعر³ : (من الكامل)

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى⁴

4 - التنظير والتععيد :

كثيرا ما يفرع أبو الحسن إلى التععيد المبني على كلام العرب الثابت ، دونما مرور

¹ - قرأ أبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن وثاب والأعمش وغيرهم " دِمْتَ " بكسر الدال وهي لغة تميم ،

ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 2 / 524

² - الأخفش ، المعاني ، 1 / 207

³ - البيت مجهول القائل ، ينظر :

- ابن جني ، المحتسب في تبیین شواذ القراءات ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي ، القاهرة 1386 هـ ، 31/2 ، 48

- ابن الأنباري ، الأضداد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص 97

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 371

- بالقياس على النص ، وفي ما يأتي أمثلة من ذلك :
- الأكلُ هو ما يُؤكَل ، والأكلُ هو الفعل الذي يكون منك ، تقول : أَكَلْتُ أَكْلًا وَأَكَلْتُ أُكْلَةً وَاحِدَةً . وإذا عنيت الطعام قلت أُكْلَةً واحدة ¹.
 - خَطِيءٌ يَخْطِئُ ، تفسيره : أَذْنَبَ ، وليس في معنى " أَخْطَأَ " ، لأن ما أَخْطَأْتُ ما صنَعْتَه خَطَأً ، وما خَطِئْتُ ما صنَعْتَه عمدًا وهو الذنب ².

5 - ليس كل ما يسمع يقاس عليه لشذوذه :

- تأمل أبو الحسن " ابن أمَّ " الواردة في قوله تعالى :
- ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي ﴾ الأعراف 150
- فاعملها معاملة الاسم الواحد مثل قولهم : " ابن عمِّ أقبل " لذلك قال عنها : " وهذا لا يقاس عليه " ، فصارت " ابن أمَّ " في رأيه من قبيل المطرّد في السماع الشاذ في القياس ³.

- وكما سمع عن بعض العرب فتح همزة " إن " دون مسوغ في قوله تعالى :
- ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (أَنَّ) رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ العاديات 9 ، 10 ، 11
- يعقب الأخفش على هذا قائلاً : " وهذا غلط قبيح " ⁴.

الخلاصة

الأخفش في قياسه على النصوص :

- 1- يعتمد - بكثرة - واضحة على المطرّد في كلام العرب مما صدر عن القبائل الفصيحة ولا يخرج عنها إلا نادرا .
- 2- قياسه على القليل لا يكاد يذكر .
- 3- لم نلمس في هذا الشق من القياس اعتماده على الشاذ بل إنه يكشف عنه ويقرر بأنه لا يقاس عليه .

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 184

² - السابق ، 2 / 388

³ - نفسه ، 2 / 310

⁴ - نفسه ، 2 / 320

المبحث الثاني : القياس اللغوي وصوره عند الفراء

سبق القول بأن القياس الاستقرائي استمر منتعشا طيلة ثلاثة قرون ، من بداية نشأة علم النحو إلى عصر ابن جني (ت392هـ). وإذا كان قد نسب إلى الكسائي توسعه في القياس لتوسع موارد السماع عنده ، فليس بعيداً أن يكون الأمر كذلك أو أكثر بالنسبة لتلميذه الفراء ، فاستفادة أبي زكريا من الكسائي من ناحية ، واعتزاليته من ناحية أخرى ، جعلاه بارعا في القياس بشقيه الاستقرائي والشكلي .

وإذا كان القياس الشكلي لصيقاً بالنحو ، فإنّ القياس الاستقرائي أو قياس النصوص لصيق باللغوي .

فما هي صور قياس النصوص أو القياس اللغوي عند الفراء ؟

تضمن القياس اللغوي عند أبي زكريا الفراء في كتابه " معاني القرآن " صوراً منها :

1 - القياس على الكثير المسموع :

وهذا ليس بالقليل عند الفراء إن لم يكن هو الغالب . من أمثله :

• معالجته لكلمة " أف " الواردة في قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ ﴾ الإسراء 23

فكلمة " أف " لها في رأي الفراء أكثر من صورة ، ولكل صورة دليلها من كلام العرب المطرد :

- " أف " (بالخفض والتنوين) ذهبوا إلى أنه صوت لا يعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوه كما تخفض الأصوات ، من ذلك قول العرب " سمعت طاقٍ طاقٍ لصوت الضرب ، ويقولون سمعت تغٍ تغٍ لصوت الضحك .
- " أُف " (بالخفض دون التنوين) حكمها حكم " إيه " التي يحذف تنوينها ،

كما قال الشاعر¹: (من الطويل)

وَقَفْنَا فَقَلْنَا إِيَّهِ عَنْ أُمَّ سَالِمٍ وَمَا بَالُ تَكْلِيمِ الدِّيَارِ الْبَلَّاقِ²

- قد تعامل معاملة الاسم فتُجَرُّ وترُفَع وتُنصَب ، كقول بعض العرب : " لا تقولنَّ له أفًّا ولا تَقَاً ."³

• الصيغتان " ميِّت " و " مائت " عند تناوله قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ المؤمنون 15

يقول الفراء : " والعرب تقول لمن لم يميت : " إنك ميِّت عن قليل ومائتٌ ، ولا يقولون للميِّت الذي قد مات ، هذا مائتٌ ، إنما يقال في الاستقبال ، ولا يجاوز به الاستقبال "

يفهم من كلام الفراء أن " الميِّت " بالتشديد ، تطلق على من لم يميت أو سيموت ، ودليل ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ الزمر 30

أما " الميِّت " بالتخفيف فتطلق على من فارقتة الروح ، ثم يقبس عليها قولهم : سيِّد القوم وسائدهم عن قليل ، وكذلك الطَّمع والطَّامع ، والشريف والشارف .⁴

• قد يستغنى عن بعض حروف الجرِّ إذا دلَّ على ذلك دليل :

جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ التكوير 26

والمعنى : فإلى أين تذهبون ؟

ذكر الفراء أن العرب قد تحذف " إلى " و " على " ، عند عدم الاخلال بالمعنى ، من ذلك قولهم : أين تذهب ؟ ، ذهبت الشام . والأصل : إلى أين تذهب ؟ وذهبت

إلى الشام ، كما نقل عن الكسائي أنه سمع العرب تقول :

انطلق به الفور ، أي : انطلق به على الفور¹ .

¹ - البيت لذي الرمة ، ينظر :

ابن يعيش ، شرح المفصل ، 4 / 31 ، 71 ، و 9 / 30

ابن منظور ، اللسان ، 13 / 475 ، مادة : أبه

² - البلاقع : الخالية . ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 8 / 21 ، مادة : بلقع

³ - الفراء ، المعاني ، 2 / 121

⁴ - نفسه ، 2 / 232

2 - القياس على القليل :

لم يكن القياس اللغوي عند الفراء مقيّدًا بالكثير المسموع عن العرب فحسب ، إنما تجاوزه إلى القياس على القليل ، من ذلك :

- " لا جرم " التي بمعنى : " لامحالة " أو " لا بد " التي في قوله تعالى :

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ هود 22

يورد الفراء لها صيغتين : " لَأَجْرٌ " و " لَأَذَا جَرَمٌ " ، يبيّن ذلك على ما سمعه من بعض القبائل ، يقول :

" ... ولكثرتها (أي لاجرم) في الكلام حذف منها الميم ، فبنو فزارة يقولون :
" لَا جَرَ أَنَّكَ قَائِمٌ . "

أما بنو كلاب - كما سمع عنهم الفراء - فإنهم يوصلون أولها بـ"ذا"² ، واستدل على ذلك ، فقال : أنشدني بعض بني كلاب³ : (من الرجز)

إِنَّ كِلَابًا وَالِدِي لَا ذَا جَرَمٍ لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَدْرًا صَادِقًا
هَدَرَ الْمُعْنَى ذِي الشَّقَاشِقِ⁴ اللَّهُمَّ⁵

- " كَذَّابٌ " وهي من مصادر " كَذَّبَ " في قوله تعالى :

﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ النبأ 28

يقول عنها الفراء إنها لغة يمانية ، فقد سأله أحد الأعراب منهم وهو على المروة

في موسم الحج يستفتيه : " آَلْحَلْقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْقِصَّارُ ؟ " ¹

¹ - نفسه ، 3 / 243

² - نفسه ، 2 / 9

³ - هكذا أورده البغدادي دون نسبة لقائل معين ، وفيه :

" لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَدْرًا فِي النَّعْمِ " بدلا من " لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَدْرًا صَادِقًا "

ينظر : البغدادي ، خزانة الأدب ، 10 / 290 وكذلك ، ابن منظور ، اللسان ، 12 / 94

⁴ - الشقاشيق ، مفردها : شَقَشِقَةٌ وهي شبه الرئة تخرج من البعير عند شدة هيجانه . ينظر :

ابن منظور ، اللسان ، 10 / 185 ، مادة شققش

⁵ - المعنى : الفحل اللثيم ، يحبس لثلا يؤذي كرام النوق . واللهم : الذي يلتهم كل شيء ، ينظر :

البغدادي ، الخزانة ، 10 / 290

• معنى " الشاكلة " في قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ الإسراء 84

الشاكلة هي الطريقة ، تسميها قضاة " الجديلة " ، يذكر الفراء أنه سمع بعض العرب من قضاة يقول : " وعبد الملك إذ ذاك على جديلته ، وابن الزبير على جديلته " ، كما ينقل عن العرب قولهم : " فلان على طريقة صالحة وخيدبة صالحة وسرْجوحة " أما عكْل فنقول : " سرْجيحة " ²

3 - القياس على الشاذ :

• من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ ق 45

ومعنى " جبَّار " ، لست عليهم بمسلط .

والعرب لا تصوغ صيغ المبالغة إلا من اسم الفاعل المشتق من الثلاثي المجرد ، فـ"فَعَّالٌ" من " فعلت فهو فاعل (دخَّالٌ من دخلت فهو داخل) لكن قالت العرب : درَّاكٌ من أدركت وهو شاذ ، يقول الفراء :

" فإن حملت " الجبَّار " على هذا المعنى فهو وجه " ³

• من هذا القبيل القياس على غير المسموع ، في مثل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِّرَ ﴾ المدثر 33

يقرُّ الفراء أنهما لغتان " دَبَّرَ " و " أدبَّرَ " ، دَبَّرَ النهار والشتاء والصيف وأدبَّرَ ، ويقيس عليها قَبْلَ وأَقْبَلَ ، يقول :

" أقبل الراكب وأدبر لم يقوله إلا بألف ، وإنهما في المعنى عندي لواحد ، لا أبعد أن يأتي في الرجل ما أتى في الأزمنة " ⁴

أراد أن يقول وإن لم يحصل سماع في قَبْلَ وأَقْبَلَ في غير الأزمنة فإن ذلك جائز

وليس ببعيد .

¹ - الفراء ، المعاني ، 3 / 229

² - المصدر السابق ج2 ص130

³ - نفسه ج3 ص81

⁴ - نفسه ، 3 / 204

4- تقديم السماع على القياس :

جاء في قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ عبس 15
 " البررة " جمع تكسير ، مفردة : " بارٌّ " ، هذا ما يقتضيه القياس ، لأن " فَعَلَةٌ " لا تكون جمعا إلا لما مفرده " فاعل " ، لكنّ العرب لا تقول " بارٌّ " ، وإنما " برٌّ " رجل برٌّ ، وامرأة برّة .

فإلى أيهما يحتكم الفراء ؟ ألى السماع أم إلى القياس ؟

يقول : " البررة " الواحد منها في قياس العربية : بارٌّ لأن العرب لا تجمع " فَعَلَةٌ " ينوون به الجمع إلا والواحد منه " فاعل " مثل : " كافر وكفرة وفاجر وفجرة ، فهذا الحكم على واحده " بار " ، والذي تقول العرب : رجلٌ برٌّ ، وامرأةٌ برّة ، ثم جمع على تأويل فاعل . ¹

وهكذا بدا واضحا أن أبا زكريا مال إلى السماع وترك القياس ، أو على الأقل برّر للسماع بما لا يتعارض مع القياس .

الخلاصة

الفراء في قياسه على النصوص :

- 1- يقيس على المسموع المطرد
- 2- قياسه على المطرد لم يغنه عن الاعتماد على ما سواه من قليل وشاذ أو غير مسموع كما بيّنا .
- 3- ميله إلى السماع واضح إذا اجتمع مع القياس

¹ - المصدر السابق ، 3 / 237

القياس اللغوي بين الأخفش والفراء

للمقارنة بين منهجيهما في القياس اللغوي ، نورد النصين الآتيين :

نص الأخفش :

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ المائدة 2

قال أبو الحسن :

" لَا يَجْرِمَنَّكُمْ ، أَيُّ لَا يَحِقُّ لَكُمْ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ [سَبَّحَانَهُ] :

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ النحل 62 ، إِنَّمَا هُوَ حَقٌّ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ .

قال الشاعر :¹ (من الكامل)

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْبَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَرَازَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا²

نص الفراء :

قال تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ هود 22

قال أبو زكريا :

" وَقَوْلُهُ [تَعَالَى] : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ ﴾ ، كَلِمَةٌ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ بِمَنْزِلَةِ " لَا بَدَّ

أَنَّكَ قَائِمٌ " وَ " لَا مَحَالَةَ أَنَّكَ ذَاهِبٌ " ، فَجَرَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا ،

حَتَّىٰ صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ حَقًّا³ ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ : لَا جَرَمَ لِأَتَيْتِكَ ، لَا جَرَمَ

قَدْ أَحْسَنْتَ ، وَكَذَلِكَ فَسَرَّهَا الْمَفْسُرُونَ بِمَعْنَى الْحَقِّ . وَأَصْلُهَا مِنْ جَرَمَتْ أَيُّ

¹ - البيت لأبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف ، وكلاهما جاهلي . ويقرأ " طعنْتُ " بالضم ، وهو خطأ - كما ذهب البغدادي - إذ الصواب فتح التاء ، لأن الشاعر خاطب بها كرزاً العقيلي ورثاه ، وكان طعن أبا عيبنة . ينظر :

البغدادي ، الخزانة ، 10 / 291 و المبرد ، المقتضب ، 2 / 351

² - الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، 1/250

³ - أي صارت بمنزلة اليمين وما بعدها جواب له ، ينظر :

البغدادي ، الخزانة ، 10 / 285 ، 286

كسبت الذنبَ وجرّمته ، وليس قول من قال : إنّ " جرّمت " ، كقولك : حقّقت أو حقّقت بشيء وإنما لبس على قائله قول الشاعر : (من الكامل)

ولقد طعنتُ أبا عيينة طعنةً جرّمتُ فزارةً بعدّها أن تغضباً

فرفعوا (فزارة) قالوا : نجعل الفعل لفزارة ، كأنه بمنزلة : حقّ لها أو حقّ لها أن تغضب ، وفزارة منصوبة - في قول الفراء - أي جرّمتمهم الطعنة أن يغضبوا. ولكثرتها في الكلام حذف منها الميم فبنو فزارة يقولون : " لا جرم أنك قائم " وتوصل من أولها بذا ، أنشدني بعض بني كلاب¹ :

إنّ كلاباً والدي لأذا جرّم لأهدرنّ اليوم هدراً صادقاً
هدر المعنى ذي الشقاشيق اللهم²

وجه المقارنة بين المنهجين

لوقارنا بين المنهجين لوجدنا فرقا واضحا :

- في منهج الأخفش دقة واقتضاب .
- وفي منهج الفراء سعة وبعض اضطراب .
- فأما الأخفش فدقيق : قدم المعنى الشائع واستدل عليه بسماع معروف وهو الشاهد الشعري الوارد ، وشرح " جرّمت فزارة " بمعنى حقّ لها .
- أما الفراء فقد قدم أبعادا أخرى للكلمة (لا جرم) ، فذكر :
- أصلها " لا بد " و " لا محالة " حتى إذا كثرت استعمالها صارت بمعنى حقّا .
- أصلها اللغوي بعيد عن هذا كله ، فـ " جرّمت " تعني " كسبت الذنب " وهنا يعرض بمن قال إنّ معناها : حقّقت أو حقّقت .
- استخدم الشاهد نفسه الذي استدلّ به الأخفش ، لكنه أوّله على غير تأويل الأخفش . ففزارة عنده منصوبة ، ولن يصبح المعنى : حقّ لها وإنما : جرّمتمهم الطعنة ، أي أكسبتهم الذنب

¹ - سبق الكلام عن البيت وصاحبه في الصفحة 131 من هذا البحث .

² - الفراء ، معاني القرآن ، ج 2 ص 9

- لم يكتفِ بإيراد المعنى الكثير المطرّد بل أورد القليل ومنه :
 - بنو فزارة يقولون : لا جر أنك قائم .
 - بنو كلاب يقولون : لاذا جرم .

الفصل الثالث :

الإجماع

المبحث الأول : الإجماع عند الأخفش

المبحث الثاني : الإجماع عند الفراء

المبحث الأول : علاقة الإجماع اللغوي بالإجماع الفقهي

لو تفحصنا أدلة النحو المعتمدة لدى اللغويين والنحاة لوجدناها صورة مماثلة للأدلة المعتمدة لدى الفقهاء ، وهذا ليس بالغريب عن علمين وجدا في بيئة واحدة وكانت علاقات متينة تربط بين أهل اللغة وأهل الفقه ، ولذلك تماثلت الأدلة بين العلمين ، فعند الفقهاء : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وهي أدلة متفق عليها عندهم ، وعند اللغويين والنحاة السماع والقياس ، ولذلك أضاف النحاة واللغويون أدلة أخرى لكنها لم تكن محل اتفاق ، من هذه الأدلة : الإجماع .

لم يكن الإجماع محل اتفاق من قبل الجميع أشار إليه ضمنا السابقون ، ولم يصرح به أصلا من أصول النحو إلا ابن جني حيث عقد له بابا سماه :
 " باب في القول على إجماع أهل العربية ، متى يكون حجة ؟ " ¹
 ثم تبنى هذا الرأي من المتأخرين جلال الدين السيوطي وعدّه أحد الأدلة الأربعة في النحو وهي : السماع والقياس والإجماع والاستصحاب .
 وللتعرف على حقيقة الإجماع عند اللغويين والنحاة لا بد من تقديم بسطة عن هذا الدليل عند الفقهاء باعتباره عند هؤلاء أسبق .

الإجماع عند الفقهاء :

الإجماع عند الفقهاء هو " اتفاق مجتهدي عصر من أمة محمد ﷺ على أمر شرعي " ².
 واشتروا له شروطا أهمها :

- 1- أن لا يعارضه نص من القرآن والسنة أو إجماع سابق
- 2- أن يكون الإجماع مستندا إلى دليل شرعي
- 3- أن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين
- 4- أن ينقرض العصر ويموت جميع المجتهدين حتى لا يرجع أحدهم عن رأيه. ¹

¹ - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، 1 / 216

² - محمد الزحيلي ، أصول الفقه الإسلامي ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، 1396هـ / 1976م ، ص 182

أما أقسامه فقسمان :

- اجتماع صريح : وهو حصول الإتفاق بين المجتهدين صريحا بالقول أو الفعل . وهذا النوع من الإجماع متفق على حجيته .
 - إجماع سكوتي : ومعناه أن يُصدر بعض المجتهدين حكما يسكت الآخرون عليه دون إقرار ولا إنكار ، وهذا النوع من الإجماع مختلف في حجيته² .
- هذا عند الفقهاء ، أما عند اللغويين والنحاة ، فلم يكن هذا المصطلح (الإجماع) بهذا المفهوم محلّ اهتمام كبير من قبل العلماء المتقدمين كما كان الأمر مع القياس. يمكن القول أن دليل " الإجماع " كان يتطور بتطور علم أصول النحو في حدّ ذاته ، إذ كان مبنوثا في كتب المتقدمين ثم بدأ يستقل ويظهر في كتب المتأخرين وأولهم ابن جني الذي أفرد له بابا خاصا كما أسلفنا ، وأفرد له السيوطي كتابا أيضا في مصنفه " الاقتراح " ، ولكن دليل الإجماع عند اللغويين والنحاة لم يكن محلّ إجماع بينهم فقد أهمله الأنباري واعتمد بديلا عنه " الاستصحاب " .

وعلى كل حال فمكانة الإجماع عند أهل اللغة والنحو لم تكن بالقدر الذي كانت عليه مع السماع والقياس .

ومجمل القول هو أنّ الإجماع عند اللغويين والنحاة ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1 - إجماع الرواة :

ومعناه اتفاق الرواة على رواية لشاهد من الشواهد ، وهذا يفرض إلى رفض الشاهد إذا جاء على رواية مخالفة ، لأنها خالفت الإجماع ، وقد اعتمد ابن الأنباري هذا الإجماع في كتابه " الإنصاف في مسائل الخلاف " دليلا على ردّ بعض شواهد الكوفيين . من ذلك:

¹ - المرجع السابق ، ص 189

² - نفسه ، ص 188

أن الكوفيين ذهبوا إلى أن : " كما " تكون بمعنى " كيما " ويجوز نصب ما بعدها واستدلوا بقول عدي بن زيد : (من البسيط)

اسْمَعْ حَدِيثًا كَمَا يَوْمًا تُحَدِّثُهُ
عَنْ ظَهْرٍ غَيْبٍ إِذَا مَا سَأَلْتُ سَأَلًا

يرد عليهم ابن الأنباري بأن لا حجة في هذا البيت ، لأن الرواة اتفقوا على أن الرواية الغالبة هي : " كما يوما تُحَدِّثُهُ " (بالرفع) ولم يروه أحد بالنصب إلا المفضل الضبي وحده .¹

فهذه صورة من صور إجماع الرواة .

2 - إجماع العرب :

ذكره السيوطي في الاقتراح²، واعتد به أصلاً لكنه قال : " وإجماع العرب أيضا حجة ، ولكن أنى بالوقوف عليه ؟

وصورة إجماع العرب في رأيه أن يتكلم العربي بشيء ويبلغهم ويسكتون عليه ، ثم مثل لذلك باستدلال النحاة على جواز توسيط خبر " ما " الحجازية ونصبه ، يقول الفرزدق :
(من البسيط)

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ
إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرٌ³

فسكوت العرب عن هذا البيت بهذه الصورة على الرغم من أن فيه ما يخالف قواعدهم ، دليل على أنهم راضون عنه ، فكأنهم مجمعون على صحته .

3 - إجماع النحاة :

وهذا أوضح أنواع الإجماع وأقواها وأدعاها إلى الاتفاق عليه . ويتمثل في اتفاق أهل المصريين أو البلدين (البصرة والكوفة) على حكم نحوي ما⁴، فتراهم يجمعون على

¹ - ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ج2 ، ص 591

² - السيوطي ، الاقتراح ، تحقيق : أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد قاسم ، ص 67

³ - سيبويه ، الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، 1 / 60 ، وقد علق عليه بالقول : " وهذا لا يكاد يعرف "

⁴ - السيوطي ، الاقتراح ، ص 66

جملة أحكام في النحو، وربما أجمعوا على الأصول أيضا كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين¹.

المبحث الثاني : الإجماع عند الأخفش والفراء

الإجماع كما أشرنا مصطلح متأخر ظهر بظهور علم أصول النحو فلا ننتظر من الأخفش والفراء أن يستخدم الإجماع بهذا اللفظ الصريح المؤدي إلى معنى محدد ، إنما مهمتنا الكشف عن طريقة توظيفه دون أن يكون هذا المصطلح مستعملا بالضرورة ، وهذا الذي حدث تماما عند شيخ النحاة سيبويه الذي يعدّ أول من استخدم الإجماع في أصوله وقصد به ما اتفق عليه النحويون قبله ، غير أنه غالبا ما يقرنه إلى إجماع العرب على الظاهرة² ، كقوله : " أخبرنا بذلك يونس عن العرب " ³ " وإن رفعته أجمع كان عربيا كثيرا " ⁴ ، والإجماع كما أسلفنا ، ثلاثة : إجماع العرب وإجماع الرواة وإجماع النحاة ، وسوف نركز على إجماع العرب دون غيره لما له من إشارات واضحة في الكتابين تحس من ورائها أن كلاً من الأخفش والفراء يعنيه ويتعمده ، بمعنى أنه يتخذه أصلاً يبنى عليه أحكامه وآراءه ، أما إجماع الرواة وإجماع النحاة فليس كذلك حيث يظهر في الكتاب أن إجماع الرواة غير مستهدف ولا مقصود ، فحسب الأخفش والفراء أن يوردا الشواهد التي بلغت عن شيوخهما أو ما تلقياه مشافهة عن العرب . واللمسة الوحيدة التي نراها في هذه الشواهد هو أن الأخفش البصري قد يميل إلى شواهد بروايات بصرية والفراء الكوفي ربما مال إلى شواهد بروايات كوفية⁵

¹ - عبد الرحمن السيد ، مدرسة البصرة النحوية ، (نشأتها ، تطورها) ، دار المعارف ، ط1 ، مصر ، (د.ت)

ص 177 ، و محمود نحلة ، أصول النحو العربي ، ص 91

² محمد خيرالحواني ، أصول النحو العربي ، الناشر الأطلسي ، الدار البيضاء ، المغرب (د.ت) ص 127

³ - سيبويه ، الكتاب 1 / 226

⁴ - نفسه ، 1 / 223

⁵ - من ذلك مثلا اختلافهما في رواية قول البرجمي :

أما إجماع النحاة فليس موضوعنا البحث في ما اتفق عليه البصريون والكوفيون ، إنما هي نقاط التقاء جمعت الأخفش والفراء وسنتناولها في مكانها من البحث .

فماذا عن إجماع العرب في الكتابين ؟

بدا جلال الدين السيوطي متشائماً في ذكره لهذا النوع من الإجماع عندما قال : " أنى بالوقوف عليه " . لماذا تشاءم ؟ لأنه جعل إجماع العرب كإجماع الفقهاء لفظاً ودلالة ، فإجماع الفقهاء سهل هين يمكن أن يحاط به لأن المعنيين بالإجماع هم الفقهاء المجتهدون في عصر معين ، وهؤلاء معروفون وربما عدوا على الأصابع واتفاقهم على حكم شرعي في زمن محدد يمكن أن يستساغ واقعا ومنطقا ، أما إجماع العرب على ظاهرة لغوية معينة بهذه الصورة فمستحيل لأنك مطالب بأن تتعرف على رأيهم إزاءها واحدا واحدا أو أن تجري استفتاء (بلغة العصر) حولها ، يشارك فيه الجميع وهذا غير ممكن . لكن الأمر - على ما يظهر - ليس بهذه الحرفية إذا اتصل بالظواهر اللغوية ، فإجماع العرب على ظاهرة لغوية معينة يعني شيوع ذلك على ألسنتهم واستعمالهم لها بشكل واسع عريض ، ويدخل في هذا معنى قولهم : " اللغة الفاشية " وهي من الفشو ومعناه الإنتشار والشيوع والذيعوع .

غير أن ما ينبغي الالتفات إليه هنا ، هو أنه لا يقدر على اكتشاف المُجمَع عليه في لغة العرب إلا من له إلمام واسع بكلام العرب ، وهذه الخصلة متمكنة أيما تمكن لدى العَلَمين الكبارين الأخفش والفراء .

فكيف تعامل كلٌّ منهما مع هذا الأصل في تناول النص القرآني الكريم ؟

1 - الأخفش والإجماع

لم يصرح الأخفش كما أسلفنا باعتماد هذا الأصل (الإجماع) وإنما يستشف من خلال تحليله لألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه. معتمدا في ذلك على ما أجمعت عليه العرب في

كلامها ، وقد عبر عنه بالعديد من الصيغ وكانت له في ذلك مواقف وآراء ، من هذه الصيغ والآراء :

إجماع عموم العرب ، إجماع الفصحاء ، إجماع أهل الأمصار وفيهم القبائل ، جواز الخروج عن الإجماع مع الاعتراف بذلك ، إنكار الخروج عن الإجماع ووصف ذلك بالقبح والرداءة ، يظهر ذلك في الأمثلة الآتية :

1_ إجماع عموم العرب :

وفيه يثبت الأخفش شيوع الكلمة أو دلالاتها على ألسنة الناس على اختلاف أمصارهم وفصاحتهم ، فليس في كلامه تمييز بين هذا وذاك .

• قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ الأعراف 150

يذهب الأخفش إلى أن " سَقَطَ " بمعنى " سَقَطَ " والصيغتان جائزتان واستدلَّ بإجماع العرب عندما قال : " والعرب تقول (سَقَطَ في يديه) و (أَسَقَطَ في أيديهم)¹ .

• قال سبحانه : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ يونس 71

(أَجْمِعُوا) في الآية من الإجماع بمعنى العزم ، هذا ما نبّه إليه الأخفش مستدلاً بما اتفقت عليه العرب في كلامها عندما تقول : " أجمعت أمري أي أجمعت على أن أقول كذا وكذا أي عزمت عليه"²

• قوله تعالى : ﴿ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ طه 69

فـ " حيث " هنا مكانية بمعنى " أين " وقد قرأ ابن مسعود (ولا يفلح الساحر أين أتى) لأن العرب تقول - كما استدل الأخفش - : " جئتك من أين لا تعلم ومن حيث لا تعلم"³

• قوله عزّ وجلّ : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الحجر 41

فـ " عليّ " بمعنى " عليّ دلالاته " نحو قول العرب: " عليّ الطريق الليلة " أي عليّ دلالاته

4 .

¹ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 310

² - نفسه ، 2 / 346

³ - نفسه ، 2 / 408

⁴ - نفسه ، 2 / 379

3- إجماع الفصحاء :

قد لا يقنع الأخفش بإجماع عموم العرب ، إذ قد يكون هذا الإجماع مظنة اللبس ، فربما تضمن بعض اللغات أو بعض النوادر ، لكنه يستتجد أحيانا بإجماع الفصحاء ليثبت أن ما ذكر من فصيح اللغة لا شك فيه ، من ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ الأنفال 42

يقول : " وقال بعضهم (بالعدوة)¹ ، وبها نقرأ ، وهما لغتان ، وقال بعض العرب الفصحاء (العديّة) فقلب الواو ياءً ."²

• قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ البقرة 51

أهل الحجاز يضمون هاء الضمير حتى بعد الكسر أو الياء ، ويشبعون ضمة الهاء واواً ، يقولون : " من بَعْدَهُو " ، إلا أن من العرب من لا يشبعها واوا ، يقول أبو الحسن : " وقد سمعنا بعض ذلك من العرب الفصحاء "³

3 - إجماع الأمصار والقبائل :

يحدث هذا عند الأخفش عندما ينسب الحكم إلى بلد بعينه أو قبيلة بعينها كأن يقول :

" أهل الحجاز ، أهل نجد ، تميم ، قيس ... من ذلك :

يجمع أهل الحجاز على :

- ترك الهمز في " أَجْرًا " فيقولون " جَزَى " والدليل قوله تعالى :

﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ البقرة 48

يقول أبو الحسن : " مثل قولك ، لا تَجْزِي عنك شاةٌ ، وَيَجْزِي عنك درهم ، وَجَزَى عنك درهم ، وَجَزَتْ عنك شاةٌ ، فهذه لغة أهل الحجاز ، وبنو تميم يقولون في هذا المعنى : أَجْرَاتُ عنه ، وَتُجْرِيُ عنه شاةٌ "⁴

¹ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة ، بكسر العين فيهما ، وباقي السبعة بالضم . ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 4 / 495

² - المصدر السابق ، 2 / 323

³ - نفسه ، 1 / 26

⁴ - نفسه ، 1 / 90

- استعمال الوزن " افعال " بدلا من " افعال " فيقولون : اسواد واحمار واشهاب
يقول أبو الحسن : " وقال بعضهم : (مُسْوَادَةٌ)¹، وهي لغة أهل الحجاز ، يقولون :
اسواد وجهه واحمار ، يجعلونه افعالاً²"

4 - جواز الخروج عن الإجماع :

لم تكن أحكام الأخفش بناءً على المجمع عليه فحسب إنما كان كثير الإشارة إلى
من خرج عن إجماع العرب ، ومع ذلك فهو يعترف به ويقره . من أمثلة ذلك :
• قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة 40
يقول أبو الحسن في همز (إسرائيل) وعدمه :

" فمن العرب من يهمز ومنهم من لا يهمز ، ومنهم من يقول (اسرائل) بحذف الياء التي
بعد الهمزة ويفتح الهمزة ويكسرهما³"

• قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء 31

اشتملت الآية على الفرق بين " خَطِي ، يَخْطَأُ و أَخْطَأُ ، يُخْطِئُ
فالأولى بمعنى أذنب متعمدا ، أما الثانية ففيها النسيان والغفلة ، غير أن أبا الحسن يقر
ناساً من العرب خرجوا عن الإجماع يقولون : " خَطِنْتُ " بمعنى " أَخْطَأْتُ "
واستدل على ذلك ببيت امرئ القيس⁴ : (من الرجز)

يَا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ خَطِنْتُ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحًا
تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا

¹ - إشارة إلى قوله تعالى : (تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) الزمر 60

² - الأخفش ، المعاني ، 456 / 2

³ - المصدر السابق ، 73 / 1

⁴ - البيت من الشعر الذي قاله امرؤ القيس حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه ، وأصله في الديوان هكذا :

والله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا

القاتلين الملك الحلالا خير معداً حسباً وناثلا

يا لهف هند إذ خطن كاهلاً

أبير : أهلك / مالكا وكاهلا : من بني أسد / الحلال : السيد الشريف ، يعني أباه . ينظر :

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1990 ، ص 134

- قوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الدخان 54
أي جعلناهم أزواجا بالهور ، ومن العرب من يقول " عَيْنٌ حَيْرٌ " ¹

5 - ما لا يجوز الخروج فيه عن الإجماع :

ذهب الأخفش إلى أنه يجوز حذف الياء من المنادى في مثل :

- قوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ ﴾ الزمر 16 و ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ يوسف 101 .

ولا يجوز في ما عدا ذلك إلا في رؤوس الآي ، يقول :

" ومن العرب من يحذف هذه الآيات في الدعاء (أي النداء) وغيره من كل شيء ، وذلك قبيح قليل إلا في رؤوس الآي . " ²

ومما لا يجوز فيه الخروج عن الإجماع ما جاء في :

- قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فصلت 26
يقول أبو الحسن : " وقال : (والغوا فيه) لأنها من (لغوتُ يلغى) مثل (محوتُ يَمْحَى) ... وبعض العرب يقول : لَغِيَ يَلْغَى ³ ، وهي قبيحة قليلة ، ولكن (لغى بكذا وكذا) أي أغري به فهو يقوله ويصنعه . " ⁴

2 - الفراء والإجماع

¹ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 475 ، كما جاء في اللسان : " أما قوله : (عينا حوراء من العين الحير) فعلى الإتياع لعين . ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 4 / 219 ، مادة : حور .

² - الأخفش ، المعاني ، 1 / 70 ، 71 .

³ - لَغِيَ ، بالكسر ، يَلْغَى لَغَى وَمَلْغَاةٌ ، أخطأ وقال باطلا ، قال رؤبة :

وَرُبَّ أَسْرَابٍ حَجِيحٍ كُظْمٍ عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ النَّكْلَمِ

ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 15 / 250 ، مادة : لغى

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 466

استخدم الفراء الإجماع كما استخدمه السابقون ، استخداما يجعلك تتلمسه في ثنايا بحثه ودراسته للنص القرآني الكريم ، ولذلك أخذ الإجماع عند الفراء ألوانا أربعة هي : إجماع حقيقي _ إجماع جزئي أو سكوتي _ إجماع بين الحقيقي والجزئي _ ظواهر لغوية شاذة خرجت عن إجماع العرب .

1- الإجماع الحقيقي :

وهو أغلب أدلة الفراء ، فعندما يحتكم إلى العرب لإثبات حكم ما ، يعبر عن ذلك بقوله : " العرب تقول " ، " كذلك كلام العرب " ، وهي عبارات درج الفراء ومن سبقه أو من جاء بعده من اللغويين والنحاة على استعمالها ، فمن هذا الإجماع الحقيقي : ما جاء في ذكر الأعمام مع الآباء في قوله تعالى :

• ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ البقرة 133
يعلل الفراء لذكر ذلك بأن العرب تجعل الأعمام كالآباء وأهل الأم كالأخوال وذلك كثير في كلامهم ¹.

• في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ﴾ البقرة 131 يعقب الفراء على القراءتين " ووصى " و " أوصى " ² ليقول على أن كليهما كثير في الكلام ³ ، وفي موضع آخر يقول : " والعرب تقول (وصيتك) ⁴ (أوصيتك)

• قوله تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ القلم 19 ذكر الفراء أن الطائف لا يكون إلا ليلا ، ودليله أن العرب تكلمت بذلك ⁵

2- الإجماع الجزئي أو السكوتي :

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 82 / 1

² - قرأ نافع وابن عامر " وأوصى " ، وقرأ الباقر : " ووصى " . ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 570 / 1

³ - الفراء ، المعاني ، 80/1

⁴ - نفسه 1 / 111

⁵ - نفسه 3 / 175

وهو اتفاق لم يصدر عن العرب قاطبة وإنما عن أغلبيتهم أو كثير منهم ومن أمثلته ما جاء في الآيات الآتية :

• قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَى ﴾ المومنون 44

يذكر الفراء أن كلمة " تترى " ترك أكثر العرب تنوينها لأنها نزلت بمنزلة (تقوى)

• قال سبحانه : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ الجن 11

" الطرائق " الفرق المختلفة الأهواء ، والمفرد (طريقة) ، ويقال أيضا : هذا طريقة قومه ، إذا كان سيدهم ، وكذلك : نظورة القوم ، سيدهم ، يقول الفراء : " وبعض العرب يقول : نظيرة قومه ، ويجمعان جميعا : نظائر"¹

• كلمة " مستنفرة " من قوله سبحانه :

﴿ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ المدثر 50

تقرأ بكسر الفاء وفتحها ، يذكر الفراء أن الصيغتين كثيرتان في كلام العرب ، بمعنى أنه لم يقع إجماع على إحداهما دون الأخرى² .

3- إجماع بين الحقيقي والجزئي :

كثيرا ما يشير الفراء إلى بعض الظواهر اللغوية التي لم تحرز على الإجماع الكامل من لدن العرب وفي الوقت نفسه فإنّ الخروج عن هذا الإجماع قليل ونادر ، لذلك تراه يستعمل عبارة " لا تكاد " " قلما " أو " قد " التي للتقليل ، وهذه بعض النماذج :

• يصرّح الفراء بأن الفعل " شكر " لا تكاد العرب تجعله متعديا بنفسه إنما الأصل

فيه أن يتعدى بحرف الجر اللام ، فقليل ما تقول العرب " شكرتك " أو " نصحتك

" وإنما الكثير أن تقول " شكرت لك " أو " نصحت لك " ³

• في قوله سبحانه : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الفتح 6

¹ - المصدر السابق ، 3 / 193

² - نفسه 3 / 205

³ - نفسه ، 1 / 92 و 1 / 430

" السوء " تقرأ بفتح السين لا بكسرها ، هذا هو الغالب والأقشى في اللغة كما قال الفراء لكنه ينبه إلى أن العرب قلما تقول " دارة السوء " وهذا يعني أن نطقها بالضم ليس مرفوضا لكنه قليل ¹.

وقد يستعمل الفراء - كما أسلفنا - " قد " التي للتقليل إشارة إلى أن هذه الظاهرة لم يجمع عليها لكنها ممكنة الاستعمال مثل :

• الفعل " أحسَّ " من الإحساس أي الوجود ، تقول : أحسست بكذا أي وجدته ،

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ آل عمران 52

لكن قد تقول العرب - وهذا ممكن - : " ما أحسَّتْ بهم أحدا " فيحذفون السين الأولى بعد إلقاء حركتها على الحاء الساكنة ²

• الزَّعَمُ وَالزُّعْمُ وَالزَّرْعَمُ ، ثلاث لغات ، قال تعالى :

﴿ هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ الأنعام 136

غير أنه قرئ بالفتح والضم دون الكسر ³ ، يقول الفراء : " والعرب قد تجعل الحرف في مثل هذا ، فيقولون : الفَتَّكُ (وهو القتل على غِرَّةِ) وَالفَتَّكُ وَالفَتَّكُ ، وَالوُدُّ وَالوُدُّ وَالوُدُّ فِي أشباه لها " ⁴.

4- - ظواهر لغوية شاذة :

وهي التي خرجت عن الإجماع ، بل إنَّ الفراء نفاها نفيًا تامًا وأنكر استعمال العرب لها ، من أمثلة ذلك :

• يجوز في العربية أن يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان كما جاء في قوله

تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ الواقعة 95

¹ - نفسه ، 65/ 3

² - المصدر السابق ، 217 / 1

³ - قرأ الكسائي " بزُعْمِهِم " بضم الزاي ، وهي لغة بني أسد ، وقرأ باقي السبعة بالفتح وهي لغة أهل الحجاز ، وقرأ ابن أبي عمير بفتح الزاي والعين ، والكسر لغة لبعض قيس وتميم ولم يقرأ به . ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 4 / 230

⁴ - الفراء ، المعاني ، 1 / 356

والحق هو اليقين ، أو كأن يقال " أتيتك يوم الخميس " ، لكن لا يصحّ - وهذا ما رفضه الفراء - ولم تقل العرب : " هذا حقّ الحقّ ولا يقين اليقين " ، لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان في المعنى .¹

• اسم العلم " يَسَع " الأصل فيه أن لا يُحَلَّى بالألف واللام ، مثله مثل : يعمر ويزيد يقول الفراء : " إن العرب لا تدخل على " يفعل " إذا كان في معنى فلان ألفا ولاما ، يقولون : هذا يسع ، وهذا يعمر ، وهذا يزيد ، فهكذا الفصيح من الكلام . " لذلك أيد الفراء قراءة " واذكر اسماعيل والليّسع " ، وهي قراءة أصحاب عبد الله بدلا من : ﴿ واذكر اسماعيل والييسع ﴾ ص 48

لأن " الليّسع " - كما قال - أشبه بالصواب وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل ، أما " الييسع " فدخول الألف واللام عليه يخرجها من فصيح الكلام .²

¹ - نفسه ، 1 / 330

² - المصدر السابق ، 3 / 407 ، 408

الفصل الثالث :

أصول النحو عند الأخفش والفراء

المبحث الأول : كلام العرب ومنهج السماع عندهما

المبحث الثاني : القياس ومنهجهما فيه

المبحث الثالث : العلل والعوامل عندهما

المبحث الأول

السمع ومنهجه عندهما

تحدثنا عن السماع أو النقل في الفصل الثاني باعتباره أصلاً للغة .
والسماع أو النقل يشمل ما ذكرناه : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ، كما فصلنا القول في هذه العناصر الثلاثة تفصيلاً يغني عن إعادة ذكره هنا ، وصار موقف الأخفش والفراء واضحاً من هذه العناصر الثلاث ، كما بدت جليةً طريقة توظيفهما للقرآن الكريم وكلام العرب فيما يخدم الجانب اللغوي للعربية ، أما الحديث النبوي الشريف فلم يكن ذا بال عندهما .
إن اكتشاف الملامح العامة لمنهجهما في السماع ، لا يتحقق إلا إذا فصلنا القول في علاقتهما بالقرآن الكريم وكلام العرب باعتبارهما أصليين أساسيين من أصول النحو العربي .

أولا : القرآن الكريم

1 - الأخفش والقرآن الكريم

كان الأخفش من الأوائل الذين كتبوا في معاني القرآن ، و " معاني القرآن " في فهمه - كما أسلفنا - لا تعني تفسيراً أو شرحاً للقرآن الكريم بقدر ما تعني التأكيد على صحة النحو العربي وسلامة قواعده من خلال القرآن ، فالكلمات المشروحة في كتاب الأخفش لا تتجاوز السبعين ، ولذلك قد لا يكون ضرورياً أن نبحث في الشواهد القرآنية في كتاب الأخفش ، فكتابه ليس كتاباً في النحو يستدل عليه بالقرآن كما هو حال كتاب شيخه سيبويه ، وإنما هو قرآن يتضح معناه وتفهم تراكيبه بالنحو فكل آية فيه دليل وكل قراءة حجة إلا ما استثنى.

فكيف أظهر الأخفش وأبرز أصولية القرآن الكريم في النحو العربي ؟ إن المطلع على الصفحات الأولى من كتاب الأخفش ليتبادر إلى ذهنه أن الرجل أراد أن يجعل من مصنفه كتاباً في النحو أمثلته التوضيحية من القرآن الكريم ، بل وضعه في شكل درس نحوي معاصر وفيه عنوان الدرس ثم الأمثلة موضوع الدرس ثم القاعدة دقيقة موجزة ، خذ لذلك المثالين الآتيين :

المثال الأول : هذا باب الدعاء .

وهو قوله : ﴿ يَا أَدَمُ اسْكُنْ ﴾ البقرة 35

و ﴿ يَا أَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ البقرة 33

و ﴿ يَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ ﴾ الأعراف 104

فكل هذا إنما ارتفع لأنه اسم مفرد ، والاسم المفرد مضموم في الدعاء ، وهو في موضع نصب ولكنه جعل كالأسماء التي ليست بمتمكنة .¹

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس 1/ 65

يقرر الأخفش إذن أن الاسم المفرد في النداء يبني على الضم شأنه في ذلك شأن الأسماء المبنية .

المثال الثاني : هذا باب الاستثناء

وقوله : ﴿ فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ البقرة 34

" فانصب لأنك شغلت الفعل بهم عنه ، فأخرجته من الفعل من بينهم ، كما تقول : " جاء القوم إلا زيدا " ، لأنك لما جعلت لهم الفعل وشغلته بهم جاء بعدهم غيرهم شبهته بالمفعول به بعد الفاعل وقد شغلت به الفعل .¹ " يحلل هنا أبو الحسن مسألة الاستثناء بـ " إلا " وسبب نصب الاسم بعدها ، وذلك بأن المستثنى لم يسند إليه الفعل وإنما أسند إلى المستثنى منه ، أما المستثنى فقد انتصب ، فكأنه المفعول به بعد فاعل هو المستثنى منه .

وهكذا تناول الأخفش جزءا كبيرا من سورة البقرة في شكل أبواب نحوية عددها ستة عشر بابا ، منها : باب الاستثناء ، باب الدعاء ، باب الفاء ، باب الإضافة .. الخ واستمر كذلك حتى الآية التاسعة والسبعين من السورة نفسها ، ولا أعرف السبب الذي صرفه عن الاستمرار في سلوك هذا المنهج مع القرآن كله ، لكن يظهر أنه وإن لم يستمر على ذلك بقية سورة البقرة وما بعدها ، إلا أنه أفرغ جعبته النحوية في هذه السورة وما تلاها من طوال المفصل حتى بدا ميّالاً إلى الإيجاز أو الاختصار بل الإعراض عن تناول سور بكاملها في ما سوى ذلك ابتداءً من سورة الفتح حتى آخر القرآن .

ومما يؤكد حرص الأخفش على جعل القرآن الكريم عمدة النحو العربي ، تلك العناية الفائقة في بسط القواعد النحوية استنادا على هذا الكتاب الكريم وذلك من خلال :

1- الإسهاب في شرح القاعدة النحوية عن طريق :

أ- تحليل المسألة النحوية وتقليبها على كافة الوجوه المحتملة ، مثال ذلك :

• ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ البقرة 208

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس 57/1

يبحث أبو الحسن - انطلاقاً من هذه الآية - في جمع "خُطوة" ، لِمَ جُمِعَتْ على "خطوات"

" في الآية ؟ قائلاً : " لأنّ كل اسم على " فُعْلَةٌ " خفيف ، إذا جمع حُرْكَ ثانيه بالضم ، نحو ظُلُمَاتٍ و غُرْفَاتٍ لأن مخرج الحرفين بلفظ واحد إذا قرب أحدهما من

صاحبه يسر عليهم ..."¹

يقصد أن الحرفين قد اقتربا من بعضهما وكانت لهما نفس الحركة فصار نطقهما أيسر وأسهل بخلاف ما إذا اختلفت حركتهما . ثم يستطرد بعد ذلك فيبحث في جمع " فُعْلَةٌ " بفتح الفاء و " فِعْلَةٌ " بكسرها مع مراعاة طبيعة الحروف المشكلة للاسم إن كانت حروفاً صحيحة أو حروف علة .

• قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة 35

يتناول أبو الحسن في ما أسماه " باب الفاء " مسألة نصب الفعل المضارع بـ " أن " مضمرة وجوبا بعد فاء السببية بناء على ما ورد في الآية الكريمة ، يقول : " فهذا الذي يسميه النحويون جواب الفاء وهو ما كان جواباً للأمر والنهي والاستفهام والتمني والنفي والجحود ، ونصب ذلك كله على ضمير " أن " ² . " (يقصد على إضمار " أن ") . ولا يكتفي أبو الحسن وهنا بالحديث عن الفاء بل يجره ذلك إلى الكلام عن الواو ويفرق بين واو المعية وواو العطف وكذلك الأمر في الفاء ، ويستتبع ذلك تفصيل أحكام ما بعدهما من نصب ورفع وجزم ، وهكذا .

ب - العناية بتنوع القراءات المختلفة للآيات :

هذا التنوع يثري الموضوع ويدعو الأخفش إلى بسط القول في المسألة النحوية الواحدة ، فهو يستخدم ما صار يعرف عند النحويين بالتوجيه النحوي للقراءات ، وهذه نماذج توضح ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ غافر 15

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، 1 / 169

² - نفسه ، 1 / 58 ، 59

" رفيعٌ " على الابتداء ، والنصبُ جائز لو كان في الكلام على المدح .¹

• قوله سبحانه : ﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ النازعات 16

" فمن لم يصرفه جعله بلدة أو بقعة (يقصد أن علة المنع هي التأنيث)² ومن صرفه

جعله اسم وادٍ أو مكان³

• قوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ البقرة 214

" أي حتى أن يقول ... وقد قرئت هذه الآية (وزلزلوا حتى يقول الرسول⁴) يريد

" حتى الرسول قائل " جعل ما بعد حتى مبتدأً وقد يكون ذلك نحو قولك : " سرتُ حتى أدخلها " ، إذا أردت : " سرتُ فإذا أنا داخلٌ فيها ."⁵

غير أن أبا الحسن لا ينساق وراء تنوع القراءات بشكل مطلق ، فبعض القراءات عنده مرفوض ، إما لأنه لا ينسجم مع قواعد النحو أو أنه يخرج عن المعنى المقصود أو غير ذلك . فمثلاً :

• في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ البقرة 183

يقول : " وقد قرئت (فديةٌ طعامِ مسكين⁶) وهذا ليس بالجيد ، إنما الطعام تفسير للفدية وليست الفدية بمضافة إلى الطعام⁷

• قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة 83

¹ - نفسه ، 460 / 2

² - قرأ الكوفيون وابن عامر بضمها منونا ، وقرأ الحرميان (نافع وابن كثير) وأبو عمرو بضمها غير منون ، وهناك قراءات أخرى . ينظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 6 / 217

³ - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، 2 / 527

⁴ - قرأ نافع برفع " يقول " بعد " حتى " ، وإذا كان المضارع بعد " حتى " ، فعل حال ، فلا يخلو أن يكون حالاً في حين الإخبار ، نحو مرض حتى لا يرجونه ، وإما أن يكون حالاً قد مضت ، فيحكيها على ما وقعت ، فيرفع الفعل على أحد هذين الوجهين ، والمراد به هنا الماضي فيكون حالاً محكية . ينظر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 2 / 149

⁵ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 121

⁶ - قرأ أهل المدينة والشام (فديةٌ طعامِ) مضافاً (مساكين) جمعا ، وقرأ ابن عباس (طعامِ مسكين ، ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 2 / 256

⁷ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 158

يقول : " ...وقال بعضهم (قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)¹ يُوْنِثُهَا وَلَمْ يَنْوْنِهَا ، وَهَذَا لَا يَكَادُ يَكُونُ لِأَنَّ " الْحُسْنَى " لَا يَتَكَلَّمُ بِهَا إِلَّا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ (وَإِلَّا خَرَجَتْ عَنْ مَعْنَى التَّفْضِيلِ) ، لَوْ قُلْتُ جَاءَنِي أَحْسَنُ وَأَطْوَلُ لَمْ يَحْسَنُ ، حَتَّى تَقُولَ جَاءَنِي الْأَحْسَنُ وَالْأَطْوَلُ² "

• قوله تعالى : ﴿ لَمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ الصافات 52

يقول : " وَثَقَّلَ بَعْضُهُمْ³ وَلَيْسَ لِلتَّثْقِيلِ مَعْنَى ، إِنَّمَا مَعْنَى التَّثْقِيلِ " الْمُتَصَدِّقِينَ " ، وَلَيْسَ هَذَا بِذَلِكَ الْمَعْنَى ، إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا مِنَ التَّصْدِيقِ لَيْسَتْ مِنَ التَّصَدَّقِ ، إِنَّمَا تَضَعَّفَ هَذِهِ وَيُخَفَّفُ مَا سِوَاهَا⁴ "

• قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ

يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمِغْزَاةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ آل عمران 188

يقول : " وَلَا تَعْجِبْنِي قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ الْأَوَّلَى بِالْيَاءِ⁵ (يَقْصِدُ " تَحْسَبَنَّ ") ، لَيْسَ لِذَلِكَ مَذْهَبٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) فَإِنَّهُ لَمْ يُوَقِّعْهُ عَلَى شَيْءٍ⁶ (يَقْصِدُ لَمْ يَعْزِزْ لِلْفِعْلِ " حَسَبَ " مَفْعُولٌ)

ج - الميل إلى عدم الاكتفاء بوجه واحد من وجوه الإعراب للآية :

فتراه يطرح كل الاحتمالات الممكنة في ذلك والتي تقبلها لغة العرب ، من ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴾ الواقعة 26

يقول : " إِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ السَّلَامَ بِالْقِيلِ (عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ يَعْمَلُ عَمَلُ فَعْلِهِ) ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ السَّلَامَ عَطْفًا عَلَى الْقِيلِ (يَقْصِدُ عَطْفَ بَيَانٍ) كَأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لَهُ ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ الْفِعْلَ يَعْمَلُ فِي السَّلَامِ ، تَرِيدُ : لَا تَسْمَعُ إِلَّا قِيلاً الْخَيْرَ⁷ . "

¹ - (حُسْنَى) عَلَى وَزْنِ (فُعْلَى) قَرَأَ بِهَا أَبِي وَطَلْحَةَ بْنِ مَصْرَفٍ ، يَنْظُرُ :

أَبُو حَيَّانَ ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ، ، 1 / 453

² - الْأَخْفَشُ ، مَعَانِي الْقُرْآنِ ، 1 / 127

³ - قَرَأَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ (بِتَخْفِيفِ الصَّادِ مِنَ التَّصْدِيقِ) وَفَرْقَةً بَشَدَّهَا مِنَ التَّصَدَّقِ ، يَنْظُرُ :

أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيُّ ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ، 7 / 345

⁴ - الْأَخْفَشُ ، مَعَانِي الْقُرْآنِ ، 2 / 451 ، 452

⁵ - قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ (لَا يَحْسَبَنَّ) بَيَاءَ الْغَيْبَةِ وَ (فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ) بِنَاءِ الْخَطَابِ ، وَفَتْحَ الْبَاءِ فِيهِمَا ، يَنْظُرُ :

الْبَحْرُ الْمَحِيطُ : 3 / 144

⁶ - الْأَخْفَشُ ، مَعَانِي الْقُرْآنِ ، 1 / 222 ، 223

⁷ - نَفْسُهُ 2 / 491

• قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ الإنسان 6

يقول : " فنصبه (أي " عينا ") من ثلاثة أوجه : إن شئت فعلى قولك : " يَشْرَبُونَ عَيْنًا " ، وإن شئت فعلى " يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا " ، وإن شئت فعلى وجه المدح كما يذكر لك الرجل ، فتقول أنت : العاقل اللبيب ، أي ذكرت العاقل اللبيب ، على : أعني عينا .¹

2- اتخاذ القاعدة النحوية رابطا يربط الآيات القرآنية المتعددة :

وهذا يثبت الانسجام الكلي للقرآن الكريم مع لغة العرب ، ومن النماذج في ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ البقرة 100

يتحدث أبو الحسن عن واو العطف عندما تجتمع مع همزة الاستفهام ، يقول : " فهذه واو تجعل مع حرف الاستفهام ، وهي مثل " الفاء " التي في قوله سبحانه : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ ﴾ البقرة 87 ، فهذا في القرآن والكلام كثير.²

• قوله سبحانه ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة 195

يقول : " إلى الهلكة والباء زائدة نحو زيادتها في قوله سبحانه : ﴿ تَنْبِتُ بِالذُّهْنِ ﴾ المؤمنون 20 ، وإنما هي " تَنْبِتُ الذُّهْنَ "³

2 – الفراء والقرآن الكريم

تحدثنا في المبحث الثاني من الفصل الثاني عن موقف الفراء من القرآن الكريم باعتباره أصلا في اللغة ، ولكن كلامنا كان مقتضبا اقتضابا يتناسب مع مدى اعتماد الفراء على القرآن الكريم في الجوانب اللغوية خاصة في ما اتصل بالدلالة والأصوات ، أما وإنّ الكلام سيكون عن أصولية القرآن الكريم والقراءات القرآنية في النحو العربي ،

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 519

² - نفسه ، 1 / 141

³ - نفسه ، 1 / 161 ، 162

فإن الحديث سيكون أعمق والتفصيل سيكون أوفى ، لأنه في النحو أبين وأوضح منه في اللغة .

فكيف اعتمد أبو زكريا الفراء القرآن الكريم والقراءات القرآنية أصلاً من أصول النحو العربي ؟

تحدثنا - في ما سبق - عن موقف الفراء من القراءات القرآنية جملة وأهم ما خلصنا إليه هو أن أبا زكريا يتعامل مع كل القراءات دون استثناء ، غير أنه يفاضل بينها أو يميل إلى هذه دون تلك وهكذا . والسبب في تعامله معها على حد سواء واضح ، وهو أنه عاش العصر الذي لم تتميز فيه القراءات ذلك التميز الذي عرفته خلال القرن الرابع للهجرة على يد العلامة المقرئ أبي بكر بن مجاهد ، لذلك من باب التكلف والمبالغة أن يلام الفراء على أنه أخذ بالقراءات الشاذة ، أو انتقد بعض القراءات المتواترة¹ ، وهكذا فلا مانع عنده من الاعتماد على القراءة كيفما كانت ، يكفي أن توافق التفسير² ، أو أن يكون لها وجه في العربية³ ، ولم يعارضها مذهبه النحوي⁴ . ولو سألنا الفراء عن هذه القراءة المستشهد بها ، أشاذة هي أم متواترة ؟ ما كان له جواب بهذه الدقة وبهذا المصطلح ، لماذا ؟ لأن مصطلح الشذوذ في حد ذاته بالمفهوم الذي أقره ابن مجاهد ومن جاء بعده لم يكن متداولاً في عصر الفراء ، فالشذوذ عند الفراء يعني خروجاً عن المجمع عليه في الرواية أو النحو⁵ ، وهو لم يستعمل هذا المصطلح إلا نادراً في كتابه " المعاني " من ذلك :

• عند تناوله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾ الأنفال 59

يعقب على قراءة حمزة - أحد القراء السبعة - وهي بالياء (وَلَا يَحْسَبَنَّ ...) بقوله :

¹ - ينظر : أحمد نصيف الجنابي ، " أصالة النحاس في شرح القصائد التسع " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،

المجلد 31 ، الجزء 2 ، جمادى الأولى 1400هـ ، نيسان 1980 ، ص 144 ، 145

² - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 71

³ - نفسه ، 2 / 145

⁴ - نفسه 2 / 126

⁵ - محمود أحمد الصغير ، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 1419 هـ / 1999 ،

" وما أحبها لشذوذها ¹ وهذا الشذوذ شذوذ في النحو في رأي الفراء على الأقل .

• قوله تعالى : ﴿ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ﴾ يوسف 81

قرأ الجمهور " سَرَقَ " ثلاثيا مبنيا للفاعل إخبارا بظاهر الحال ، وقرأ ابن عباس وأبو رزين والكسائي في رواية " سُرِّقَ " بتشديد الراء مبنيا للمفعول ، لم يقطعوا عليه بالسرقه بل ذكروا أنه نسب إلى السرقة.²

يعلق الفراء على قراءة (سُرِّقَ) قائلا : " فما أشتيهيها لأنها شاذة " ³

أما القراءات التي شاعت بأنها شاذة وأفتى الفقهاء بعدم جواز التعبد بها ، فإنها عند الفراء ليست بهذا الاسم ولا بهذا الوصف بل هي من جملة القراءات التي يعتز بها كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه كما سنبين ذلك لاحقا ، وعلى العموم فإن القراءات عند أبي زكريا أنواع أهمها :

1 - قراءات مقبولة :

وهي القراءات التي وافقت العربية وصحَّ سندها ووافقت المصحف ، وهي تقريبا الشروط نفسها التي وضعها العلماء من بعد لقبول القراءة ، وتمثل غالبية ما أورد الفراء من قراءات ، وكان يكتفي بتوجيهها توجيها نحويا أو يورد ما يدعمها من كلام العرب والأمثلة على ذلك كثيرة . نكتفي منها بما يأتي :

• قوله تعالى : ﴿ تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ النور 35

يقول الفراء : " وقوله (تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ) تذهب إلى الزجاجة إذا قال (تُوَقَّدُ) ومن قال (يُوقَدُ) ذهب إلى المصباح ، ويُقرأ (تَوَقَّدُ) مرفوعة مشددة ، ويُقرأ (تَوَقَّدَ) بالنصب والتشديد ، من قال (تُوَقَّدُ) ذهب إلى الزجاجة ومن قال (تَوَقَّدَ) نصبا ذهب إلى المصباح ⁴ ، وكلُّ صواب ¹ .

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 1 / 416 ، وقد ردَّ عليه المحقق في الهامش .

² - ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 5 / 332

³ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 53

⁴ - قرأ شيبه ونافع وابن عامر وحفص (يُوقَدُ) بياء مضمومة وتخفيف القاف وضم الدال ، وقرأ الحسن والسلمي وأبو جعفر وأبو عمرو (تَوَقَّدَ) مفتوحة الحروف كلها مشددة القاف ، وقرأ نصر بن عاصم (تَوَقَّدَ) ، وقرأ الكوفيون

(تُوَقَّدُ) ، ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 12 / 220

• قوله سبحانه ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ المزمّل 9

جاء في المعاني : " خفضها عاصم والأعمش ، ورفعها أهل الحجاز ، والرفع يحسن إذا انفصلت الآية من الآية ، ومثله (وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . اللَّهُ رَبُّكُمْ) الصافات 125 ، 126 . في هذين الموضعين يحسن الاستئناف والإتياع² .

• قوله سبحانه: ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران 79

يقول الفراء : " تقرأ (تَعْلَمُونَ) و (تَعْلَمُونَ)³ ، وجاء في التفسير : بقراءتكم الكتب وعلمكم

بها ، فكان الوجه (تَعْلَمُونَ) وقرأ الكسائي وحمزة (تَعْلَمُونَ) لأن العالم يقع عليه يعلم ويعلم⁴ .

2 - قراءات مرفوضة :

ومنها عند الفراء القراءات التي خالفت رسم المصحف ولو وافقت العربية ، ويشدد أبو زكريا كثيرا على موافقة المصحف ويتخذ من كتابته دليلا على صحة ما يذهب إليه ، من ذلك تناوله للآية الكريمة :

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ الأنعام 100

يقول : " الوجه الرفع في القنوان ، لأن المعنى : ومن النخل قنوانه دانية ، ولو نصب وأخرج من النخل من طلعتها قنوانا دانية لجاز في الكلام ، ولا يقرأ بها لمكان الكتاب⁵ (يقصد مخالفتها رسم المصحف) .

كما يرفض القراءة إذا انبنت على خطأ في العربية كرفضه قراءة أبي جعفر : اهْتَزَّتْ وَرَبَّاتٌ " بدلا من ﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ الحج 8 ، والفعل " ربا " مما خطأ فيه الفراء العرب¹ .

¹ - الفراء ، المعاني ، 2 / 252

² - الفراء ، معاني القرآن ، 3 / 198

³ - قرأ أبو عمرو وأهل المدينة بالتخفيف من العلم ، وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بالتشديد من التعليم ،

ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 4 / 109

⁴ - الفراء ، معاني القرآن ، 1 / 224

⁵ - الفراء ، المعاني ، 1 / 347 ، ينظر أيضا على سبيل المثال : 1 / 96 ، 125 و 3 / 74

كما لحن من قرأ " لِيُجْزَى قَوْمًا " بدلا من ﴿ لِيُجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الجائية 14 ، وقال عنه : " وهو في الظاهر لحن " لكنه رجع فقال " فإن كان أضمر في (يُجْزَى) فعلا يقع به الرفع كما تقول : أُعْطِيَ ثوبا ، لِيُجْزَى ذلك الجزاء قَوْمًا فهو وجه .²

3 - قراءات غير مفضلة :

ويندرج ههنا صنف واحد من القراءات عند الفراء وهي تلك القراءات التي وافقت العربية لكنها خرجت عن الإجماع ، من هذه القراءات :

قوله تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحشر 2

يقول الفراء : " واجتمع القراء على " يُخْرِبُونَ " إلا عبد الرحمن السلمي فإنه قرأ

" يُخْرَبُونَ " ، كأنَّ (يُخْرَبُونَ) يهدمون ، و(يُخْرِبُونَ) بالتخفيف ، يخرجون منها يتركونها ... وكلُّ صواب ، والاجتماع من قراءة القراء أحب إليّ .³ "

وربما اجتمع على القراءة عيبان - في نظر الفراء - هما مخالفة المصحف والإجماع معاً ، فلم يرضها لكنه يُقرُّها ، من ذلك مما جاء في المعاني :

" وقوله تعالى : ﴿ فَمَا آتَانِ اللهُ ⁴ ﴾ النمل 36 ، ولم يقل (فَمَا آتَانِي اللهُ) لأنها محذوفة

الياء من الكتاب ، فمن كان ممن يستجيز الزيادة في القرآن من الياء والواو اللاتي يحذفن

مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ ﴾ الإسراء 11 ، فيثبت الواو وليست في

المصحف أو يقول (المنادي) للمناد⁵ ، جاز له أن يقول في :

¹ - نفسه ، 2 / 216

² - الفراء ، المعاني ، 3 / 46

³ - نفسه ، 3 / 143

⁴ - (آتان) وقعت في كل المصاحف بغير ياء ، وقرأ أبو عمرو ونافع وحفص (آتَانِي اللهُ) بياء مفتوحة فإذا وقفوا حذفوا ، وأما يعقوب فإنه يثبتها في الوقف ويحذف في الوصل لانتقاء الساكنين ، الباقر بغير ياء في الحاليين . ينظر :

القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 13 / 163

⁵ - من قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ق 41

﴿ أُنْتَدُونَن ﴾ بإثبات الياء ، وجاز له أن يحركها إلى النصب كما قيل : ﴿ وَمَالِي لَا أَعْبُدُ ﴾ يس 22 ، فكذاك يجوز ﴿ فَمَا آتَانِي اللَّهُ ﴾ ، ولست أشتهي ذلك ولا آخذ به . اتباع المصاحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة الفراء أحب إليّ من خلافه .¹ "

4 - قراءات افتراضية :

وهي قراءات تقبلها العربية لسعتها لكن لم ترد بها الرواية ، وكثيرا ما يشير الفراء إلى ذلك بقوله :

- " ولو قرأ قارئ " ²

- " فلو قرأ قارئ ... لأصاب ، ولم أسمع من قارئ " ³

- " فلو قرئ بالكسر لكان وجها " ⁴

ودافعه في ذلك هو التحليل النحوي للآية الكريمة وكشفه عن الأوجه التي يمكن أن تكون عليها موافقة لكلام العرب ، ولذلك تراه يصرح بقوله : " والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية ، فلا يقبحنّ عندك تشنيع مشنّع مما لم يقرأه القراء مما يجوز ."⁵ هكذا إذن كانت عناية الفراء بالقراءات عناية واضحة تثبتتها الصور الأربعة التي ذكرناها نضيف إليها أمورا ثلاثة :

1 - أبو زكريا يعتقد اعتقادا جازما أن القرآن الكريم أقوى في الحجة من الشعر⁶ ، ويقول في موضع آخر : " هذا في الشعر يجوز لضرورة القوافي أما في القراءة فلا"⁷ ، ويقول في موضع ثالث بعد استدلاله بالشعر ممهدا للاستدلال بالقرآن : " وقال الله تبارك وتعالى

¹ - الفراء ، معاني القرآن 2 / 293

² - السابق، 1 / 101 ، 117 ، و 3 / 53 ، 132

³ - نفسه ، 2 / 78

⁴ - نفسه ، 2 / 90

⁵ - نفسه 1 / 245

⁶ - نفسه 1 / 14

⁷ - نفسه 1 / 315

وهو أصدق من قول الشاعر ...¹ ، فكثيرا ما نقرأ في كتابه أدلة من القرآن على القرآن ، فمثلا :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ البقرة 42

الفعل " تَكْتُمُوا " معطوف على " تَلْبِسُوا " مجزوم ، وحذفت " لا " لمجيئها في أول الكلام² ، ويستدل الفراء على ذلك بالآيات : 188 من سورة البقرة³ ، و 27 من سورة الأنفال⁴ .

2 - الفراء يتعامل مع القراءات القرآنية تعامل الباحث الموضوعي ، وليس أدل على ذلك من موافقته للبصريين - وهو الكوفي - في مواضع منها :

• قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ النساء 1

رفض البصريون قراءة الخفض - وهي قراءة حمزة - والتي قال عنها الفراء : " وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض وقد كني عنه " ، ثم يستشهد ببيت

من الشعر يقول بعده " وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه "⁵

• قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ

قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . ﴿ المؤمنون 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 .

اشتملت الآيات الست على ثلاثة أسئلة انتهى كل سؤال بإجابة مناسبة ، قرأ البصريون الإجابة الأولى (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) ، أما الثانية والثالثة فكانت قراءتهم فيها (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)⁶.

1 - نفسه 2 / 7

2 - السابق ، 1 / 33 ، و 1 / 350

3 - وهي قوله تعالى : " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ "

4 - وهي قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "

5 - الفراء ، المعاني 1 / 252 ، 253

6 - قرأ أبو عمرو وآخرون من غير السبعة ، سيقولون لله (الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا ، وكذا هو في

مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام) ، وقرأ باقي السبعة لله فيها بلام الجر ، ينظر :

أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 6 / 386

وافق الفراء البصريين في هذه القراءة بقوله : " وأهل البصرة يقرؤون الأخرين " الله ، الله " وهو في العربية أبين لأنه مردود مرفوع ، ألا ترى أن قوله (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ) مرفوع لا خفض فيه ، فجرى جوابه على مبتدأ به .¹

يقصد أن في السؤال الأول حرف جر فتضمنت الإجابة هذا الحرف ، أما في السؤال الثاني والثالث فلا ، فأحرى أن لا تشمل عليه الإجابة .

3 - مناصرته لقراءة ابن مسعود ﷺ :

اهتمام الفراء بقراءة ابن مسعود وبمصحف ابن مسعود أمر واضح غني عن البيان ، لأن هذا الصحابي الجليل كان من أوائل القراء الذين شاعت قراءتهم في الكوفة² ، فأخذها عنه الكثيرون ، وعلى الرغم من أن هذه القراءة عُدَّت من القراءات الشاذة بعد ذلك ، إلا أن الفراء كان أسبق من هذا التصنيف ، فتراه يعتني بهذه القراءة عناية ظهرت في :

• الانتصار لهذه القراءة حتى ولو خالفت المصحف ، مثال ذلك :

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون 10

يقول الفراء : " وهي في قراءة عبد الله " وَأَكُون " بالواو ، وقد قرأ بها بعض القراء³ ، وأرى ذلك صوابا ، لأن الواو ربما حذف من الكتاب وهي تراد .⁴

والمسألة عند الفراء ليست في مخالفة المصحف فحسب بل حتى لو خرجت هذه القراءة عن الإجماع ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ الواقعة 21 ، 22

يقول : " خفضها أصحاب عبد الله (يقصد : حور) ، وهو وجه العربية ، وإن كان أكثر القراء على الرفع لأنهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهنّ ، فرفعوا على قولك : " ولهم حور عين " أو " عندهم حور عين " ، والخفض على أن تتبع آخر الكلام بأوله ، وإن لم يحسن في آخره ما حسن في أوله .⁵

ثم استشهد لذلك بخمسة شواهد من الشعر .

¹ - الفراء ، المعاني ، 2 / 240

² - شعبان صلاح ، مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى القرن 4 هـ ، ص 174

³ - وهي قراءة أبي عمرو وابن محيصن ومجاهد ، ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 18 / 102

⁴ - الفراء ، المعاني ، 1 / 87 ، 88

⁵ - نفسه ، 3 / 123

● اتخاذ هذه

القراءة دليلاً على بعض وجوه العربية ، فعندما يصف قراءةً ما باللحن يردّ عليها بقوله : " ويقويك على ردّه قراءة عبد الله ."¹

وإذا أردنا أن نلخص ما فصلناه بخصوص القراءات القرآنية عند الفراء فإننا نسجل :

1- الفراء يعتني

بكل القراءات ويدرسها دون استثناء .

2- للفراء مواقف

متعددة من هذه القراءات ، ومقاييسه في ذلك واحدة ، وهي على الترتيب : موافقة العربية - موافقة المصحف - موافقة إجماع القراء .

3- إن تحديد

موقف الفراء من القراءات الشاذة أمر سابق لأوانه في عصره هو ، فكيف نطالب من الرجل ما لم يظهر للوجود بعد ، ولذلك لا نعجب إذا ردّ قراءة صار صاحبها من السبعة بعد ذلك .

ثانياً : كلام العرب

1 - أبو الحسن الأخفش وكلام العرب

احتفى النحاة المتقدمون بالرواية والسماع باعتبارهما الطريق الأوحى والأوثق في تلقي العلم ، فاتصلوا بالأعراب يأخذون عنهم عربيتهم الفصيحة ، وعلى أساسها يُقَعَّدُونَ وَيُنظَرُونَ .

وأبو الحسن الأخفش واحد من هؤلاء سار على نهج شيخه سيبويه فاغترف من ينابيع العربية الفصحى ، وكان له في ذلك وسيلتان :

¹ - السابق ، 2 / 302 ، ينظر أيضا : 1 / 407 ، 414 ، 452 ، 462

1 - الأخذ المباشر :

وهو الذي يعبر عنه بقوله : " سمعنا ذلك من العرب " ، " سمعناه من العرب " ، " قد سمعت أنا ذلك من العرب " ¹ ، هذه العبارات كثيرة الورد في معاني الأخفش وهو تدل دلالة صريحة على اتصاله المباشر بأصل الرواية ، كما قد ينفي ما يمكن أن يتوهم أنه عربي بقوله : " فلم أسمعها " ولم أسمعها " ²

2 - الأخذ غير المباشر :

غالبًا ما يعبر عن ذلك بقوله : " أخبرني من أثق به أنه سمعه " ³ دون أن يذكر من كان واسطته في الأخذ عن العرب ، وأحيان يسند الخبر إلى شيوخه ، وأكثرهم ذكرا " يونس بن حبيب " ⁴ ، ومع يونس آخرون : منهم " أبو عبيدة ، أبو زيد الأنصاري ، عيسى بن عمر ⁵ .

والسؤال الذي نطرحه هنا : ما الذي أخذه الأخفش عن العرب ؟

لم يروِ الأخفش عن العرب أشعارهم وأرجازهم فحسب ، بل روى عنهم ما سوى ذلك من نثر بكل مستوياته ، لذلك فمدونة أبي الحسن : شعر ونثر .

أولا : الشعر :

إذا كان أبو الحسن قد استشهد بالنثر - كما سنبين - ، فلا يعني ذلك أنّ مكانة النثر تجاوزت مكانة الشعر في الاستدلال ، فقيمة الشعر سامية عند العرب ، لأن الشعر صناعة لا يتقنها كل الناس ، وإذا كانت الجملة من النثر يمكن أن تتبدل من لسان إلى لسان ، فإن البيت الشعري يبقى على حاله - إلا أن يكون روايات - لأنه مقيد بالوزن والقافية .

¹ الأخفش ، المعاني ، 1/ 26 ، 50 ، 123 ،

² - نفسه ، 1/ 201 ، 236 ،

³ - نفسه ، 1/ 133 ،

⁴ - نفسه ، على سبيل المثال في : 1/ 46 ، 55 ، 152 ، 213 ،

⁵ - نفسه ، 1/ 123 ، 29 ، 119 ،

استشهد أبو الحسن بما يربو على ثلاثمائة بيت من الشعر ، بعضها مكرر وأغلبها لم ينسبه إلى شاعر معين ، بل كان يكتفي بالقول : " قال الشاعر " ، قال الآخر " .. وربما استشهد بالبيت في موضعين فنسبه إلى صاحبه في موضع وترك ذلك في موضع آخر ، أما الشعراء الذين صرح بذكر أسمائهم فلا يتجاوزون العشرين وكانوا خليطاً بين الجاهلية والإسلام ، وبين أهل الحضر وسكان البوادي ، هذا وتتوعدت شواهد الأخفش الشعرية بين أبيات كاملة وأشطر أو أراجيز .

ثم إن هناك أمراً آخر ذا بال لا بد من الإحاطة به ، ونحن بصدد التعرف على شواهد أبي الحسن ، وهو القبائل التي كانت موضع احتجاجه ، ماهي ؟ وما لغاتها ؟

القبائل :

أخذ الأخفش عن عدد غير يسير من القبائل العربية وصلت التسع ، أكثرها وروداً قبائل الحجاز فقد ذكروا خمس عشرة مرة ، ثم تميم أربع عشرة مرة تليهما سائر القبائل الأخرى التي لم يشر إليها إلا مرتين أو ثلاث على الأكثر ، من هذه القبائل : أسد وقيس وبكر بن وائل وأزد السراة ... والملاحظ أن هذه القبائل خارجة عن دائرة الاحتجاج التي رسمها العلماء ، ولم يشهدوا بالفصاحة منها إلا لتميم وأسد وقيس ، وما سواها ، فإما حضر ، أو كانوا مجاورين للأعاجم كبكر بن وائل وأهل اليمن . وما قيل عن القبائل يقال عن الشعراء الذين استشهد الأخفش بشعرهم وذكرهم بالاسم ، فمنهم مثلاً : قيس بن الخطيم وهو شاعر أوسي من شعراء الحضر ، وفيهم جميل بن معمر من قضاة وهي قبيلة جاورت الأعاجم فأسقطت من الاحتجاج .

لغات العرب :

لم تكن مرتكزات أبي الحسن في التقعيد هي شواهد الشعر أو النثر فحسب ، بل استند على ما يعرف بـ " لغات العرب " وهي ظواهر لغوية قد تنسب إلى قبائل بعينها وقد لا تنسب ، والثانية أكثر من الأولى ، وقد أقرّ الأخفش معظمها ، وهذه النماذج توضح ذلك :

• " فَعَلَ " و " أَفْعَلَ " :

الفعل قد يكون مجردا وقد يكون مزيدا ، والمزيد يختلف في معناه عن المجرد ، لأنَّ لأحرف الزيادة معانٍ خاصة تضيفها على الفعل المزيد ، فالهمزة مثلا تفيد التعدية ، تحول الفعل من لازم إلى متعدِّ كقولك : ذَهَبَ و أَذْهَبَ ، غير أنَّ بعض قبائل العرب تستعمل الفعل مجردا وتستعمله قبائل أخرى مزيدا وهو في الحالين ذو معنى واحد .

فأهل الحجاز يقولون : " لا تَجْزِيْ عَنكَ شاةٌ ، يَجْزِيْ عَنكَ دِرْهَمٌ " فالماضي عندهم : " جَزَى " غير مهموز ، أما تميم فيقولون في هذا المعنى : " أَجْزَأْتُ عَنْهُ ، وَتُجْزِيُّ شاةٌ " ¹ ، فالماضي : " أَجْزَأْتُ " .

وكذلك الفعل : " كَنَّ " و " أَكَنَّ " بمعنى : حفظ ، تقول قيس : كَنَنْتُ الْعِلْمَ فَهُوَ مَكْنُونٌ ، وتقول تميم : " أَكَنَنْتُ الْعِلْمَ فَهُوَ مُكَنَّ " ².

• لام التعليل :

ويسمونها " لام كي " تدخل على الفعل المضارع فتتصبه أو ينتصب بـ " أن " مضمرة وجوبا بعدها ، على خلاف بين البصريين والكوفيين ³ ، وهي لام مجرورة ، غير أن ناسا من العرب يفتحون هذه اللام فقد ذكر الأخفش أنه بلغه أنها لغة لبني العنبر ⁴ . لكن الأخفش لم يكن ليقبل كل اللغات التي بلغته عن العرب ، بل كان ينعى بعضها بنعوت تدل على عدم الرضا أو تدل على أنه كان يفضل هذه على تلك ، وهكذا تصبح عنده اللغات - بهذا المفهوم - أنواع :

1 - اللغة الشاذة :

وهي في رأيه التي خرجت عن إجماع العرب . فمثلا يقول في حكم اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة أو في كلمتين مختلفتين ، كما جاء في الآيات :

- ﴿ قَالُوا أَنْوَمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ البقرة 13

- ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ ﴾ البقرة 6

¹ - الأخفش ، المعاني ، 90 / 1

² - نفسه 2 / 280

³ - ابن الأنباري ، الإنصاف ، 103 / 2

⁴ - الأخفش ، المعاني 1 / 123 ، ينظر أيضا : 2 / 532 ، 321 و 1 / 129

- ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ فاطر 43

يقول : " كل هذا يهمزون فيه همزتين ، وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذاً . ولكن إذا اجتمعت همزتان من كلمتين شتى ليس بينهما شيء ، فإن إحداهما تخفف في جميع كلام العرب ، إلا في هذه اللغة الشاذة القليلة .¹ "

وقريب من اللغة الشاذة " اللغة القليلة " ، من ذلك مثلاً أن معنى الفعلين : " سَقَى " و" أَسَقَى " واحد في الأصل ، وقد يقال : سقيته لشفته ، و أسقيته لماشيته وأرضه² ، يذهب الأخفش إلى أن ما كان للشفة فهو بغير ألف في لغة قليلة ، غير أن الغالب عدم التفريق بينهما ، ودليل ذلك قول لبيد³ : (من الوافر)

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسَقَى
نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ⁴

2 - اللغة القبيحة :

وصف الأخفش بالقبح والضعف لغة من يمنع من الصرف اسماً كـ " عرفات " مشبها تاء " عرفات " بهاء التانيث في اسم آخر كـ " حمدة " .⁵ كذلك من القبح - في رأيه

- الرفع⁶ في " أف " الواردة في قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ الإسراء 23

يقول عنه : " والرفع قبيح ، لأنه لم يجئ بعده باللام .⁷ يفهم من كلامه أن سبب القبح أنك رفعت " أفا " دون أن تخبر عنها ، فـ " أف " إذا نُصِبَتْ صارت في حكم المصدر المنصوب بفعل محذوف نحو : تعساً لك ، وسحقاً لك ، أما إذا رفعتها وجب أن تخبر عنها .¹

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 41 ، 42 ، وينظر أيضا : 1 / 45 ، 270/2

² - ابن منظور ، لسان العرب ، 14 / 390 ، مادة " سقى " .

³ - البيت في : ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري ، تحقيق وشرح : إحسان عباس ، الكويت 1962 ، ص 93

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 522 ، 523

⁵ - نفسه 1 / 133

⁶ - حكى هارون قراءة بالرفع والتتوين ، وقرأ أبو السمال بضم الفاء من غير تتوين . البحر المحيط ، 6 / 25

⁷ - نفسه ، 2 / 388 ، ينظر أيضا 2 / 461

3 - اللغة الرديئة :

الظاهر أنها - عند الأخفش - اللغة التي نأت عن الفصاحة ولم تحظ بالإجماع ومن الأمثلة في ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ يونس 58

الأصل - كما قرر النحاة - أن مرفوع فعل الطلب إذا كان فاعلا مخاطبا ، استغني عن لام الأمر وجيء بصيغة " افعل " غالبا ، نحو : قُمْ واقعد ، وتجب اللام إذا انتفتت الفاعلية نحو : " لَتُعَنَّ بِحَاجَتِي " أو الخطاب نحو : " لِيَقُمْ زَيْدٌ " ² ، ولذلك عقب أبو الحسن على قراءة " فَلْتَفْرَحُوا " ³ ، بقوله : " وقال بعضهم (فَلْتَفْرَحُوا) وهي لغة للعرب رديئة ، لأن هذه اللام إنما تدخل في الموضع الذي لا يقدر فيه على " افعل " ، يقولون : " لِيَقْلُ زَيْدٌ " لأنك لا تقدر على " افعل " ⁴ .

• قوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ البقرة 20

قرأ مجاهد وعلي بن الحسين ويحي بن زيد " يَخْطِفُ " من " خَطَفَ " ⁵ .
علق أبو الحسن على هذه القراءة بقوله : " وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف ⁶ .
إنما الجيدة في رأيه هي : يَخْطَفُ من خَطَفَ يَخْطِفُ .

4 - لغة غلط بها العرب :

هذه اللغة في رأي الأخفش قائمة على التوهم ، مثال ما ورد في :

¹ - ومسوغ الابتداء بالنكرة أن " أف " هنا هي في حكم المنصوب من حيث المعنى ، ينظر :
سيبويه ، الكتاب ، 1 / 314 ، 315 و المبرد ، المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ،
القاهرة 1994 ، 222/3

² - ابن هشام ، مغني اللبيب ، 221

³ - قرأ بذلك النبي (ص) وكذلك يزيد بن القعقاع ويعقوب وغيرهما . القرطبي 8 / 300

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 345

⁵ - أبو حيان ، البحر المحيط ، 1 / 227

⁶ - الأخفش ، المعاني ، 50/1 ، ينظر أيضا : 2 / 329

قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ العاديات 9 ، 10 ، 11

الأصل في همزة "إن" أن تكسر إذا كان بعدها لام التوكيد ، هذا ما قرره الأخفش ، غير أنه بلغه أن من العرب من يفتح الهمزة ظاناً أنه ليس بعدها لام توكيد ، كالذي قرأ الآية السابقة ، ففتح همزة "إن" وأسقط اللام (أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ) ، يقول أبو الحسن : " ففتح وهو غير ذاك اللام وهذا غلط قبيح " ¹

ثانيا : النثر :

لم يكن النثر الذي نقله عن العرب واعتمده أساساً للتنظير على مستوى واحد ، إنما فيه ما يجري مجرى الأمثال ، وفيه ما يمكن أن يندرج في الحديث اليومي ، كما أن هناك عبارات وتراكيب نسجها الأخفش على ما تقوله العرب واستدل بها لتوضيح ما يذهب إليه .

1 - الأمثال :

ليس في معاني الأخفش منها غير ثلاثة :

- " أَرْنِيهَا نَمْرَةً أُرْكُهَا مَطْرَةٌ " ² ، الشاهد فيه : سحاب نمرٍ أي أنمرٍ على لون النمر ، ومنه : خَضِرٌ وَأَخْضَرٌ كما جاء في قوله تعالى :
- ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ الأنعام 99 . ³
- " أَفْرَاحَ رَوْعِكَ " ⁴ ، ومعناه : ذهب خوفك ، ومنه قوله تعالى :
- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ هود 74 ⁵
- " بَعَيْنٍ مَا أَرَيْنَكَ " ¹ الشاهد فيه أن " ما " زائدة للتأكيد ، فحسُنَ دخول

¹ - السابق ، 2 / 320

² - المعنى : السحاب النمر والأنمر الذي على لون النمر ، والذي ينتج عنه المطر ، أي : إذا رأيت دليل الشيء علمت ما يتبعه ، ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،

1 / 294

³ - الأخفش ، المعاني 2 / 283

⁴ - الميداني ، مجمع الأمثال ، 2 / 99

⁵ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 356

النون على الفعل .²

2 - الكلام الشائع على الألسن (الحديث اليومي) :

يعبر عن هذا أبو الحسن بقوله " وقد يقال " ، " مثل كلام العرب " ، " مثل قول العرب " ... من ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ الحجرات 2

ومعناها : مخافة أن تحبط أعمالكم ، واستدل بقول العرب : " اسمك الحائط أن يميل " ، أي اجعله سميكا مخافة أن يميل ويسقط .³

• قوله سبحانه : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ البقرة 130

ذهب أبو الحسن إلى أن الفعل " سفه " يتعدى بحرف الجر ، والحرف هنا مقدر ، شأنه في ذلك شأن قول العرب : دخلت البيت ، وإنما هو دخلت في البيت ، وتوجه مكة والكوفة ، وإنما هو توجه إلى مكة وإلى الكوفة .⁴

3 - تراكيب أخرى لم تسمع عن العرب ولكنها توافق كلامهم :

هذه التراكيب أنتجها أبو الحسن بغية الإيضاح ، وتقوية كلام العرب ، من ذلك :

• نصب المصادر الواردة في الآيات بفعل محذوف يدل عليه السياق ، هذه

الآيات هي :

- قوله تعالى : ﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾ هود 95

- قوله سبحانه : ﴿ أَلَا بُعْدًا لثَمُودَ ﴾ هود 68

يقول الأخفش : " كأنك قلت : أتعسهم الله تعسا ، وأبعدهم بُعدا .⁵

• قوله تعالى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ التوبة 102

¹ - ومعناه : اعمل كأنني أنظر إليك ، ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، 1/100

² - الأخفش ، المعاني ، 68/1

³ - نفسه ، 2/482

⁴ - نفسه ، 1/148 ، ينظر أيضا : 2/275 ، 433

⁵ - السابق ، 1/118

ذهب أبو الحسن إلى أنه يجوز أن يكون "بآخر" ، كما تقول : " استوى الماء والخشبة ، أي بالخشبة و " خلطت الماء واللبن ، أي باللبن .¹

• قوله تعالى : ﴿ وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ البقرة 126

فـ " مَنْ " بدل من " أهل " ، يقول عنها أبو الحسن مع التمثيل : " فـ " مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ " بدل على التبيان ، كما تقول : أخذت المال نصفه ، ورأيت القوم ناساً منهم²

وختاما لما عرضناه من كلام العرب عند الأخفش ، يمكن إيراد النقاط الآتية :

- 1- تنوعت مدونة أبي الحسن من الشعر والنثر
- 2- اتصاله بالعرب كان مباشرا وغير مباشر
- 3- للأخفش اهتمام ببعض القبائل دون بعض فقد أخذ كثيرا عن أهل الحجاز وتميم ، ولم يأخذ إلا قليلا عما سواها .
- 4- خروج الأخفش واضح عن الشروط التي وضعها العلماء للاحتجاج وذلك في أمرين :
 - لم تكن القبائل التي اعتمدها في الاستشهاد قبائل فصيحة كلها ، ولا الشعراء الذين استدل بشعرهم ينتمون بالضرورة إلى بيئة الفصاحة في الزمان والمكان .
 - لم تكن له عناية بنسبة الشواهد إلى أصحابها على الرغم من أنهم عرفوا بعد ذلك من قبل المحققين والدارسين .

2 - أبو زكريا الفراء وكلام العرب

ضمت مدونة الفراء الشعر والنثر ، وهو في كليهما قد أخذ ذلك شفاها ، عندما يقول : " أنشدني " ، سمعت بعض العرب " ... أو بواسطة ، وكثيرا ما كان الكسائي واسطته في

¹ - نفسه ، 2/ 336

² - نفسه ، 1/ 147 ، 28 ، 84 ، 88 ، و 2/ 362

الأخذ عن العرب ، وإذا أردنا ذكر هؤلاء الأعلام الذين كانوا مستند الفراء في رواياته عن العرب ، فإننا نجد من أبرزهم :

- الكسائي: شيخ مدرسة الكوفة وأستاذ الفراء ،أخذ عنه الكثير من كلام العرب ، وافقه مرة ، وخالفه أخرى ، فمن المواضع التي خالفه فيها :
قراءة قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ ﴾ الإسراء 102
قرأ الفراء بالفتح (عَلِمْتَ) وقرأ الكسائي بالرفع (عَلِمْتُ) ، ومستند كل منهما المعنى لا غير ، فالنصب يعني أن موسى عليه السلام هو الذي علم ، والرفع يعني أن فرعون هو الذي علم ، وللفراء أدلة أخرى غير هذه¹.
 - المفضل الضبي: هو صاحب المفضليات أوثق من روى الشعر من الكوفيين ، روى عنه أبو زيد من البصريين ، وأكثر الفراء من الرواية عنه في معانيه².
 - أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قاضي الكوفة ، عدّه الزبيدي في الطبقة الثالثة من الكوفيين ، كان راوية للشعر عالما بالغريب والنحو.³
 - أبو جعفر الرؤاسي : أخذ عنه الفراء ولكنه لم يأخذ عنه أقوالاً ذات بال ، كان سند الفراء إلى أبي عمرو بن العلاء .
 - أبو البلاد الغطفاني الكوفي : عدّه ابن قتيبة من رواة الشعر والغريب والنحو ، كان أروى أهل الكوفة .⁴
 - شيوخ كوفيون : هؤلاء لم يذكرهم الفراء بالاسم وإنما كان يقول : " سمعت بعض المشيخة " ، " كان بعض مشيختنا "⁵
- ومع هؤلاء هناك أعراب أخذ عنهم الفراء وكانوا محل ثقته ، وقد سبق ذكرهم في فصل " أصول اللغة عند الفراء " .

¹ - المصدر السابق ، 2 / 132 ، ينظر أيضا : 1 / 311 ، 165

² - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، 193

³ - نفسه ، 133

⁴ - الزبيدي ، الطبقات ، 191

⁵ - الفراء ، المعاني ، 3 / 52 ، 86

أما مدونة الفراء ، فكانت هي الأخرى - كمدونة الأخفش - تضم الشعر والنثر

أولا - الشعر :

ازدحمت الشواهد الشعرية في كتاب الفراء وهو في ذلك ليس بدعا من النحاة فالشعر

مستند هؤلاء وعمدتهم في الاستدلال ، لكن ينبغي أن نسجل الملاحظات الآتية :

1 - لم يحفل الفراء بنسبة الشواهد إلى أصحابها ، وغير المنسوب منها أكثر من المنسوب ، ونعني بغير المنسوب الشاهد الشعري الذي لم يذكر الفراء نفسه اسم صاحبه ، أما ما اكتشف بعد ذلك فلا تشمله هذه الملاحظة .

2 - قد لا يعرف الشاعر ولكن تعرف قبيلته فكثيرا ما يقول على سبيل المثال :

" أنشدني بعض بني أسد " ، " أنشدني بعض بني عقيل "

3 - قد يستدلّ بشاهد شعري واحد¹ أو بأكثر².

4 - قد يستشهد ببعض بيت معترفا بنسيان الشطر الآخر³.

هذا وقد كانت القبائل العربية المختلفة مصدر شواهد الفراء :

قبائل العرب :

استدل الفراء بكلام ما يفوق خمس عشرة قبيلة ، منهم تميم وأسد وهذيل وقضاعة وهوزان... ولم يكونوا كلهم على درجة واحدة من الفصاحة بل فيهم المجمع على فصاحته كتميم وأسد وقيس ، وفيهم من لا يحتج بعربيته كقضاعة وبني حنيفة .

لغات العرب

إنّ فقه الفراء لقبائل العرب ولهجاتها جعله يميز بين اللغات ، فمنها اللغة الفاشية والجيدة والشاذة والقبليحة والضعيفة والمرفوضة . وسنتناول أمثلة لكل نوع من هذه اللغات :

¹ - نفسه ، 37/ 1 ، 155 ، و 191 / 2

² - نفسه ، 1 / 209 و 2 / 37 ، 74 ، و 3 / 78 ، 79

³ - نفسه ، 3 / 295

1 - اللغة الفاشية :

وهي اللغة الذائعة بين العرب واسعة الانتشار ، ومما جاء منها في المعاني على لسان صاحبه :

- " سمعت بعض قضاة يقول : اجتَحَى ماله ، واللغة الفاشية : اجتاح ماله .¹"
- " وتقرأ (لَا مَسَاسٍ) وهي لغة فاشية : لَا مَسَاسٍ ، مثل : نَزَالٍ وَنَظَارٍ مِنَ الْإِنْتِظَارِ²."
- " (السَّوَاءُ) أفشى في اللغة وأكثر ، وقَلَّمَا تقول العرب : دائرة السَّوَاءِ³."

2 - اللغة الجيدة :

وهي اللغة التي جمعت بين السماع والقياس ، من ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ لَا يَلْمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ البقرة 77
- " أَمْنِيَّةٌ " تجمع على " أَمَانِي " بالتخفيف ، و" أَمَانِيَّ " بالتشديد ، ولغة التشديد هي أجود الوجهين - في رأي الفراء - لأنها جمعت بين ياء الجمع والياء الأصلية دون حذف ، بخلاف لغة التخفيف .⁴

- قوله سبحانه : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ

بِبَحْيٍ ﴾ آل عمران 39

في همزة " إِنْ " لغتان بالفتح والكسر ، والفتح أجود عند أبي زكريا لأنه يوقع النداء عليها ، أما الكسر فإنَّ النداء صار كالقول ، و(إِنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) حكاية مقول القول.⁵

3 - اللغة الشاذة :

كنا قد تناولنا مصطلح الشذوذ عند الفراء عند الحديث عن علاقة أبي زكريا بالقرآن الكريم وقراءاته ، ولاحظنا أن مدلول هذا المصطلح لم يكن مستعملا عنده بالدقة الكافية ،

¹ - نفسه 2 / 124

² - السابق ، 2 / 190

³ - نفسه ، 3 / 65 ، وينظر أيضا 2 / 211

⁴ - نفسه ، 1 / 49

⁵ - نفسه ، 1 / 210 ، وينظر أيضا : 1 / 49 ، 64 ، 143

فقد يفهم منه الشذوذ في الرواية ، وقد يفهم منه الشذوذ في اللغة ، وأيٌّ من الفهمين لا ينفى الآخر .

فمن الشذوذ في اللغة ما أورده عند تناول قوله تعالى :

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ ق 38 ، يقول :

" وقرأ السلمي : (مِنْ لُغُوبٍ) ، بفتح اللام وهي شاذة"¹

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ النجم 15 ، يقول :

" وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ (جَنَّةُ الْمَأْوَى)² يريد : أَجَنَّهُ الْمَأْوَى ، وهي شاذة"³

ومن الشذوذ في الرواية ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ المزمّل 20

ذكر الفراء أنه يجوز أن يخفض النصف ، وينصب الثلث ، لتأويل قوم أن صلاة النبي ﷺ انتهت إلى ثلث الليل ، فقالوا : إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنَ الثُّلُثَيْنِ ، وَمِنَ النَّصْفِ ، وَلَا تَقْصُ مِنْ الثُّلُثِ ، وهو وجه شاذ لم يقرأ به أحد⁴ .

من ذلك أيضا ، قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ عبس 37 أي : يشغله عن قرابته ، وقد قرأ بعض القراء " يَغْنِيهِ"⁵ وهي شاذة⁶ .

4 - اللغة القبيحة :

من معاني القبح أن تنفرد القبيلة بلغة تخالف بها ما ارتضته العرب ، كقول بني كنانة : " رأيت كَلِيَّ الرجلين ، ومررت بكَلِيَّ الرجلين ، والعرب مجمعون على إثبات الألف في الرفع والنصب والخفض⁷ .

من ذلك أيضا تذكير الفعل بعد الأسماء المؤنثة ، يقول الفراء :

¹ - نفسه ، 3 / 80

² - قرأ علي وأبو الدرداء وآخرون " جَنَّةُ الْمَأْوَى " ، ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 8 / 157

³ - الفراء ، المعاني ، 3 / 97

⁴ - نفسه ، 3 / 199 ، 200

⁵ - وهي قراءة الزهري و ابن محيصن وابن أبي عبله وغيرهم ، ينظر: أبو حيان ، البحر المحيط ، 8 / 421

⁶ - الفراء ، المعاني ، 3 / 238

⁷ - نفسه ، 2 / 184

" فإن قال قائل : أرأيت الفعل إذا جاء بعد المصادر (أي الأسماء) المؤنثة ، أيجوز تذكيره بعد الأسماء كما جاز قبلها ؟ قلت : ذلك قبيح وهو جائز . "

ثم علل الفراء القبح ، بأن هذا الفعل المسبوق باسم مؤنث ، لا بد أن يتصل به ضمير يعود على الاسم المؤنث ، فاستقبح العرب أن يكون الضمير مذكرا لكنه يعود على اسم مؤنث .¹

ومن أمثلة القبح تأنيث الفعل وقد فصل بينه وبين فاعله المؤنث بـ"إلا" ، فلا يجوز عند الجمهور أن تلحق الفعل تاء التأنيث² ، ووجه القبح أن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل "إلا" ذكروه ، فقالوا : لم يقم إلا جاريتك ، وما قام إلا جاريتك ، ولا يكادون يقولون : ما قامت إلا جاريتك .³

5 - اللغة المرفوضة :

رفض الفراء بعض اللغات عندما خالفت المطرد من كلام العرب ، فقد ذكر أنه بلغه أن بعض العرب يكسر ميم اسم الفاعل المشتق من غير الثلاثي ، فيقول هم المطوَّعة والمسمِّع (يقصد المتطوَّعة والمستمِّع) ، يقول : "وهم من الأنصار وهي من المرفوض"⁴. ومما هو قريب المعنى من الرفض " لغات لم يسمعها الفراء فاستغرب وجودها ، جاء في معرض قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ السجدة 9

علق الفراء على قراءة الحسن (إِذَا صَلَّلْنَا)⁵ (بصاد مفتوحة ولام مكسورة) بقوله : " (صَلَّلْنَا) بالصاد ولست أعرفها ، إلا أن تكون لغة لم نسمعها ... لو كانت صَلَّلْنَا بفتح اللام لكان صوابا¹ ، ولكني لا أعرفها بالكسر ."²

¹ - السابق ، 1 / 128

² - ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، 1 / 433

³ - الفراء ، المعاني ، 3 / 55 ، وينظر أيضا : 1 / 449 ، و 2 / 10 ، 43 ، 71

⁴ - السابق ، 2 / 153

⁵ - قرأ علي وابن عباس والأعمش وآخرون " صَلَّلْنَا " بالصاد المهملة وفتح اللام ، وقرأ الحسن " صَلَّلْنَا " بكسر اللام ، ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 7 / 195

6- لغات أعجمية :

الملفت للنظر في معاني الفراء أنه أحيانا يشير إلى لغات أعجمية يجيء بها للتوضيح ، وهذا من سعة علمه .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ البقرة 95 ذكر أن لهذا علاقة بتحية المجوس وهي " زه هزَارُ سَالٌ " ومعناه عش ألف سنة³ . وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ البقرة 104 يقول : " وفي قراءة عبد الله (ولا تقولوا رَعُونَا) وذلك أنها كلمة باليهودية شتم⁴ هذا عن مصادر الرواية عند الفراء ، أما مضمونها فكان شعرا ونثرا كما أسلفنا .

ثانيا - النثر :

لشواهد النثر مقام معتبر في معاني الفراء ، والنثر في كتابه - كما عند الأخفش - مستويات : جمل وتراكيب جرت مجرى الأمثال عند العرب ، كلام دارج على ألسنتهم ، جمل وعبارات نسجها الفراء من أجل الإبانة والتوضيح .

1 - أمثال العرب :

ميز الفراء بين الأمثال وما سواها من كلام العرب ، بقوله : " ومن أمثال العرب " ، لكنه استعملها في الغالب شواهد على قضايا لغوية ، وقد أوردنا أمثلة من ذلك في فصل أصول اللغة عند الفراء .

2 - الحديث اليومي :

وهو الذي يعبر عنه الفراء بقوله : " من ذلك قول العرب " ، أو " والعرب تقول " .

¹ - جاء في اللسان : " قال أبو اسحق : من قرأ صلَّنا بالصاد المهملة ، فهو على ضربين : أحدهما ، أنتنَّا وتغيرت صورنا من صلَّ اللحم وأصل ، إذا أنتن وتغير . والضرب الثاني ، صلَّنا : يبسنا من الصلَّة وهي الأرض اليابسة ، ينظر: ابن منظور ، اللسان ، 11 / 384 ، ماد صلل .

² - الفراء ، المعاني ، 2 / 331

³ - السابق ، 1 / 63

⁴ - نفسه 1 / 69 ، ينظر أيضا : 1 / 41 ، 69 ، و 2 / 391 و 3 / 206

وهذه بعض النماذج :

• قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ البقرة 161
 ذهب الفراء إلى جواز رفع أو خفض " الملائكة و الناس " من الآية السابقة¹ ، مستدلاً
 على ذلك بقول العرب : " عجبتُ من تساقطِ البيوتِ بعضها على بعضٍ وبعضها على
 بعض² . يقول الفراء " فمن رفع ردّ البعض على تأويل البيوت ، ألا ترى أن المعنى :
 عجبت من أن تساقطت بعضها على بعض ، ومن خفض أجراه على لفظ البيوت ،
 كأنه قال : من تساقط بعضها على بعض³ "

• قوله سبحانه : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ الشعراء 4

يجوز عند الفراء أن تقول " خاضعة⁴ " واستدل على ذلك بكلام العرب ، يقول :
 " ألا ترى أن العرب تقول : كلُّ ذي عينٍ ناظرٌ وناظرةٌ إليك ، لأن قولك : نظرتُ إليك
 عيني ، ونظرتُ إليك بمعنى واحد .⁵ "

3 - الأمثلة التوضيحية :

وهي عبارات وتراكيب نسجها الفراء من أجل أن يوضح بها قواعد في النحو، من الأمثلة
 في
 ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ البقرة 214

بدأت الآية بـ " أم " ، وهذا بناءً على الكلام الذي قبلها ، لأنه لا يجوز أن يستفهم

¹ - قرأ الحسن برفع " الملائكة والناس " ، ينظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 1 / 635

² - خرج النحويون هذه القراءة على العطف على موضع اسم الله تعالى ، فإنه وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه ، فموضعه رفع بالفاعلية ، لأن هذا المصدر ينحل لحرف مصدرى وفعل ، والتقدير : أن لعنهم ، أو أن يلعنهم الله ، فعطف الملائكة على هذا التقدير ، ينظر :

أحمد بن يوسف الحلبي ، الدر المصون ، تحقيق : د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق (د.ت) 2 / 194

³ - الفراء ، المعاني ، 1 / 96

⁴ - قرأ عيسى وابن أبي عبله " خاضعة " ، ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 7 / 7

⁵ - الفراء ، المعاني ، 2 / 277 ، ينظر أيضاً : 1 / 168 ، 2 / 327 و 2 / 283 ، 297

بـ " أم " ابتداءً إذا لم تسبق بكلام يتصل بها وشرح الفراء ذلك قائلاً : " كقولك للرجل : أعندك خير ؟ لم يجز ههنا أن تقول : أم عندك خير؟ ولو قلت : أنت رجل لا تتصف أم لك سلطان تُدُلُّ به ، لجاز ذلك ، إذ تقدّمه كلام فاتصل به¹"

• مسألة النصب على التمييز في قوله تعالى :

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ يوسف 4 . يقول : " فأما نصب " كوكباً " فإنه خرج مفسراً للنوع من كل عدد ليُعرف ما أُخبرت عنه وهو في الكلام بمنزلة قولك : " عندي كذا وكذا درهمًا "².

وختاماً ، وبعد عرضنا لمكانة كلام العرب عند الفراء من حيث الاستدلال ، فإنه يمكن أن نسجل ما يأتي :

- 1- لم يفرق الفراء بين الشعر والنثر بل لم يظهر في كلامه أنه يؤثر أحدهما على الآخر فحيثما كان الدليل اعتمده .
- 2- لم يهتم الفراء بنسبة الشواهد إلى أصحابها ، بل قد ينسب مرة و يهمل أخرى.
- 3- دائرة الاحتجاج عند الفراء ذات لون خاص ، فله من القبائل الفصيحة مثلاً : أسد وقيس وهذيل وكنانة وتميم وطيء ، يضاف إليها ربيعة وعقيل وعامر وسليم وهوزان وغيرها .
- 4- علم الفراء واسع بلغات العرب ، فمنها اللغة الجيدة المستحسنة ومنها الفاشية ، يضاف إليهما اللغة الشاذة والقبیحة .. الخ

¹ - نفسه ، 1 / 132

² - نفسه ، 2 / 33 ، ينظر أيضا : 2 / 81 ، 172 ، و 3 / 87 ، 189

ثالثا : منهج السماع عندهما

خلال حديثنا عن السماع عند كلٍّ من الأخفش والفراء تناولنا مكانة القرآن الكريم وكلام العرب عندهما ، وأغفلنا تناول الحديث النبوي الشريف لأنه نادر عند الفراء ومنعدم عند الأخفش ، ومع ندرته عند الفراء لاحظنا أنه لم يستدل به على قضايا نحوية وإنما قضايا لغوية ، وليس من تلك الأحاديث إلا واحد اعتمده شاهدا نحويا .
ولذلك سنبرز ملامح منهج السماع عندهما من خلال العناصر الآتية :

1 - القرآن الكريم

مكانة القرآن الكريم عند الشيخين مكانة مرموقة لا تعلوها مكانة أخرى ، و رأينا أن الفراء صرّح بالحرف الواحد بأن القرآن أقوى في الحجة من الشعر ، ولذلك نسجل اللمسات الآتية :

1- تعددت القراءات القرآنية كثيرا في عصرهما وقد كان لكل منهما قراءته التي

يعتز بها ويدافع عنها أو التي يميل إليها من بين القراءات الأخرى ، ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من اعتماد مقاييس على أساسها تقبل القراءة أو ترفض ، وقد ذكرناها مرتبة كالاتي : موافقة العربية ، موافقة المصحف ، صحة السند .

وقد اعتمدت هذه المقاييس بعد عصرهما من قبل القراء على خلاف في الترتيب .

وقد لمسنا انسجاما بين الرجلين في تطبيق هذه المقاييس ، فالقراءة ترفض أو تنعت بنعوت تعبر عن عدم الرضا إذا لم توافق العربية ، وقد ترفض أيضا إذا وافقت العربية لكنها خالفت المصحف ، أما صحة السند فيعبران عنه بإجماع القراء أو الاجتماع على القراءة وهو شرط مدعم للشرطين السابقين ، غير أن الملاحظ عند الفراء أنه يتساهل في هذه الشروط كلها أو بعضها إذا تعلّق الأمر بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه التي يجلّها ويتبناها في الكثير من الأحيان .

2- طرّح الشيخان ما يمكن أن يسمى بالقراءات الافتراضية وهي أوجه من القراءة

تقبلها العربية لكن لم ترد بها الرواية ، وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين كلام العرب والقراءات القرآنية ، فكان أحدهما دعما للآخر .

3 - يظهر أن الشيخين مقتنعان بأن لا ينبغي أن يكون تعارض بين القراءة ولغة العرب إلاّ استثناءً ، وهو ما نفهم به تحكيمهم للغات العرب في القراءات وليس العكس ، وهو بالتالي ما يمكن أن نبرر به مسألة الرفض للقراءة أو وصفها بالشذوذ أو الرداءة أو اللحن ، فهذه الأوصاف هي في الحقيقة للغة وليست للقراءة .
كذلك فإنه من المبكر جدًا والسابق لأوانه أن نقول عن الأخفش والفراء أن أحدهما أو كليهما استدلا بالقراءات الشاذة ونبني على ذلك حكما يتعلق بمنهجهما العلمي ، لأنهما لم يستعملا مصطلح الشذوذ بمفهومه عند الفراء ، وإنما مصطلح الشذوذ كما يفهمه أهل اللغة والنحو يعني نقيض الاطراد .

ثم إن هناك أمرا آخر يُستغرب من بعض الدارسين وهو عجبهم من رفض الأخفش أو الفراء لقراءة زيد أو عمرو ويكون هذا القارئ أحد السبعة ، والواقع أنه لا مكان للعجب هنا، لأن القارئ الذي رفضت قراءته لم يعد في السبعة أو العشرة إلاّ بعد قرنين أو أكثر من عصر الرجلين ، وربما كان في زمانه من هو مثله أو أكثر ، كما يثبت ذلك علماء تاريخ القراءات القرآنية¹.

سؤال أخير نختم به العرض المتعلق بموقفهما من القرآن الكريم وقراءاته ، وهو :

أيهما أكثر: شواهد الشعر والنثر أم شواهد القرآن في الكتابين ؟

إن سؤالا كهذا لا مجال لطرحه عندما يكون البحث في الكتابين ، لأن الكتابين كليهما لا يضمنان غير الآيات القرآنية مستدلاً لها أو بها ، لو كان الأمر يتعلق بكتابين غيرهما في النحو الخالص لجاز لنا أن نقارن ونوازن بين الأدلة المعتمدة لقواعد النحو : أي من القرآن أم من غيره ؟ كما هو الحال في كتب المتأخرين ، أما وإنّ الأمر خلاف ذلك ، فإنه لا معنى للقول بأن الاستدلال بالقرآن أكثر من غيره أو العكس .

2 - كلام العرب

إذا حاولنا أن نتبين طريقة تعاملهما مع كلام العرب ، فإننا نسجل الآتي :

1- شواهد شعرية منسوبة إلى مجاهيل :

هذه الظاهرة ليست عند الشيخين فقط ، وإنما شاعت عند أسلافهما ، بحيث أنه لا قيمة

¹ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1 / 325 ، 326

عندهما للبحث عن القائل ، فيكفي أن البيت الشعري بَلَّغَهُمْ عن ثقة ، قدوتُهُمْ في ذلك سيبويه الذي كثيرا ما يردد في كتابه : " حدثني من لا أتهم " و " حدثني الثقة " ، والدليل على أنهما لا يعتنيان بالقائل ، أن صاحب البيت قد يصرح باسمه تارة ويترك ذلك تارة أخرى.

هذا جانب ، والجانب الآخر هو أن التأكيد على ضرورة التعرف على القائل ورفض الشاهد مجهول النسب ، هذا لم يقع به العمل إلا بعد عصرهما ، ولعل أول من رفض الشاهد مجهول النسب كان أبو عثمان المازني (ت247هـ) ، فقد روي أن سئل مرة عن " السكين " أمذكر هو أم مؤنث ؟ ، فقال : إنه مذكر ، فأنشده السائل بيتا سمعه في حلقة الفراء ، هو : (من الوافر)

فَعِيَّتَ فِي السَّنَامِ غَدَاةً قُرٌّ
بِسَكِينٍ مُوْتَقَّةٍ النَّصَابِ¹

فقال أبو عثمان : لمن هذا ؟ ومن صاحبه ؟ ما أراه إلا أُخْرِجَ من الكم ، وأين صاحب هذا من أبي ذؤيب حيث يقول² : (من الطويل)

فذلك سكين على الحلق حاذق³

ويظهر أن هناك شبه إجماع لدى الدارسين على أن الاستشهاد بالشواهد المجهولة يكون مرفوضا إذا صدر عن المتأخرين من النحاة ، أما المتقدمون منهم فإنه يحتج بالبيت المجهول إذا جاء في كتب سيبويه والأخفش والكسائي والفراء ، بل كتب ابن السراج (ت316هـ) والسيرافي (ت368هـ) الفارسي (ت377هـ) وابن جني (ت392هـ)⁴.

2- سعة دائرة الاحتجاج :

إذا كان العلماء قد حددوا ما يعرف ببيئة الفصاحة أو دائرة الاحتجاج وراعوا في ذلك

¹ - البيت في اللسان ، 2 / 170 مادة " عيث " ، و 13 / 211 مادة " سكين "

² - أصل البيت :

يُرى ناصحا فيما بدا ، وإذا خلا فذاك سكين على الحلق حاذقُ

ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 13 / 211 مادة " سكين " .

³ - أبو اسحاق الزجاجي ، مجالس العلماء ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط2 ، الكويت ، 1984 ص129

⁴ - محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ، 69

المكان والزمان ، فاشترطوا في المكان قلب جزيرة العرب حيث قبائل قيس وتميم وأسد وكنانة وطيء وهذيل ، أما الزمان فحصره في قرن وصف قبل الإسلام ومثلها بعده ، وربما امتد الاحتجاج إلى القرن الرابع للهجرة عند أهل البادية .

هذه القواعد والشروط كانت نسبية عند الأخفش والفراء ، فكان للأخفش القبائل التي يستقي منها مادته اللغوية وفيها من ليس من القبائل الفصيحة ، كقبيلتي بلعبر وبلحارث بن كعب ، وكذلك الأمر عند الفراء فقد خرج عن دائرة الاحتجاج المرسومة إلى قبائل بكر وقضاعة وأهل اليمن ، وكلها من القبائل التي جاورت الأعاجم ففسدت ألسنتها ، وبالمقابل فإنه إذا كان للأخفش ثقات يأخذ عنهم كأبي زيد الأنصاري ويونس بن حبيب ، فإن للفراء فصحاء من أمثال أبي الجراح العقيلي وأبي ثروان العكلي وغيرهما .

فهل يعني هذا من الشيخين اضطرابا في المنهج ، منهج السماع ؟
إن التأويل الذي تقدمه لهؤلاء لتبرير الطريق الذي سلكاه هو أن ما نقلاه وقد خرج عن دائرة الاحتجاج ، إنما أخذاه عن واحد من اثنين :

إما عن شيوخ ثقات كأن يقول الفراء : " أنشدني الكسائي " أو نقلنا عن سكان نجد والحجاز أهل الفصاحة ، إذ يكفي أنهم رووا ما بلغهم من قبائل الأطراف فغدا صالحا للاحتجاج ، يضاف إلى ذلك أن الشاهد الشعري خاصة إنما ينسج من لغات القبائل الفصيحة ، لأن لغة الشعر لغة تعلو على اللهجات المحلية الفصيحة أو لغة الخطاب اليومي¹ .

3- مصادرٌ للسماع مفضلة :

ورد في كتاب الأخفش الإشارة إلى قبائل الحجاز وتميم بشكل ملفت للنظر مما يدل على أن أبا الحسن اعتمد عليهما كثيرا في الأخذ ، ثم تأتي بعدهما سائر القبائل الأخرى ، أما الشخصيات فكان أكثر نقله عن شيوخ بصريين وأكثرهم ذكرا يونس بن حبيب الأنصاري ، يليه عيسى بن عمر الثقفي ثم أبو عمرو بن العلاء .

¹ - المرجع السابق ، 58 ، 59

أما الفراء ، فأهم من أخذ عنهم أكثر ما سمع ، هم أهل الحجاز ، وقد أكثر من ذكر قبائل بأسمائها ، كقبيلة أسد وبني عقيل ، وبعدهما سائر القبائل ، كهذيل وبني الحارث وقضاعة وبني عامر .. الخ .

أما الشخصيات فالأربعة الذين آثرهم على غيرهم رواية وسماعا وهم :
أبو القمقام الأسدي وأبو ثروان العكلي وأبو الجراح العقيلي وأبو زياد الكلابي .

4- مصادر للسمع مشتركة :

إذا بحثنا على مستوى القبائل فإننا نجد قبائل أخذ عنها الشيخان ، وهي قبائل الحجاز ونجد عامة ، وأسد وقيس خاصة ، كذلك فإن هناك شعراء اشتركوا في الاستدلال بهم ، وأبرزهم :

الفرزدق ، أمرؤ القيس ، روبة بن العجاج ، زهير ، عنتر ، النابغة ، متمم بن نويرة .
كما أننا لا نجد في معاني الفراء ما يشير إلى كثرة روايته عن علماء البصرة ، وإن ذكر البصريين فإنه يقول : " بعض النحويين " وذلك في معرض مناقشة آرائهم والرد عليها¹ ، ومن البصريين القلائل الذين ذكرهم : يونس بن حبيب² وأبو عمرو بن العلاء³ .
إذا كان هذا شأن الفراء مع البصريين ، فكذلك شأن الأخفش مع الكوفيين ، إذ ليس في كتابه ما يشير صراحة إلى أخذه عنهم - على الرغم من تأثره بهم أو تأثيره فيهم - لكنه قد يعرض لبعض آرائهم مناقشا ومعلقا يفتح ذلك بقوله : " الكوفيون يقولون "⁴

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 203 ، و 2 / 312 ، 313

² - نفسه 1 / 127

³ - نفسه ، 1 / 438 ، و 2 / 174 ، و 3 / 61

⁴ - نفسه ، 2 / 565

المبحث الثاني : القياس ومنهجهما فيه

عند حديثنا عن القياس اللغوي انطلقنا من تقسيم القياس إلى قسمين :

قياس استقرائي وقياس شكلي ، وإذا كان القسم الأول ألصق باللغة ، فإنّ الثاني أشد ارتباطا بالنحو على الرغم مما بين القياس اللغوي والقياس النحوي من تداخل وامتزاج ، نقول هذا عندما نعتمد على أن القياس الشكلي يتجاوز مسألة حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه ، إلى التعليل والشبه والتمثيل ، فيصدق عليه تعريف القياس القائل : إلحاق فرع بأصل بجامع .

وإذا تأملنا صنيع النحاة مع القياس باعتباره الوسيلة الأم في التععيد النحوي ، نلاحظ أنهم إنما يقيسون لهدف من الأهداف الآتية :

1- استنباط الأحكام النحوية وتثبيتها كقياسهم نائب الفاعل على الفاعل بحيث اتفق

المقيس مع المقيس عليه في علة الإسناد فكان حكم المقيس (نائب الفاعل) الرفع .

2- تعليل الظاهرة ، من ذلك مثلا ، تساؤل النحاة عن تعدي الفعل " رضي " :

بحرف الجر " على " بدلا من " عن " في قول الشاعر:¹ (من الوافر)

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قَشِيرٍ
لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

فكان جواب الكسائي أنه إذا قسنا الفعل " رضي " على ضده وهو الفعل " سخط " جاز أن يتعدى الفعل " رضي " بحرف الجر " على " ، لأن الفعل " سخط " يتعدى بحرف الجر " على " ، وهذا الذي يسميه النحاة " قياس الضدّ على الضدّ " .²

3- رفض الظاهرة : يكاد يكون هذا الهدف هو نفسه الهدف السابق (التعليل) ، لأن

رفض الظاهرة لا يتم إلا بقياس يقوم على تعليل الرفض ، إنما الفارق بينهما هو أن هدف التعليل هو التثبيت وهدف الرفض هو الإلغاء ، مثال ذلك رفض البصريين أن ينتصب المضارع باللام ، وتعليلهم للرفض قياسهم اللام الناصبة على اللام الجارة ،

¹ - البيت للفحيف العقيلي يمدح حكيم بن المسيّب القشيري ، ينظر ، ابن الأنباري ، الإنصاف ، 2 / 630

² - الحلواني ، أصول النحو العربي ، 93

فقالوا : إن هذه اللام خاصة بالأسماء لا بالأفعال ، ومادام الأمر كذلك فإنها لا تعمل في الأفعال بل تعمل في الأسماء .¹

بقي أن نذكر هنا بالعمود الذي تقوم عليه عملية القياس وهو المقيس عليه ، الذي هو عند النحاة كلام العرب المسموع الفصيح المطرد الذي ليس قليلاً ولا شاذاً ، وقد يقيسون على غيره عندما تدعو الضرورة إلى ذلك .

1 - الأخفش والقياس

إذا تصفحنا كتاب الأخفش " معاني القرآن " نستخلص أن القياس لا يعرف صورة واحدة ، إنما هي صور نعرضها في الآتي :

1- القياس درجات :

فهناك عند أبي الحسن وجه أقيس من وجه ، إذ كثيراً ما يستعمل كلمة " أقيس " ، فيقول : " والأول أقيس " و " أقيس هذا " و " أقيس الوجهين " .²

فهل هناك قياس أقيس من قياس ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تدعونا إلى أن نفرق بين القياس النحوي والقياس الأرسطي ، فالأول هو الذي أشرنا إليه سابقاً " حمل ظاهرة لغوية مستحدثة على أخرى مسموعة " ثم استنباط حكم جديد ، على أن يكون العقل محترماً أيما احترام في هذه العملية التي بواسطتها وصل النحاة إلى الأهداف التي ذكرناها .

أما القياس الأرسطي فمثاله الشهير :

كل إنسان فان

سقراط إنسان

سقراط فان

¹ - ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 / 575

² الأخفش ، المعاني ، 1 / 9 ، 81 ، و 2 / 327 .

فلم يفعل أرسطو في هذه الصورة شيئاً إلا أنه جسد إمكانية فطرية في العقل الإنساني في صورة قانون ، فكل صاحب عقل سليم يستطيع أن ينطلق من هذه المقدمات ليصل إلى تلك النتائج ، وهذا هو السبيل الذي خاطب به القرآن مشركي مكة عندما تساءلوا :

من يُحيي العظام وهو رميم ؟ ، فكانت الإجابة المنطقية :

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يس 79

فليس هؤلاء بحاجة إلى منطق أرسطو ولا إلى فلسفة أفلاطون .

إن قول الأخفش : " هذا الوجه أقيس الوجهين " ، إنما يفهم منه أن هذا الوجه الأقيس أشد التحاماً بالعقل والمنطق والتفكير السليم ، فضلاً عن مطابقته لما استخلص من كلام العرب .

فلو عدنا إلى التعليل الذي نفى به النحاة نصب اللام للمضارع لوجدناه تعليلاً منطقياً عقلياً لأنه ينطلق من مقدمة تفضي إلى نتيجة هي :

- اللام أحد الحروف المختصة بالأسماء فلا تعمل في الأفعال.

- ورود المضارع منصوباً بعد اللام .

- المضارع لم ينتصب باللام وإنما بغيرها مما هو مختص بالأفعال .

يتضح هذا الكلام أكثر عندما نعود إلى كلام الأخفش في هذا السياق ، من خلال النماذج الآتية :

• يقارن أبو الحسن بين رأيين :

أحدهما يرى بأن الابتداء عامل في رفع المبتدأ والخبر معاً قياساً على " إنَّ " الناسخة ،

التي تنصب الاسم وترفع الخبر أيضاً . والثاني يرى أن الابتداء يرفع المبتدأ فقط ، أما

الخبر فلا يرفعه الابتداء وإنما يرفعه المبتدأ ، يقول الأخفش عن الرأيين :

" وكلُّ حسن والأول أقيس " ¹ ، يقصد أن الأول ألصق بالقياس الصحيح ، لأن عامل

الرفع في المبتدأ والخبر الذي هو " الابتداء " قيس على " إنَّ " العاملة في المبتدأ نصبا

وفي الخبر رفعا .

• عندما يكون في الكلام اسمان عطف أحدهما على الآخر بـ " أو " ، يقول

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، 9/1

أبو الحسن : " أنت في " أو " بالخيار إن شئت جعلت الكلام على الأول ، وإن شئت جعلت على الآخر ، وأن تحمله على الآخر أقيس ، لأنك إن تجعل الخبر على الاسم الذي يليه فهو أمثل من أن تجاوزه إلى اسم بعيد منه ¹ .

ثم استدلت على ذلك بجملة آيات ، عاد فيها الضمير على الأول تارة وعلى الآخر تارة أخرى ، وهي قوله سبحانه :

- ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ الجمعة 11

- ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ النساء 112

ففي الآية الأولى عطف " اللهو " على " التجارة " وعاد الضمير في " إليها " على الأول منهما (التجارة) .

وفي الآية الثانية عطف " الإثم " على " الخطيئة " وعاد الضمير في " به " على الثاني (إثمًا) .

2 - القياس الحسن :

ويوضحه ما جاء في تحليل قوله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بَأْيَدِهِمْ ﴾ البقرة 79

يحدد أبو الحسن حكم " وَيْلٌ " في الآية على أنها مرفوعة على الابتداء ويكون الخبر بعدها مجرورا باللام ، لكن إذا نصبت زالت اللام ، كأن تقول : " ويل زيد " ومثل الويل : الويح والويس ² . والنصب هنا على فعل محذوف ، والتقدير : " ألزمه الله الويل " ، أما " تَعَسًا " و " بُعْدًا " فمنصوبة أبدا ، وقد جاء هذا في قوله تعالى :

﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ ﴾ هود 95

وقوله سبحانه : ﴿ فَتَعَسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد 8

لكن قد ينصب الويل والويح مع وجود اللام قياساً على " التعس " و " البعد " ، كأنه من باب قياس النظير على النظير ، فالويل والويح والتعس والبعد ، كلها تحمل معنى التهديد والوعيد بالعذاب وسوء العاقبة ، يقول الأخفش : " وقد ينصبه قوم (يقصد الويل والويح

¹ - نفسه ، 81/1

² - الويل : هلكة ، والويح : فُجوح ، والويس : ترحم ، ينظر : ابن منظور ، اللسان ، 11 / 739 ، مادة : ويل .

(على ضمير الفعل (يقصد على إضمار الفعل) وهو قياس حسن ، فيقولون : وَيَلَّا لَزَيْدٍ ، وَيِيحًا لَزَيْدٍ¹ . "

3 - القياس الصحيح :

وهو القياس الجاري على كلام العرب ناهيك عن القرآن الكريم ، ومثاله :

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ المائدة 73

ونظيره قوله سبحانه : ﴿ تَانِي اثْنَيْنِ ﴾ التوبة 40

فالعدد في الآية الأولى : ثلاثة ، والله ثالثهم ، والعدد في الثانية : اثنين .

ويجوز أن يقال في ثالث الثلاثة " ثالث اثنين " ، وفي ثاني اثنين " ثاني واحد " فالمعنى

واحد في الصورتين ، يقول عنه أبو الحسن : " وهو في القياس صحيح .² "

ومن القياس الصحيح أن يعامل غير العاقل معاملة العاقل إذا صدر من الأول ما يصدر

من الثاني ، فقد خوطب النمل مخاطبة العقلاء ، في قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ النمل 18

إذ تكلمت نملة فصارت كمن يعقل.³

4 - القياس الرديء :

يفهم منه - عند الأخفش - أنه القياس الذي يتوهم أنه صحيح لكنه فاسد ، كحذف واو

القسم والإبقاء على لفظ الجلالة مجرورا ، قياساً على حذف " رَبِّاً " قبل الاسم المجرور

بها . يقول في معرض قوله تعالى :

﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا ﴾ الأنعام 23

" وأما " والله " فجره على القسم ، ولو لم تكن فيه الواو نصبت فقلت " الله رَبَّنَا " ،

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 118

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 263

³ - نفسه ، 362

ومنهم من يجر بغير واو لكثرة استعمال هذا الاسم¹ ، وهذا في القياس رديء²

5 - القياس غير الصحيح :

عند تناول الأخفش لكلمة " معايش " في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ الأعراف 10

ذكر بأن " مَعَايِشَ " مخالفة للقياس ، لأن الياء فيها ليست زائدة في الأصل فلا تقلب إلى همزة ، والأمر نفسه مع " مصائب " وأصلها " مصاوب " وفيها الواو معلة في المفرد (مصيبة) ، ولذلك ذهب إلى أن همزها ليس من القياس ، ويستدل على ذلك بأن ناسا من العرب يقولون : " المصاوب " وهي قياس³.

6 - القياس المرفوض :

وهو القياس على الشاذ .

ففي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ ﴾ الأعراف 150

يقول الأخفش : " وذلك - والله أعلم - أنه جعله اسما واحدا مثل قولهم " ابن عم أقبيل " وهذا لا يقاس عليه ."⁴

ثم يورد بعد ذلك قراءة من قرأ : ﴿ يَا ابْنَ أُمِّي لَا تَأْخُذْ ﴾⁵ طه 94 ، وهي الموافقة للقياس ، لكن تكره القراءة بها لأنها مخالفة للكتاب ، فليس في الكتاب ياء .⁶

¹ - أقر سيبويه حذف واو القسم هنا قياساً على واو رُبِّ ، لكثرة الاستعمال وطلباً للتخفيف . ينظر :

سيبويه ، الكتاب ، 3 / 498

أما المبرد فقد قال عنه : " وليس هذا بجيد في القياس ، ولا معروف في اللغة ، ولا جائز عند كثير من النحويين

، وإنما ذكرناه لأنه شيء قد قيل وليس بجائز عندي . ينظر : المبرد ، المقتضب ، 2 / 334

² - الأخفش ، معاني القرآن ، 2 / 270

³ - السابق ، 293 ، 294

⁴ - نفسه ، 2 / 310

⁵ - أثبت أبو حيان هذه القراءة في " البحر " لكنه لم ينسبها إلى أحد . ينظر : البحر المحيط ، 4 / 394

⁶ - نفسه 310

خلاصة القياس عند الأخفش

يظهر أن الأخفش - وإن تعددت أقيسته - إلا أنه يهدف إلى قسمين أساسيين ، فالقياس عنده إما أن يكون صحيحا حسنا ، أو أن يكون فاسدا باطلا لا يعتدّ به .

فأما الأول فهو الأصل ولا يكون إلا على مطرد كلام العرب ، وهذا هو الغالب في القياس عنده ، فهو عندما يفاضل بين قياس وقياس فميّله في النهاية إلى ما كان الأصل فيه الاطراد والشيوع في لغة العرب ، وإنّ لتلك النعوت التي نعت بها أقيسته المقبولة دلالات دقيقة ، فـ " الأقيس " هو الأشدّ التحاما بالقاعدة النحوية المطردة ، و " الحسن " مقبول لأنه فرضية يساندها دليل ، وأيّ دليل أقوى من القرآن ، وقد ظهر هذا في قياسه " الويل " في حال النصب على " التعس " الملازمة للنصب .

أما " الصحيح " فهو الذي اشتدّ فيه ارتباط المقيس بالمقيس عليه بجامع المعنى ، بدا هذا واضحا في حمل غير العاقل على العاقل إذا تصرف الأول تصرف الثاني .

وأما الثاني من أقيسته فهو ما كان المقيس عليه شاذّا قليلا ، فهذا الذي رفضه الأخفش بقوله " رديء " أو " لا يقاس عليه " ، وسبب فساد هذا القياس أنه لا جامع بين المقيس والمقيس عليه كحذف الواو مع الجر من " والله ربّنا " قياسا على واو " ربّ " التي يجوز حذفها مع بقاء أثرها ، ومن أمثلة القياس المرفوض الخروج عن القواعد التي جرى عليها كلام العرب ، كمثل همز " معايش " وقد سبق شرحها .

وأما ما قيل من أنّ أبا الحسن يقيس على الشاذ بحكم موافقته للكوفيين في كثير من آرائهم ، فهذا لم يصل إلى درجة الكثرة الملفتة للنظر خاصة إذا اتخذنا كتابه المعاني - موضوع البحث - دليلا على مدى صحة هذا الحكم .

2 - الفراء والقياس :

احتفى الفراء بالقياس في كتابه " المعاني " أيما احتفاء ، ولا غرابة في ذلك فالرجل كان معتزليا ، والمعتزلة معروفون بغلبة النزعة العقلية على تفكيرهم ، يضاف إلى ذلك التلمذ المباشر للفراء على شيخه الكسائي صاحب المقولة الشهيرة :

إنما النحو قياس يُتَّبَعُ وبه في كل أمر ينتفع

لذلك كان القياس عند الفراء في كتابه ، الأداة المفضلة في تحليل الظواهر اللغوية من أجل استنباط الأحكام ، فكثيرا ما يشير إلى ذلك بقوله : " فقس على هذا " ¹ ، " يقاس على هذا ما ورد " ² ، " فهو على القياس " ³ ، وقد يستعمل عبارة أخرى نحو: " فأجر الكلام على هذا " ، " فابن على هذا " ⁴ ، " ليس مما بينى عليه " ⁵ .

والقياس عند الفراء أنواع نذكر منها :

1 - القياس الصحيح :

وهو الغالب في كتاب المعاني ، بحيث ينطلق أبو زكريا من تحليل الآية أو توجيهها، ثم يسجل القاعدة النحوية المطردة ويطلب القياس عليها ، وهذه بعض الأمثلة :

• قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ الفرقان 23

يقول الفراء عن " هباء " إنه اسم ممدود غير مهموز في الأصل ، يصغر على " هَبِيٌّ " كما يُصَغَّرُ " الكساء " على " كُسَيٌّ " ، بخلاف " جُفَاء " ⁶ الوادي ، وهو مهموز في الأصل يُصَغَّرُ على " جُفِيَّء " مثل " جُفِيْع " ⁷ ، ثم يقول بعدها : " ويقاس على هذين كل ممدود من الهمز ومن الياء ومن الواو " ⁸ .

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 55

² - السابق ، 1 / 200

³ - نفسه ، 3 / 156

⁴ - نفسه ، 1 / 15

⁵ - نفسه ، 2 / 153

⁶ - الجُفَاء : ما نفاه السيل ، ينظر ، اللسان 1 / 49 ، مادة : جفي

⁷ - جَفَع الشيء جَفْعًا : قَلَبَهُ ، ينظر ، اللسان 8 / 51 ، مادة : جفع

⁸ - الفراء ، المعاني ، 2 / 266

• قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ نوح 1
تضمنت الآية ما يعرف عند النحاة بـ " أن " التفسيرية ، وهي المسبوقة في العادة بفعل
يحمل معنى القول لا حروفه ، والفعل في الآية المذكورة هو " أرسلنا " ، يقول الفراء
معللاً : " فجاءت مفتوحة (أي " أن ") لأن الرسالة قول . "

لكن إذا لم يرد القول في السياق لا في حروفه ولا في معناه ، فإنه لا لزوم لورود
" أن " أصلاً ، يقول أبو زكريا : " وأما ما ليس فيه معنى القول فلم تدخله " أن " .
ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ السجدة 12

ثم يقول بعد ذلك : " فقس بهذا ما ورد عليك " 1

• قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ
اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ إبراهيم 4
يقول أبو زكريا في الاستئناف الذي أفادته الفاء في الفعل (فَيُضِلُّ) : " فإذا رأيت
الفعل منصوباً وبعده فعل قد نسق عليه بـ "واو" أو " فاء " أو " ثم " أو " أو " ، فإن
كان يشاكل معنى الفعل الذي قبله نسقته عليه (أي عطفته عليه) وإن رأيت غير مشاكل
لمعناه استأنفته فرفعته . " 2

ثم يورد بعد ذلك أمثلة من القرآن وشاهدا من الشعر ، فمما استدل به من القرآن قوله
تعالى في الآيات :

- ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ الحج 5
 - ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ﴾ النساء 27
 - ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ التوبة 32
- فالأفعال " نُقِرُّ " و " يُرِيدُ " و " يَأْبَى " لم تشاكل ما قبلها في المعنى ، وبالتالي هي
مرفوعة أو في محل رفع .

أما الشعر فمنه قول الشاعر : (من الرجز)

1 - الفراء ، المعاني ، 1 / 81

2 - نفسه ، 2 / 68

والشعرُ لا يَسْطِيعُهُ من يَظْلُمُهُ يُرِيدُ أن يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ¹

فالفعل " يُعْجِمُ " لم يشاكل ما قبله (يُرِيدُ) في المعنى لذلك رفع على الاستئناف ثم يقول الفراء بعد ذلك : " ويُقاسُ على هذا.² "

• قوله سبحانه : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾³ القدر 5

يرى الفراء أن القياس الأقوى هو ما وافق العربية وناسب المعنى ، فيعلقُ على قراءة يحيى بن وثاب : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (بكسر اللام) فيقول : " وقرأه العوام بفتح اللام (مَطَّلَع) ، وقول العوام أقوى في قياس العربية لأن (المَطَّلَع) بالفتح هو الطلوع ، و (المَطَّلَع) بالكسر المشرق والموضع الذي تطلع منه ."³

2 - القياس الفاسد :

وهو القياس المرفوض ، لأن المقيس ليس في معنى المقيس عليه طبقاً للقاعدة :
" القياس حمل شيء على آخر إذا كان في معناه " ومن أمثلة ذلك :

• ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَالِكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَنَّتَيْنِ ﴾ النساء 88

ف " فَنَّتَيْنِ " منصوبة بـ " كان " المحذوفة عند الكوفيين⁴ ، ويمكن أن يقاس على " فمالكم " صيغٌ أخرى في معناها وهي : مال ، ما بالك ، ما شأنك ، لكن لا يمكن أن يقاس عليها " ما أمرُك القائم " ولا " ما خطبُك القائم " ، لذلك قال الفراء :
" فلا يقاس الذي لم يستعمل على ما قد استعمل " .⁵

3- القياس على القليل :

1 - ديوان الحطيئة ، جمع وشرح : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1426هـ / 2005

كما ينظر أيضا : الخزاعة ، 2 / 412 ، ومغني اللبيب ، 168

2 - الفراء ، المعاني ، 2 / 68

3 - السابق ، 3 / 281 ، ينظر أمثلة أخرى من القياس الصحيح : 1 / 216 ، 277 ، و 2 / 69 ، 163 ،

و 3 / 57 ، 106

4 - انتصبت " فنتين " على الحال عند البصريين من ضمير الخطاب في " لكم " وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب على إضمار " كان " أي " كنتم فنتين " ، ويجيزون " مالك الشاتم " أي كنت الشاتم ، وهذا عند البصريين لا يجوز ، لأنها عندهم حال والحال لا يجوز تعريفها . ينظر : البحر المحيط ، 3 / 326

5 - الفراء ، المعاني ، 1 / 281 ، وكذلك ، 2 / 93

هذا القياس ليس مطّرداً اطراد الأول لكنه عند الفراء مقبول خاصة عندما يكون المقيس عليه مقبولاً عند الفصحاء ، ومن النماذج في ذلك :

• ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ ﴾ طه 83

اختلفت قراءات هذه الآية الكريمة ، فأما الفراء فيقرؤها بتشديد " إِنَّ " وبالألف في " هذان " كما هي قراءة نافع وآخرين ، ومن جملة ما يوجه به هذه القراءة أنها جاءت على لغة بني الحارث بن كعب ، وينشده رجل من فصحاء بني أسد عن هذه القبيلة بيتاً من الشعر جاء فيه : (من الطويل)

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا¹

وبسبب إقرار الفراء بفصاحة هذا الأسدي الذي نقل عنهم ، يقول : " وذلك - وإن كان قليلاً - أقيس² .

أي أن هذا على قلته يقاس عليه لأنه قد رضي به الفصحاء .

• ومن القياس القليل تجويزه تقدم الحال على عاملها المعنوي ، وهو ما

تضمن معنى الفعل دون حروفه ، كأسماء الإشارة والظروف والجار والمجرور³.

ومثاله ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ الأنعام 139

يعقب الفراء على قراءة النصب في " خالصة⁴ " بقوله : " ولو نصبت الخالص والخالصة على القطع (أي على الحال) وجعلت خبر " ما " في اللام التي في قوله " لذكورنا " كأنك قلت : " ما في بطون هذه الأنعام لذكورنا خالصاً وخالصةً ، كما قال

¹ - الشجاع : الذكر من الحيات ، وصمّم : عضّ في العظم . والبيت للمتلّمس كما في اللسان ، مادة (صمم) ، 12 /

347

² - الفراء ، المعاني ، 184 / 2

³ - سيبويه لا يجيز تقدم الحال على عامله المعنوي ظرفاً كان أو غيره ، وخالفه في ذلك الأخفش بشرط تقدم المبتدأ

على الحال ، نحو : زيد قائماً في الدار ، ينظر : سيبويه ، الكتاب ، 2 / 124 ، 126 . والمبرد ، المقتضب ، 4 /

170 . والرضي الإسترأبادي ، شرح الكافية ، تحقيق : يوسف حسن عمر ، منشورات قار يونس ، بنغازي ، ط2

، 1996 ، 24 / 2

⁴ - قرأ بالنصب ابن عباس والأعرج وقتادة وابن جببر ، ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 4 / 234

* - هنا جواب "لو" محذوف ، وتتمته - كما ذكر المحقق - " لساغ " مثلاً . أو لجاز ، أو لصحّ ... الخ .

[تعالى] : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ النحل 52 * ، والنصب في هذا الموضع قليل لا يكادون يقولون : عبدُ الله قائماً فيها ، ولكنه قياس¹

4- القياس المبهم :

هذا في الحقيقة ملاحظة صدرت عن أبي زكريا عندما رفض حكماً بلغه عن الكسائي ، وذلك عندما نُسب إلى الكسائي قوله إنَّ واحد الزبانية " زَبْنِيٌّ " ، يقول الفراء : " وكان قبل ذلك يقول (أي الكسائي) ، لم أسمع لها بواحد ، ولست أدري أقياساً منه أو سماعاً²

5 - لا قياس مع القراءات القرآنية :

القراءات القرآنية تحصل بالنقل المتواتر لا بالقياس على مناطقته العرب ، هذا ما ذكره الفراء عندما قال : " لو اقتنستُ في القراءة على ما يخفُّ على ألسن العرب فيخففون أو يدغمون ، لخففتُ قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ الأنعام 19 فقلتُ : أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، وهو كلام العرب فليس القراءة على ذلك ، إنما القراءة على الإشباع والتمكين ."³

وإذا كانت القراءة الثابتة نقلاً تلغي القياس إذا تعارضاً ، كذلك خط المصحف فهو وإن خالف القياس محفوظ غير مهمل ، من ذلك كتابة الهمزة .

يقول أبو زكريا : " وأكثر ما يكتب الهمز على ما قبله ، فإن كان ما قبله مفتوحاً كتبت بالألف ، وإن كان مضموماً كتبت بالواو ، وإن كان مكسوراً كتبت بالياء ، وربما كتبتها العرب بالألف في كل حال ، لأن أصلها ألف ... ورأيتها في مصحف عبد الله (شيئاً) في رفعه وخفضه بالألف ، ورأيتُ يستهزؤون يستهزؤون بالألف وهو القياس ، والأول أكثر في الكتب"⁴

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 358

² - السابق ، 3 / 280

³ - نفسه ، 2 / 353

⁴ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 135

يقصد أن القياس أن تكتب الهمزة على ما درجت عليه العرب في كتابتها وهو أن تكتب على الألف في كل حال ، غير أن الأمر في المصاحف خلاف ذلك .

خلاصة القياس عند الفراء

تقوم منهجية القياس عند أبي زكريا الفراء على :

1- الأصل في القياس أن يكون على الكثير الجاري على ألسنة العرب وهذا هو الغالب في أقيسته ، وإلا فما معنى قوله : " فقس على هذا " " وابن على هذا " ، ليس له من معنى إلا أنه جارٍ على كلام العرب ، هذا الكلام الذي ليس بالضرورة أن يكون على وجه واحد فقد تكون فيه اللغتان والثلاث أو أكثر ، فمثلا :
يورد قوله تعالى : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ص 41
يقول : " اجتمعت القراء على ضم النون من (نَصْب) وتخفيفها (يريد تسكين الصاد أي تخفيفها) ، وذكروا أن أبا جعفر المدني قرأ (بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) بنصب النون والصاد وكلاهما في التفسير واحد ، وذكروا أنه المرض وما أصابه من العناء فيه . والنُّصْب والنَّصْب بمنزلة الحُزْنِ والحَزْنِ ، والعُدْمِ والعَدَمِ ... فابن على ما رأيت من هاتين اللغتين.¹"

ويؤكد الفراء مقولة " ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم " ، فمثلا :

كلمة " إلياس " وهو اسم عبراني لا ينصرف ، ومع ذلك يقول : " ولو جعلته عربيا من " الأليس " وهو الشجاع ، فتجعله إفعالا مثل الإخراج والإدخال لجرى (أي لانصرف²) .

2- القياس على القليل لا يكون إلا للضرورة ، هذا هو الأصل الذي قال به سيبويه قبل الفراء³ ، فالفراء لا يدعو أصلاً إلى القياس على القليل ، يعتمده أحيانا ، وينبه إلى قلته ، ولكنه لا يدعو إلى القياس عليه دعوته إلى القياس على المطرد.

¹ - نفسه ، 2 / 406

² - نفسه ، 2 / 391

³ - سيبويه ، الكتاب ، 3 / 344 ، 345

بل إنه يكره هذا النوع من القياس لأنه جرى على القليل ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ البقرة 20 يعقب الفراء على قراءة أبي جعفر (يكاد سنا برقه يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ) بضم الياء والباء من (يُذْهِبُ) ، يقول : " فترى - والله أعلم - أنّ الذين ضمُّوا على معنى الألف شبَّهوا دخول الباء وخروجها من هذين الحرفين بقولهم : خُذْ بِالْخَطَامِ ، وَخُذِ الْخِطَامَ ، وتعلّقت بزيد ، وتعلّقتُ زيدا ، فهو كثير في الكلام والشعر ، ولست أستحبّ ذلك لقلته ¹ ."

3- القياس على الشاذ مرفوض :

لا يخفي الفراء رفضه القياس على ما شدّ من كلام العرب ، من ذلك قوله : " إنّ من العرب - وهم قليل - من يقول في المتكبر متكبّر ، كأنهم بنوه على " يَتَكَبَّر " وهو من لغة الأنصار ... وليس مما يبنى عليه ² ."

3 - القياس النحوي بين الأخفش والفراء

لعله من المفيد - قبل أن نورد أوجه الاتفاق والخلاف في القياس بين الشيخين - أن نقدم لذلك بنصين من كتابيهما في مسألة مشتركة ، وهي تحليل كلمة " معاش " الواردة في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ الأعراف 10

نص الأخفش :

" فالياء غير مهموزة ، قد همزها بعض القراء ³ ، وهو رديء ، لأنها ليست بزائدة ، وإنما يهزم ما كان على مثال " مفاعل " إذا جاءت الياء زائدة في الواحد ، والألف والواو

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 19

² - نفسه 2 / 153

³ - وهي قراءة الأعرج وزيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر في رواية . ينظر :

البحر المحيط ، 4 / 271

التي تكون الهمزة مكانها ، نحو " مدائن " لأنها " فعائل " ، ومن جعل " المداين " من دان يدين لم يهمز ، لأن الياء حينئذٍ من الأصل . وأما قطائع ورسائل وعجائز وكبائر ، فإنّ هذا كلّهم مهموز ، لأن " واو " عجز زائدة ، ألا ترى أنك تقول : عَجَزَ ، و" ألف " رسالة زائدة ، تقول : أرسلتُ ، فتذهب الألف منها ، وتقول في " كبير " كبرت ، فتذهب الياء منها . وأما " مصائب " ¹ فكان أصلها " مصاوب " لأن الياء إذا كانت أصلها الواو ، فجاءت في موضع لا بدّ من أن تحرك ، ثبتت الواو في ذلك الموضع إذا كان الأصل من الواو ، فلما قلبت صارت كأنها قد أُفسدتُ حتى صارت كأنها الياء الزائدة ، فلذلك هُمزت ، ولم يكن القياس أن تهمز ، وناس من العرب يقولون " المصاوب " وهي قياس ² .

تضمن النص جملة من الأحكام نوردها في الآتي :

- حكم الأخفش بالرداءة على قراءة " معائش " (بالهمز) والسبب لأنها خرجت عما درج عليه العرب في كلامهم .
- الياء في " مدائن " زائدة لذلك وجب الهمز ، فالأصل هو " مدَن " ، وأما إذا كان الأصل " دان ، يدين " فهي أصلية ، فلا وجوب إذا للهمز ³ .
- الحكم نفسه ينطبق على : " قطائع ورسائل وعجائز وكبائر " المد في كلّ منها زائد في المفرد ولذلك همزت .
- أما " مصائب " فأصلها " مصاوب " قلبت فيها الواو إلى ياء ، فصارت هذه الياء في نظر الأخفش كأنها زائدة ، لذلك همزت ، والقياس أن لا تهمز لأنها في الحقيقة أصلية وليست زائدة ⁴ ، وناس من العرب يقولون " مصاوب " وهذا يوافق القياس .

نص الفرء :

" لا تهمز (يقصد " معائش ") لأنها - يعني الواحدة - مفعلة ، الياء من الفعل ،

¹ " وأما مصائب " (بالياء) ينظر : معاني الأخفش ، تحقيق : هدى قراعة ، ص 320

² - الأخفش ، معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، 293 ، 294

³ - " من جعله " فعيلة " من قولك : مدَنَ بالمكان أي أقام به همزه ، ومن جعله " مفعلة " من قولك : دِينَ أي ملك

لم يهمله كما لم يهمز " معائش " . ينظر : اللسان 13 / 402

⁴ - يفهم من هذا أن مفرد المصاوب " مُصَوِّبَة " ثم حدث الإعلال فصارت " مُصَيِّبَة "

فلذلك لم تهمز ، إنما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة ، مثل " مدينة ومدائن ، وقبيلة وقبائل .

لما كانت الياء لا يعرف لها أصل ثم قارفتها ألف مجهولة أيضا همزت ، ومثل معايش من الواو مما لا يهمز لو جمعت " معونة " قلت معاون أو منارة قلت مناوور ، وذلك أن الواو ترجع إلى أصلها ، لكون الألف قبلها . وربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف ، كما جعلوا مسيل الماء أمسلة ، شبه بفعيل وهو مفعل ، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبعت بفعيلة لكثرتها في الكلام¹ .

تضمن نص الفراء جملة من الأحكام ، أبرزها :

- " معايش " لا تهمز لأنها في المفرد أصلية ، إذ الياء من الفعل (عاش ، يعيش ، عيشا) .
- الياء في " مدينة ، مدائن " و " قبيلة ، قبائل " زائدة في المفرد لذلك همزت في الجمع .
- مثل " معايش " مما لا يهمز " معاون " ومفردها " معونة " إذ الواو أصلية .
- العرب يهمزون " معاون " يتوهمون أنها " فعيلة " والصواب أنها " مفعلة " ، تماما كما فعلوا مع " مصائب " ومفردها ليس " فعيلة " وإنما " مفعلة " أيضا .

القياس بين الأخفش والفراء من خلال النصين :

عندما نعود إلى النصين السابقين ، وإلى ما ذكرناه بخصوص القياس عند الشيخين ، ونقارن بين القياس عند هذا والقياس عند ذلك ، نخلص إلى الآتي :

- 1- تعدد نظرتهم إلى القياس قبولا ورفضاً ، واستحساناً واستهجاناً ، لذلك وجدنا عند كل منهما : القياس الصحيح والقياس الفاسد أو المرفوض والوجه الأقيس ... وهي أوصاف بينهما مشتركة ، مما يدل على أنهما يستخدمان آلية واحدة ، ويفهمانها فهما متطابقاً إلى حد كبير ، فلا غرابة إذاً في أن نجد بينهما اتفاقاً في العديد من الآراء .

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 374

- 2- الأصل في القياس عندهما أن يقاس على الكثير المطرد ، وما استدلالهم بالكلام الشائع عند العرب أو الكلام المتفق على فصاحته إلا دليل على ذلك¹ ، وهو المبرر الذي نضعه بين يدي أبي الحسن الأخفش عندما وصف بالرداءة قراءة نافع وآخرين في النص السابق .
- 3- إن اتفاقهما على أن القياس في الأصل يقع على الكثير المطرد لا يعني ترك القليل أو إهماله ، إنما يحفظ القليل ويقاس عليه عند الضرورة ، ويفهم من كلامهما عندما يقيسان على القليل أنهما لا يحضان على اعتماده أصلا ، إنما الحاجة هي التي ألجأتها إليهما .
- 4- رفضهما القياس على الشاذ ، وقد صرحا بذلك في أكثر من موضع ، بل وكشفا عن السر وراء قياس العرب على الشاذ أحيانا وهذا يكون بدافع الوهم كما رأينا في النصين السابقين ، أو بسبب الغلط تماما كما أشرنا إلى ذلك في مبحث " كلام العرب ومنهج السماع عندهما " من هذا الفصل .

¹ - ينظر مبحث " كلام العرب ومنهج السماع عندهما " من هذا الفصل . ص 151

المبحث الثالث : العلل والعوامل عندهما

أولاً : التعليل النحوي :

ارتبط النحو العربي منذ نشأته بالتعليل ، وشهادة ابن سلام للحضرمي مشهورة عندما قال : " إنَّ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أول من بعج النحو ومدَّ القياس والعلل . " ونحن هنا لسنا بصدد البحث في العلة النحوية كما وردت مسهبة في مطولات المتأخرين من الأصوليين ، لأن ذلك إنما جاء بعد القرن الرابع للهجرة وهذا لا يضمه مجال بحثنا ، لكن لا بد من الإشارة إلى طبيعة التعليل عند المتقدمين من النحاة ، خصوصاً ما ورد في كتاب سيبويه وهو أقدم كتاب في النحو بين أيدينا . فكتاب سيبويه كتاب في النحو وليس في العلة النحوية ، ولكن عرض قواعد النحو يفضي بالضرورة إلى ذكر العلل ، لذلك كثرت العلل في الكتاب كثرة القواعد النحوية ، وتميز عرض هذه العلل بالآتي :

1- ارتبطت هذه العلل بقواعد النحو ولم تتفصل عنها ، وهذا يدلّ على أنها لم تكن غاية في حدّ ذاتها بل كانت وسيلة إلى الإقناع أو الاستيعاب ، وهذه أداة علمية صرفة ، فكل كلام معلل مآله الفهم والقبول .

2- يظهر أن ورود هذه العلل كان بشكل عفوي حتى يكاد القارئ يتوهم أن ليس في الأمر علة ، بحيث لا يصرح سيبويه بذلك قائلاً : " والعلّة هي كذا وكذا " فتردّ تعليلاته على الشكل الذي يوضحه النص الآتي :

يقول سيبويه في كتابه : "...وإن شئت قلت : زيدياً ضربتُه ، وإنما نصبُه على إضمار فعلٍ هذا يفسره ، كأنك قلت : ضربتُ زيدياً ضربتُه ، إلا أنهم لا يظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره ..."¹
فالعلة هنا هي علة " استغناء " .

3- تقوم تعليلات سيبويه على مراعاة ذوق العرب في طلب الخفة والنفور من الثقل أو القبح ، يوردها في شكل آراء شخصية بحيث يمكن أن تقبل ويمكن أن

¹ - سيبويه ، الكتاب ، 1 / 81

ترفض ، فهو لا يكلف نفسه دعمها بأدلة وبراهين عقلية إلا ما كان من كلام العرب¹ هذه أهم ميزات التعليل عند سيبويه ، نلمسها في كتابه وفي كتب الذين تأثروا به ، غير أن السؤال المطروح ههنا هو :

هل هذه التعليقات التي وردت في كتاب سيبويه صحيحة عن العرب ؟ فهم حقا استنقلوا واستغنوا وكرهوا ... ؟

إنّ هذا السؤال هو نفسه الذي طرح على الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ سيبويه ، فكانت الإجابة في منتهى الموضوعية ، وعلى الرغم من شهرتها إلا أنني أوردتها كاملة لنفاستها.

سئل الخليل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ، فقال : " إنّ العرب نطقت على سجيبتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس ، وإن تكن هناك علة له ، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق ، والبراهين الواضحة ، والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها ، قال إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ولسبب كذا وكذا ، سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا أنّ ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك ، فإن سنح لغيري علة لما علته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها .² "

نستنتج من مقولة الخليل ما يأتي :

- تعليقات الخليل كانت من داخل النص وليست من خارجه .

¹ - مازن المبارك ، النحو العربي ، العلة النحوية (نشأتها ، تطورها) ، المكتبة الحديثة ، ط 1 ، دمشق ،

1365هـ / 1965 م ، ص 63

² - الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1378 /

1959 ، ص 65 ، 66

- تعليله اجتهاد شخصي لا غير، يحتتمل الصواب ويحتتمل الخطأ .
 - التعليقات عند الخليل ليست موجبة ، وهذا ما أشار إليه الزجاجي بقوله :
" ... إنّ علل النحو ليست موجبة ، وإنما هي مستتبطة أوضاعاً ومقاييس، ليست كالعلة الموجبة للأشياء المعلولة بها ، ليس هذا من تلك الطريق ."¹
- إنّ هذه الصبغة التي اكتسها التعليل عند الخليل ثم عند سيبويه من بعده هي التي ألفت بظلالها على ما كتبه الأخفش والفراء في " معاني القرآن " وسنلمس تشابهاً وتطابقاً أحياناً في تعليقاتهما مما يدل على أن المستقى واحدٌ ، وعلى أن الأثر الفلسفي لم يكن بالحدّة التي صار إليها في العهود المتأخرة للنحو بعدهما ، ثم إنّ النحاة الذين جاؤوا بعد الأخفش والفراء حاولوا حصر علل النحو في أنواع ثابتة ، لعل أشهرها ما ذهب إليه الزجاجي من تقسيم العلة إلى تعليمية وقياسية وجدلية² ، فالأولى بسيطة والثانية مركبة والثالثة ألصق بالفلسفة والجدل ، هذا التقسيم هو الذي أحرز على الكثير من اهتمام الباحثين والدارسين على مر العصور ، فصنّفوا العلة على أساسه ، وحاكموها على ضوءه .

¹ - المصدر السابق ، ص 64

² - نفسه 65

3- علة الفرق :

من بين مواضع هذه العلة ، الألف التي مع " أل " التعريف ، فإنّ هذه الألف تحذف عند الوصل إلاّ إذا لحقتها همزة الاستفهام ، فإنها لا تحذف ، وإنما تمدّ معها ، يقول أبو الحسن : " وإنما مدّت في الاستفهام ليفرق بين الاستفهام والخبر ، ألا ترى أنك لو قلت وأنت تستفهم : " الرجل قال كذا وكذا " فلم تمددها صارت مثل قولك :

" الرجل قال كذا وكذا " إذا أخبرت ¹.

وللتوضيح أكثر نذكر ما أورده المبرد في قوله :

" فإذا لحقت ألف الاستفهام ألف الوصل التي مع اللام لم تحذف ، لأنها مفتوحة ، ولو حذفتم لم يكن بين الاستفهام والخبر فصل ، ولكنها تجعل مدّة فتقول : " الرجل قال ذلك ؟ ... والعلة الفرق بين الخبر والاستخبار. ²"

4- علة الاستغناء :

ترد هذه العلة في الموضع الذي يحذف فيه بعض الكلام استغناءً عنه لأنّ السياق يدلّ عليه ، يورد أبو الحسن أمثلة ، منها :

"...فإن قيل: فأين جواب ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ البقرة 89 قلت جوابه في القرآن كثير، استغني عنه في هذا الموضع إذ عرف معناه ، كذلك جميع الكلام إذا طال تجيء فيه أشياء ليست لها أجوبة في ذلك الموضع ويكون المعنى مستغنى به. ³"

5- علة الكراهة :

يراهما أبو الحسن في سبب قلب تاء افتعل دالاً في الفعل " ذكر " ، ذلك أن العرب كرهت أن يذهب الجهر من الذال إن هو أدغم في التاء ، فقلبت التاء إلى دال ، يقول في سياق قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يوسف 45

" إنما هي افتعل من " ذكرت " ، فأصلها " اذتكر " ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ومخرجاها متقاربان وأرادوا أن يدغموا ، فالأول حرف مجهور ، وإنما يدخل الأول

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1/ 7 ، 13 ، 123 و2/ 408

² - المبرد ، المقتضب ، تحقيق : عبد الخالق عزيمة ، 1 / 223

³ - الأخفش ، المعاني ، 1/ 136 ، وكذلك 1/ 142 ، 2/ 339 ، 467

في الآخر ، والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الجهر ، فجعلوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهورا وهو الدال ، لأن الحرف الذي قبلها مجهور ، ولم يجعلوا الطاء ، لأن الطاء مع الجهر مطبقة .¹

كذلك من الكراهة اجتماع الهمزتين في الفعل " إِيْتِنَا " ، في قوله تعالى :

﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ﴾ الأنعام 71 ، يقول عنها :

" فَإِنَّ الْأَلْفَ الَّتِي فِي (ائْتِنَا) أَلْفٌ وَصَلٌ ، وَلَكِنْ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، هِيَ الَّتِي فِي (أَتَى) ، وَهِيَ الْيَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِكَ : " إِيْتِنَا " وَلَكِنهَا لَمْ تَهْمَزْ حِينَ ظَهَرَتْ أَلْفُ الْوَصْلِ ، لِأَنَّ أَلْفَ الْوَصْلِ مَهْمُوزَةٌ إِذَا اسْتَوْنَفَتْ ، فَكْرَهُوا اجْتِمَاعَ الْهَمْزَتَيْنِ ."²

6- علة التخفيف :

والتخفيف عكس الثقل ، وهو ما يطلبه العربي في نطقه دائما .

يحلل أبو الحسن قول بعض العرب " عَصِيَّ " و " هُدَيَّ " بدلا من عَصَايَ وَهُدَايَ ،

فيقولون : " عَصِيَّ يَا فَتَى " ، ويقرأون قوله تعالى هكذا : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدْيَ ﴾³

يقول : " لما كان قبلها (أي الياء) حرف ساكن ، وكان ألفا ، قلبته إلى الياء حتى تدغمه في الحرف الذي بعده فيجرونها مجرى واحدا وهو أخف عليهم ."⁴

7- علة أمن اللبس :

يرى الأخفش أن كل ما كان الأصل إضماره لا يجوز إظهاره حتى لا يقع اللبس ، يقول :

" أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : " لَا تَأْتِهِ فَيَضْرِبُكَ " لَمْ يَجْزْ أَنْ تَقُولَ : " لَا تَأْتِهِ فَأَنْ يَضْرِبُكَ " ،

لأن الكلام إنما وضع على أن يضمر ، فإذا ظهر كان ذلك على غير ما وضع في اللفظ فيدخله اللبس ."⁵

8- علة الإجراء على المعنى :

قد يكون المعنى دليلا على صحة الإعراب وإن كان ظاهر اللفظ يقتضي خلاف ذلك ،

¹ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 366

² - نفسه ، 2 / 277

³ - أصل الآية : (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 38 ، وتفصيل قراءتها في هامش

ص126 من هذا البحث

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 69 ، ينظر في العلة نفسها : 2 / 379 ، 2 / 526

⁵ - نفسه ، 1 / 66

هذا ما برّر به الأخفش جواز إبدال المعرفة من النكرة إذا كانت النكرة في معنى المعرفة كما جاء في قوله تعالى :

﴿ فَأَخْرَانَ يَوْمَانَ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ﴾ المائدة 107

فـ " الأوليان " عند أبي الحسن بدل من " آخران " ، وقد أبدلت المعرفة من النكرة لأن النكرة وهي (آخران) صارت في حكم المعرفة من حيث المعنى ، يقول :
 " لأنه حين قال : " يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم " ، كأنه قد حدّهما (أي عرفهما ، يقصد " آخران ") حتى صارا كالمعرفة في المعنى ، فقال " الأوليان " فأجرى المعرفة عليهما بدلا ، ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير.¹
 9- علة الوصل :

ويقع هذا في الألف التي زيدت لا لشيء إلا لوصل الكلام ، فالألف في كلمة " امرأ " كما جاء في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾ مريم 28
 يقول عنها أبو الحسن : " ... وإنما زيدت (يقصد هذه الألف) لسكون الحرف الذي بعدها لما أرادوا استئنافه لم يصلوا إلى الابتداء بساكن فأحدثوا هذه الألف ليصلوا إلى الكلام بها .²

10 - علة التشبيه :

وهي العلة التي فسّر بها الأخفش قول ناس من العرب " الشياطين " (بدلا من الشياطين) ، لأنهم شبهوا هذه الياء التي كانت في " شياطين " إذا كانت بعدها نون وكانت في جمع وقبلها كسرة ، بياء الإعراب التي في الجمع ، فلما صاروا إلى الرفع أدخلوا الواو.³

¹ - السابق ، 1 / 266

² - نفسه 3/1 ، 4

³ - نفسه ، 1/14 ، 15 ، ومن العلة نفسها ينظر أيضا : 2/442

2 - التعليل النحوي عند الفراء

إن أشهر أقسام العلة ذلك الذي جاء به أبو القاسم الزجاجي - وقد أشرنا إليه قبل - عندما قسم العلل إلى ثلاث : تعليمية وقياسية وجدلية نظرية ، فالأولى بسيطة والثانية مركبة والثالثة أوغل في التركيب والتعقيد .

ولو أسقطنا هذه الأقسام الثلاثة على علل الفراء في كتابه المعاني - والفراء سابق وليس لاحقا للزجاجي - لوجدناها علاا بسيطة ، وليس منها المركب إلا القليل أو النادر ، على الرغم من أنه شاع عن الفراء تفلسفه في ما صنّف ، وهذا الذي دفع ببعض الدارسين إلى أن ينعته علل الفراء بأنها لا تخلو من الطابع الفلسفي وإن كان في بعض الأحيان يميل إلى السهولة والوضوح¹.

من العلل القياسية أو المركبة القليلة في معاني الفراء :

تأمله قوله تعالى : ﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ الزخرف 13

يقول أبو زكريا : " يقول القائل ، كيف قال : " على ظهوره " فأضاف الظهور إلى واحد ، يقال له : إن ذلك الواحد في معنى جمع ، بمنزلة الجند والجيش والجميع ، فإن قال : فهلاً قلت : لتستوا على ظهره ، فجعلت الظهر واحداً إذا أضفته إلى واحد ، قلت : إن الواحد فيه معنى الجمع فرددت الظهور إلى المعنى ولم تقل ظهره فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد²."

لماذا يصنّف هذا التعليل في النوع القياسي المركب ذي الطابع الفلسفي ؟

لو تأملنا تعليل الفراء لوجدناه كذلك ، للأسباب الآتية :

- الطبيعة الحوارية للتعليل ، وهذا ما لا نجده في العلل التعليمية .
- لم يُكتفَ بالإجابة الأولى بل تولد عنها سؤال ، حتى قيل إنَّ الأسئلة عند الفيلسوف أهم من الإجابة .
- إن النتيجة التي خلص إليها الحوار تعدّ تبريرا وليس تعليلا ، فلو كانت تعليلا

¹ - مازن المبارك ، العلة النحوية ، ص 66

² - الفراء ، المعاني ، 3 / 28

لكان بالإمكان أن يكتفى بالقول بأن هذا من ميزات الأسلوب القرآني أو كذلك تكلم العرب .

وهذا مثال ثانٍ نلمس فيه نفس الظواهر التي وجدناها في الأول ، وفيه يعلل نصب " مثل " في قراءة أهل الحجاز والحسن لقوله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ الذاريات 23

يقول : " وإنّ العرب لنتصبها (يقصد " مثل ") إذا رفع بها الاسم ، فيقولون : مثل من عبد الله ؟ ، ويقولون : عبد الله مثلك ، وأنت مثله . وعلّة النصب فيها أن الكاف قد تكون داخلة عليها ، فتتصب إذا ألقيت الكاف ، فإن قال قائل : أفيجوز أن تقول : زيدُ الأسدَ شِدَّةً ، فتتصب الأسدُ إذا ألقيت الكاف ؟ قلت : لا ، وذلك أنّ " مثل " تؤدّي عن الكاف ، والأسدُ لا يؤدّي عنها ¹ .

هذا عن العلل القياسية وهي قليلة ، أما العلل التعليمية البسيطة وهي الغالبة ، فقد سلك فيها الفراء مسلك السابقين والمعاصرين له من النحاة ، إذ كانوا يتأملون كلام العرب ثم يعللون تلك الظواهر اللغوية بحسب ما يظهر لهم بتحكيم الذوق السليم والفترة الصافية . ولذلك سنلمس تشابهاً في أسماء هذه العلل بين هؤلاء ، فهو يعلل بالثقل والاستغناء والكراهة وكثرة الاستعمال ... وهذه طائفة من علل الفراء في معانيه :

1- علة كثرة الاستعمال :

قدم الفراء النظرة الكوفية لفعل الأمر على أن الأصل فيه : فعل مضارع مسبوق بلام الأمر ، فحذفت اللام مع حرف المضارعة بسبب كثرة الاستعمال ، يقول : " إلاّ أنّ العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه (فعل الأمر للمخاطب) لكثرة الأمر خاصة في كلامهم فحذفوا اللام كما حذفوا التاء من الفعل ² .

ومن هذه العلة ما جاء في قوله تعالى :

﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي ﴾ الأعراف 150

¹ - الفراء ، المعاني ، 3 / 85

² - نفسه ، 1 / 469

يعلل الفراء حذف الياء من " أم " ، فيقول : " يُقْرَأ (ابنُ أمِّ ، وأمُّ) بالنصب والخفض وذلك أنه كثر في الكلام ، فحذفت العرب منه الياء ، ولا يكادون يحذفون الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادي إلى نفسه ، إلا قولهم : يا ابن عمِّ ، ويا ابن أمِّ ، وذلك أنه يكثر استعمالهما في كلامهم ، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء ، فقالوا : يا ابن أبي ويا ابن أخي ويا ابن خالتي فأثبتوا الياء ¹ ."

2- علة الاستتقال :

من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ البقرة 92
علل الفراء لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه (اتَّخْتُم) يقول : " فأدغمت الذال عند التاء ، وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج ، والتاء والذال مخرجهما ثقيل ، فأنزل الإدغام بهما لتقلهما ، ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان ، وكذلك الظاء تشاركهن في النقل ، فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم ، وليس تركك الإدغام بخطأ ، إنما هو استتقال ² .
والتعليل نفسه يقدمه أبو زكريا لمن قرأ " الحمد لله " ³ بكسر الدال ، يقول :

" هذه كلمة (يقصد الحمد لله) كثرت على السنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فنقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الإسم الواحد مثل إيل ، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم ⁴ ."

3- علة الكراهة :

يعلل الفراء عملية الإبدال التي حدثت في الفعل " ادَّخِر " الذي أصله " إندخِر " ، يقول :
" فأما الذين يقولون : يدَّخِر ويدَّكِر ومدَّكِر ، فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالا ، فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرف الافتعال من

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 394 ، وفي العلة نفسها ينظر : 1 / 201 ، و 2 / 9 ، 16

² - نفسه ، 1 / 172

³ - وهي قراءة رويت عن الحسن بن أبي الحسن وزيد بن علي ، ينظر :

القرطبي ، 1 / 145 و البحر المحيط ، 1 / 131

⁴ - الفراء ، المعاني ، 1 / 3 ، وفي العلة نفسها ينظر : 2 / 12 ، 130 ، 330

ذلك ، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما في المقاربة فجعلوه مكان التاء ومكان الذال¹. (والحرف - طبعا - هو الدال).

من أمثلة هذه العلة ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة 40

يذكر الفراء أن العرب تفضل فتح الياء في " نِعْمَتِي"² ، وتكره إرسالها أي سكونها ، حتى لا يجتمع سكون الياء مع سكون اللام التي بعدها ، فيذهب بالياء . يقول :

" ... وأما نصب الياء من " نِعْمَتِي " فإن كل ياء كانت من المتكلم ففيها لغتان :

الإرسال والسكون ، والفتح ، فإذا لقيتها ألف ولام اختارت العرب اللغة التي حركت فيها الياء وكرهوا الأخرى لأن اللام ساكنة تسقط الياء عندها لسكونها³.

4- علة التوهم :

يقرر الفراء أن الحرفين " إِمَّا " و " أَوْ " لا يُستعمل أحدهما في الموضع الذي يصلح له الآخر⁴ ، فيقول : " ولا تدخلنَّ " أو " على " إِمَّا " ولا " إِمَّا " على " أَوْ " ، وربما فعلت العرب ذلك لتأخيهما في المعنى على التوهم ، فيقولون : عبد الله إِمَّا جالس أو ناهض ،

ويقولون : عبد الله يقوم وإِمَّا يقعد .⁵

ومن أمثلة التوهم أيضا همز ألف الوصل من (اللهم) عند حذف ميمها ، يقول بعض العرب " يا الله " ، يعلق أبو زكريا على هذا فيقول : " ومن العرب من يقول إذا طرح الميم (يقصد في " اللهم ") : " يا الله اغفر لي " و " يا الله اغفر لي " ، فيهمزون ألفها

1 - نفسه 1 / 215

2 - يجوز في الياء من " نعمتي " الإسكان والفتح ، والقراء السبعة متفقون على الفتح ، ينظر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 1 / 329

3 - الفراء ، المعاني ، 1 / 29 ، وفي العلة نفسها ينظر أيضا : 1 / 297 ، 2 / 103

4 - إذا ذكرت " إِمَّا " لا بد من تكرارها ، والأولى منهما تفصيلية ، والثانية عاطفة ، ينظر :

المبرد ، المقتضب ، 3 / 28 . و ابن هشام ، المغني ، 65

5 - الفراء ، المعاني ، 1 / 389 ، 390

و يحذفونها ، فمن حذفها فهو على السبيل ، لأنها ألف و لام مثل الحارث من الأسماء ، ومن همزها توهم أنها من الحرف إذ كانت لا تسقط منه .¹

5- علة التشبيه :

يرى الفرء أن من بين أسباب الخروج عن القياس والكلام المطرد أن يحمل العرب بعض الكلام على آخر وهو لا يشبهه ، ويضرب لذلك أمثلة ، يقول :

" ويقال للمُنْخَرِ مُنْخُورٌ ، وهم طِيءٌ ، والذين ضموا أوله وعينه شبهوا الميم بما هو من الأصل كأنه فَعْلُولٌ ، وكذلك الذين كسروا الميم والعين شبهوه بِفَعْلِيلٍ وَفِعْلَلٍ .²"

وليس كل تشبيه يخرج عن القياس بل فيه ما يثبت الاطراد ويدعمه ، يقول عن حرفي العطف " الواو " و " لكن " بأنهما لا يجتمعان ، وإن اجتمعا فإنّ " لكن " تصبح " لكنّ " (ليست عاطفة) ، يقول : " فإذا ألقيت من " لكنّ " الواو التي في أولها آثرت العرب تخفيف نونها ، وإذا أدخلوا الواو آثروا تشديدها ، وإنما فعلوا ذلك لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام ، فشبهت بـ " بل " إذ كانت رجوعا مثلها ، ألا ترى أنك تقول : لم يقم أخوك بل أبوك ، ثم تقول : لم يقم أخوك لكن أبوك ، فتراهما بمعنى واحد .³

6- علة الاكتفاء :

الاكتفاء عند الفرء علة يعلل بها الحذف في كلام العرب ، فمثلا يقول :

" والعرب تكتفي بما ظهر في أول الكلام مما ينبغي أن يظهر بعد " شئت " ، فيقولون : " خذ ما شئت ، وكن فيما شئت ، ومعناه : فيما شئت أن تكون فيه ، فيحذف الفعل بعدها ... قال تعالى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ الانفطار 8

والمعنى - والله أعلم - في أي صورة شاء أن يُرَكَّبَكَ رَكَّبَكَ .⁴ "

ومن الاكتفاء أيضا حذف جواب " لولا " في قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ النور 10

¹ - نفسه ، 1 / 204 ، وينظر أيضا : 1 / 278 و 2 / 51 ، 93

² - الفرء ، المعاني ، 2 / 152

³ - نفسه ، 1 / 465 ، ينظر أيضا 2 / 74 ، 153 .

⁴ - نفسه 1 / 204

يقول أبو زكريا عن علة الحذف : " لأنه (أي جواب " لولا ") معلوم المعنى ، وكذلك كل ما كان معلوم الجواب فإنّ العرب تكتفي بترك جوابه ، ألا ترى أنّ الرجل يشتم صاحبه فيقول المشتوم : " والله لولا أبوك " ، فيعلم أنه يريد : " لشتمتك ¹ . "

7- علة التغليب :

هذه من العلل الراجحة في كلام العرب ويكون في الغالب بين المذكر والمؤنث ، من ذلك تغليب المذكر في قوله سبحانه حديثا عن مريم عليها السلام :

﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ التحريم 12

وقد أشار الفراء إلى هذه العلة عند تناوله قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة: 234

قال : " قال " وعشرا " ولم يقل " عشرة " ، وذلك أن العرب إذا أبهت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حتى إنهم ليقولون قد صمنا عشرا من شهر رمضان لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام ، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره (أي تمييزه) كانت الإناث بطرح الهاء والذكران بالهاء كما قال تعالى :

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ الحاقة 6 ²

8- علة القبح :

من ذلك تذكير الفعل الذي تضمن ضميرا يعود على اسم مؤنث قبله ، يقول الفراء : " وإنما قبح لأن الفعل إذا أتى بعد الاسم كان فيه مكني من الاسم (أي ضمير) فاستقبحوا أن يضمروا مذكرا قبله مؤنث ³ . "

9- علة الفرق :

يعلل الفراء سبب إلحاق نون التوكيد بفعل الشرط بعد " إمّا " وذلك للتفريق بينها وبين إمّا " التي للتخيير . يقول : " ... ذلك أنهم وجدوا لـ " إمّا " وهي جزء شبيهة بـ " إمّا " من التخيير فأحدثوا النون (أي المتصلة بفعل الجزاء) ليعلم بها تفرقة بينهما ، ثم جعلوا أكثر جوابها بالفاء ، كذلك جاء التنزيل ، قال [تعالى] :

¹ - نفسه ، 2 / 247 ، ينظر أيضا : 1 / 224 ، 459

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 151 . وفي المسألة تفصيل من جانب آخر تناولناه في الفصل الأول ، ص 36

³ - نفسه ، 1 / 128 ، ينظر أيضا ، 1 / 97

﴿ فَأَمَّا تَتَقَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ ﴾ الأنفال 57 .¹

10 - علة الاستغناء :

هذه العلة تكاد تكون هي نفسها علة الاكتفاء ، لأن كليهما تعليل للحذف في كلام العرب غير أن الحذف يكون في الاكتفاء واجبا في الغالب ، أما في الاستغناء فجائز بوجه عام، من أمثلة الاستغناء ، ما جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ البقرة 19

يقول : " ... أو كمثل صيِّب ، فاستغنى بذكر " الذي استوقد ناراً " فطرح ما كان يمكن أن يكون مع الصيِّب من الأسماء ودلَّ عليه المعنى ."²

يقصد أن المحذوف هنا هو " كمثل " دلَّ عليها المعنى في السياق ، وقد أشير إلى ذلك قبل في الآية : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... ﴾ البقرة 17

تلك هي أبرز العلل في كتاب " معاني القرآن " للفراء ، وقبل التعليق عليها أشير إلى أن أبا زكريا قد يعلل بالعلتين مجتمعتين في مقام واحد ، من ذلك :
تعليله بالاستئصال والاكتفاء حذف الياء من مثل " اتَّبَعَنِي " ، جاء ذلك في قوله تعالى :

﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ آل عمران 20

ومثلها قوله سبحانه : ﴿ فَإِنِّي أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة 186
والآيات في ذلك كثيرة . يقول : " للعرب في الياءات التي في أواخر الحروف مثل اتَّبَعَنِ ، وأكرمِنِ ، وأهانِنِ ... أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة ، فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها ، وذلك أنها كالصلة (أي زائدة) إذا سكنت وهي في آخر الحروف واستئقلت فحذفت ."³

أما التعليق على العلل سالفة الذكر فأورده في الملاحظات الآتية :

- كل العلل العشر السابقة كانت من النوع التعليمي البسيط .
- أسماء هذه العلل ليس بينها تداخل أو اضطراب بل تكاد تكون مصطلحات ثابتة .

¹ - نفسه ، 1 / 414 ، وقد لا يفيد " الفرق " عند الفراء معنى التفرقة ، وإنما يفيد الفصل ، ينظر 1 / 231

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 17 ، ينظر أيضا 2 / 63

³ - نفسه ، 1 / 201

- هذه التعليقات مقنعة إلى حدّ كبير ، خاصة منها ما اتصل بالظواهر الصوتية ، يضاف إلى ذلك أن الفراء لا يكتفي بالتعليل وإنما يورد أمثلة من القرآن وكلام العرب ، يثبت بهما صحة ما ذهب إليه وقد رأينا هذا في كثير منها .
- الفراء في علله هذه كأن لم يكن معتزليا مولعا بالمناظرة والجدل ، فليس في علله ما يعرف بالقياسي أو الجدلي إلا نادرا ، أما الصبغة الفلسفية فبعيدة عن علله كل البعد

ثانيا : العوامل النحوية عندهما

إن الحديث عن العلة يبقى ناقصا إذا لم يعقبه الحديث عن العامل ، فإنّ بينهما من التداخل ما يجعل الفصل بينهما أمرا ليس بالهين .

فالحضرمي في قصته الشهيرة مع الفرزدق عندما سأله : بِمَ رَفَعْتَ " مُجَلَّفٌ " ؟

معنى سؤاله : ما علّة الرفع ، أو ما عامل الرفع ؟

ومن الدارسين المحدثين من قسّم العوامل إلى ثلاثة :

عامل فلسفي وعامل توقيفي وعامل لغوي ، وهي في كثير من جوانبها - بناءً على الأمثلة التي أوردتها - تعليقات وليست عوامل¹ .

ويظهر أن الخلاص في الخروج من هذا اللبس هو عندما نربط العامل بالحركة الإعرابية والتعليل بما سوى ذلك .

فقد قيل في تعريف العامل هو : " ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب "2

1 - مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، 325 وما بعدها

2 - محمد علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق : علي دحروج ورفيق العجم ، مكتبة لبنان ،

ط1 ، بيروت ، 1996 ، 2 / 1160

بل إن النحاة عندما تحدّثوا عن الإعراب وهو ظاهرة متأصلة في العربية ، ربطوا في الغالب هذه الظاهرة بالعامل ، فعرفوا الإعراب بأنه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً وتقديراً¹.

أما التعليل فيكون في ما سوى الإعراب كالظواهر اللغوية الصوتية أو ظواهر الحذف وغيرها ، وقد أثبتنا أمثلة من ذلك عند الأخفش والفراء في كتابيهما " معاني القرآن " ، ومع وجود هذا الفرق بين العامل والعلّة إلا أن ذلك لا ينفي أبداً أن يكونا شيئاً واحداً أحياناً.

انكبّ إذاً النحاة الأوائل على اللغة العربية يستقرئون ويدرسون فاستقر في أذهانهم أنّ الإعراب ظاهرة متأصلة فيها ، ولهذه الظاهرة علاقة وثيقة بنظام الجملة من ناحية ، وبالمعنى من ناحية أخرى ، فحاولوا أن يكشفوا عن هذه العلاقة ويضعوا لها المصطلح المناسب ، وطبيعي أنه ليس بمقدورهم أن يخرجوا عن إطار العصر ومناهجه الفكرية وأساليبه في طرائق المعرفة فاستعاروا من علم التوحيد مصطلحهم النحوي ، فجاءوا بفكرة العامل مصطلحاً ودلالة².

والعوامل عند النحاة - في الأصل - ليست مؤثرات مادية تفعل فعلها الحسي في الجملة العربية بقدر ما هي قرائن لفظية ارتبط بها الرفع والنصب والجر ، هذا هو المفهوم الشائع عند الأوائل من علماء العربية طبقات الخليل وسيبويه والكسائي والأخفش والفراء ، بل إن من تأخر عنهم كابن جني يصرح بهذه الحقيقة قائلاً :

" ولأجله ما³ كانت العوامل راجعة في الحقيقة إلى أنها معنوية ، ألا تراك إذا قلت : ضَرَبَ سعيدٌ جعفرًا ، فإنَّ " ضَرَبَ " لم تعمل في الحقيقة شيئاً ، وهل تحصل من قولك " ضَرَبَ " إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة " فَعَلَ " ، فهذا هو الصوت ، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل ، وإنما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي ، ليُرْوَك أن بعض العمل يأتي مسبباً من لفظ يصحبه كمررت بزيد ،

¹ - حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت ، 1419هـ / 1999م ، 1 / 80 ، 81

² - محمد خير الطواني ، أصول النحو العربي ، 139

³ - يظهر أن " ما " هنا زائدة ، كما أشار إلى ذلك المحقق ، ينظر : ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد

وليت عمراً قائم ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلّق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم¹.

لكن يظهر أن كلام ابن جني كان تعليلاً وتوضيحاً للعامل عند المتقدمين ، أما المتأخرون فكثيراً ما تنكبوا هذا أصلاً وأوغلوا في التعليقات الفلسفية والتأويلات الغيبية. ولقد كان عمل النحاة مقصوراً في البداية على ملاحظة هذه القرائن ودراستها ، فصنّفوها وبوبوها وميّزوا الأصل فيها من الفرع والقوي من الضعيف ثم اهتموا إلى ظواهر إعرابية لم يجدوها مصحوبة بقرائن لفظية ، ولكنها تعبر عن معاني خاصة ، فهياً لهم هذا أن يقسموا العوامل إلى قسمين كبيرين : العوامل اللفظية والعوامل المعنوية². فكان من العوامل اللفظية : الفعل مطلقاً كيفما كان نوعه وما شابه الفعل من الأسماء إضافة إلى بعض الحروف .

أما العوامل المعنوية فمنها عامل الابتداء وعامل التجرد من الناصب والجازم والتبعية والمفعولية والإسناد ...

والجدير بالذكر أن هذه العوامل - اللفظية منها والمعنوية - لم تكن كلها محل اتفاق بين الكوفيين والبصريين ، بل إن منها ما اختلف فيه على مستوى المدرسة النحوية الواحدة ، وهذا الذي سنكتشفه عندما ننقب في العوامل التي انفرد بها أو اشتهر بها كلٌّ من الأخفش والفراء ، فربما كان أحدهما مخالفاً لمدرسته موافقاً لغيرها .

1 - العوامل النحوية عند الأخفش

هناك عوامل انفرد بها أبو الحسن وأثبتها في كتابه " معاني القرآن " ، من هذه العوامل :

1 - الابتداء عامل في رفع الخبر :

¹ - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، 1 / 109 ، 110 ، وبتحقيق : عبد الحميد هنداوي ، 1 /

² - محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ، 149

من أشهر مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين عامل الرفع في المبتدأ والخبر ، فالكوفيون يرون أن المبتدأ والخبر يترافعان ، أما عموم مذهب البصريين فيرون أن المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر مرفوع بالمبتدأ¹.

غير أن الأخفش يذهب إلى أن الابتداء عامل معنوي يرفع المبتدأ ويرفع الخبر أيضا ، وقد رُدَّ عليه بأن أقوى العوامل وهو الفعل لا يعمل رفعين فكيف بالمعنوي وهو الأضعف ، فهو إذاً أولى بأن لا يرفع معمولين².

نستشف رأي الأخفش من خلال تأمله مطلع سورة الفاتحة ، فبعد تعليقه رفع "الْحَمْدُ" على أنها مرفوعة بالابتداء يقول :

" فإنما رفع المبتدأ ابتداءً وإياه ، والابتداء هو الذي رفع الخبر في قول بعضهم ، كما كانت " إن " تنصب الاسم وترفع الخبر ، فكذلك رَفَعَ الابتداءُ الاسمَ والخبرَ ، وقال بعضهم رَفَعَ

المبتدأ خبره وكلُّ حسن ، والأول أقيس³.

نستخلص من مقولة أبي الحسن ما يأتي :

- ذكر في رفع الخبر رأيين أحدهما أن الابتداء هو الذي رفع الخبر، وثانيهما أن

المبتدأ هو الذي رفع الخبر ، غير أنه لم ينسبهما صراحةً إلى أحد ، وإنما قال :

" في قول بعضهم " و " قال بعضهم " ، لكن العلماء كما أسلفنا ينسبون الأول إليه والثاني إلى الجمهور وسيبويه⁴.

- مما يؤكد تنبيهه للرأي الأول إظهار الميل إليه على أنه ألصق بالقياس من الرأي

الثاني ، ففي رأيه : إذا أجزنا لـ " إن " أن تعمل في المبتدأ وتعمل في الخبر ،

فكيف لا نجيز للابتداء أن يعمل فيهما أيضا .

2 - عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد " إن " الشرطية :

1 - أبو البركات ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 1 / 50

2 - السيوطي ، همع الهوامع ، تحقيق : عبد الحميد هندواي ، 1 / 364

3 - الأخفش ، المعاني ، 1 / 9

4 - السيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 363 ، 364

ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع بعد "إِنْ" الشرطية نحو قولك :

"إِنْ زَيْدٌ أَتَانِي أَتَهُ" فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .

وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والتقدير: "إِنْ أَتَانِي زَيْدٌ" والفعل المظهر تفسير لذلك الفعل المقدر.¹

أما الأخفش فقد وافق الكوفيين في أن الاسم المذكور مرفوع على أنه مبتدأ ، وقد ردّ عليه ابن الأنباري بما ملخصه أن حرف الشرط مختص بالدخول على الأفعال ، فإن وليه اسم كان الاسم معمولاً لفعل محذوف يفسره ما بعده ، ولا يصلح أن يكون هذا الاسم مبتدأ ، لأن الابتداء يعني التعري من العوامل اللفظية الظاهرة أو المقدرة ، وإذا وجب تقدير الفعل استحالة وجود الابتداء الذي يرفع الاسم.²

برز رأي الأخفش واضحاً في المسألة ، عندما تناول قوله تعالى :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ التوبة 6

يقول عن إعراب "أَحَدٌ" : "فابتدأ بعد "إِنْ" ، وأن يكون رفع "أَحَدًا" على فعل مضمّر أقيس الوجهين لأن أحرف المجازاة لا يُبتدأ بعدها ."

يفهم من كلام أبي الحسن أنّ رفع الاسم بعد "إِنْ" يحتمل وجهين :

أحدهما الرفع على الابتداء ، والثاني الرفع على أنه فاعل لفعل مضمّر أي محذوف وهو يرى في الاحتمال الثاني أشدّ تمسكاً بالقياس ثم يورد توضيحاً لذلك ثلاثة شواهد من الشعر تتضمن كلها اسماً مرفوعاً بعد "إِنْ" ، يقول بعد هذه الشواهد :

"... وهذا قد ابتدأ بعد "إِنْ" ، وإن شئت جعلته رفعا بفعل مضمّر³"

إذاً هو يؤكد أن ما بعد "إِنْ" الشرطية يمكن أن يكون مبتدأ ، لكن من الجائز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف .

تلك هي أمثلة عن وجهات نظر الأخفش في بعض العوامل ، انفرد بها أو خالف فيها البصريين أو الكوفيين وصرّح بذلك في كتابه المعاني ، والمطالع لمصادر النحو يقف على عوامل أخرى انفرد بها أبو الحسن ونسبها العلماء إليه .

¹ - أبو البركات بن الأنباري ، الإنصاف ، 2 / 615

² - السابق ، 2 / 620

³ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 327

من هذه العوامل :

- 1- جر المضاف إليه : المشهور عند النحويين أن عامل الجر في المضاف إليه هو المضاف ، وهذا مذهب سيوييه ، فالمضاف عنده ناب عن حرف الجر ، أما الأخفش فيرى أن عامل الجر هو الإضافة المعنوية .¹
- 2- عامل النصب في المفعول معه : ذهب النحاة إلى أن عامل النصب في المفعول معه هو ما سبقه من فعل أو شبهه ، ونصبه الكوفية على الخلاف ، أما الأخفش فقد قال بانتصابه انتصاب الظرف ، ومعناه أن واو المعية هنا حلت محل " مع " ، فلما حذفت " مع " وكانت منتصبة على الظرف ثم أقيمت الواو مقامها انتصب ما بعدها على انتصاب " مع " التي وقعت الواو موقعها ، إذ لا يصح انتصاب الحروف .²

2 - العوامل النحوية عند الفراء

كان للفراء هو الآخر عوامل خالف بها إحدى المدرستين ووافق الأخرى أو انفرد بها فلم يقل بها البصريون ولا الكوفيون . من هذه العوامل :

1 - عامل الرفع في الفعل المضارع :

ذهب البصريون إلى أن عامل الرفع في الفعل المضارع وقوعه موقع الاسم ، وذهب الكسائي من الكوفيين إلى أن العامل هو الزوائد (أحرف المضارعة) ، أما الفراء فقال بأن عامل الرفع هو التجرد من الناصب والجازم ، وهو عامل معنوي قال عنه ابن مالك : إنه سالم من النقص ونسبه إلى حذاق الكوفيين³ .

ويصرح الفراء بذلك عند قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ البقرة 83

1 - السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 501

2 - السابق ، 2 / 238 ، 239 ، 240

3 - السيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 591

يقول : "رُفِعَتْ" تعبدون " لأن دخول " أن " يصلح فيها ، فلما حذف الناصب رفعت ¹.
2 - عمل اسم الفاعل :

اشتراط البصريون في عمل اسم الفاعل المجرد من " أل " أن يدل على الحال أو الاستقبال وأن يعتمد على نفي أو استفهام أو موصوف ، أما الكوفيون فهو عندهم " فعل دائم " يعمل مطلقا في الماضي والحال والاستقبال على رأي الكسائي ².

أما الفراء الكوفي فيظهر أنه لا يقول بعموم مذهب الكوفيين . ظهر ذلك في تناوله قوله تعالى : ﴿ كَلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ آل عمران 185

يقول : " ولو نونت في (ذائقة) ونصبت (الموت) كان صوابا ، وأكثر ما تختار العرب التثوين والنصب في المستقبل ، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة ، فأما المستقبل فقولك : أنا صائمٌ يومَ الخميس ، إذا كان الخميس مستقبلا فإن أخبرت عن صوم يوم خميس ماضٍ قلت : أنا صائمٌ يومَ الخميس فهذا وجه العمل ³.
هكذا إذا بدا كلام الفراء واضحا في أن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا دل على الاستقبال ، أما إذا دل على الماضي فإنه لا يعمل وإنما يضاف إلى ما بعده .

3 - عامل نصب المضارع بعد " الواو " و " الفاء " و " أو " :

ذهب البصريون إلى أن المضارع بعد هذه الأحرف منصوب بـ " أن " مضمرة وجوبا وقد نسب للفراء وقوم من الكوفيين أن المضارع ههنا منصوب على الصرف ⁴.

يشرح الفراء هذا المصطلح بقوله : " فإن قلت : وما الصرف ؟ قلت : أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها ، فإن كان كذلك فهو " الصرف " ، كقول الشاعر ⁵ : (من الكامل)

لَا تَنَّهُ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ ⁶

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 53

² الاسترأبادي ، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، 2 / 200

³ - الفراء ، المعاني ، 2 / 202

⁴ - السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 385 ، 396

⁵ - اختلف في قائل هذا البيت ، لكن المشهور أنه لأبي الأسود الدؤلي ، وقد حقق البغدادي في هذه النسبة

تحقيقا كافيا مقنعا . ينظر : البغدادي ، الخزانة ، 8 / 565 ، 566 ، 567

⁶ - الفراء ، المعاني ، 1 / 34

ويوضحه في موضع آخر بقوله : " وهو الذي يسميه النحويون " الصرف " ، كقولك :
 " لم آتِه وأُكْرِمَه إلاَّ استخفَّ بي " ، والصرف أن يجتمع الفعلان بالـ " واو " أو " ثم " أو
 " الفاء " أو " أو " وفي أوله جحد أو استفهام ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتعا أن
 يكرّ في العطف ، فذلك الصرف " ¹.

يفهم من الكلام السابق للفراء أنه يتبنى هذا المصطلح وكأنه مبدعُه ، فهو حريص على
 إشاعته وترسيخه ، ولم يستعمل مصطلح " الخلاف " الذي شاع عند المتأخرين بحكم
 أنهما (أي الصرف والخلاف) مترادفان .²

يضاف إلى هذه العوامل السابقة التي أبان عنها الفراء في كتابه " المعاني " عوامل أخرى
 ليست بالقليلة شاعت عنه ، منها :

1- يعمل العاملان كلاهما في المعمول الواحد إذا اتفقا في الإعراب نحو : قام وقعد
 زيد .³

2- عامل النصب في المفعول به هو الفعل والفاعل معاً .⁴

3- " لیت " تعمل النصب في الجزأين .⁵

¹ - السابق ، 1 / 235

² - أبو البركات بن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 / 87

³ - السيوطي ، همع الهوامع ، 3 / 118

⁴ - نفسه 2 / 05

⁵ - نفسه ، 2 / 156

ثالثاً : طرق أخرى في الاستدلال

إذا كان النحاة قد اعتمدوا أول أمرهم في استنباط الأحكام على القياس في صورته البسيطة ، فحملوا غير المسموع على المسموع إذا كان في معناه ، فعملوا بذلك وثبتوا ورفضوا . لكن بنتالي العصور وتعقد مسائل النحو وتشعبها احتاجوا إلى وسائل أخرى للاستدلال اقتبسوها من علم الفقه وعلم الكلام باعتبار أن هذه العلوم عاشت متجاورة في بيئة واحدة فأثر السابق منها في اللاحق ، هذه الوسائل متعددة من أشهرها : السبر والتقسيم ، والقول بالموجب ، والاستدلال بالأولى ، والاستحسان...¹

لم تكن هذه الوسائل معروفة بأسمائها لدى المتقدمين من النحاة ، إنما ظهرت إلى الوجود عندما استقل علم أصول النحو ، وشاعت قواعده ونظرياته ، فقال بها الأصوليون

¹ - أبو البركات الأنباري ، لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 127 وما بعدها

- السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 70 وما بعدها

كأبي البركات بن الأنباري ومن جاء بعده . والجدير بالذكر أن هذه الوسائل في الاستدلال إنما تصلح في مقام المناظرة والجدل ، ولذلك زخرت بها كتب الخلاف النحوي ، ومن أبرزها كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري .

أما كتابا الأخفش والفراء فقد خلوا من هذه الوسائل ، لا لشيء إلا لأنه ليس في الكتابين مناظرات ولا جدل ، إنما عرض هادئ للرأي المخالف في الغالب الأعم ، فالأخفش يستتبط الأحكام النحوية ويبيدي وجهة نظره معتمدا على القياس البسيط ومستدلاً بما يمكن من قراءات القرآن وكلام العرب ، وقد رأينا أمثلة من ذلك في ما سبق . كما أنه - وهو البصري - لا يذكر الكوفيين بالاسم وإن وافقهم في الكثير من المسائل ، وإن ذكر الكوفيين أو أهل الكوفة فعلى سبيل التفريق بين القراءات القرآنية¹ .

أما الفراء فكان على خلاف ذلك يورد آراءه ومعها أحيانا آراء البصريين ، يشير إليهم بكلمة " النحويين " في الغالب² ، وعندما يعرض الرأي المخالف فهو إما أن يدحضه بالحجة أو يعرضه دون تعليق .

• من أمثلة الصنف الأول :

ردّه قول البصريين نصب " زيد " على الاشتغال بفعل محذوف في قولك :

" زيداً ضربته³ " ، يقول : " وقد قال بعض النحويين : زيداً ضربته ، فنصبه بالفعل كما تنصبه إذا كان قبله كلام ، ولا يجوز ذلك إلا أن تنوي التكرير (أي البدل) كأنه نوى أن يوقع الضرب على زيد قبل أن يقع على الهاء ، فلما تأخر الفعل أدخل الهاء على التكرير⁴ ."

• أما الصنف الثاني فمنه :

اعتقاده أن " أشياء " على وزن " أفعلاء " وليس " أفعال " ⁵ ، يقول :

1 - الأخفش ، المعاني ، 44 / 1 و 526 / 2

2 - هذا هو الغالب في كتابه ، ونادرا ما يعني بذلك الكوفيين ينظر ، الفراء ، المعاني ، 1 / 235 ، 236

3 - هذه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ينظر : ابن الأنباري ، الإنصاف ، المسألة (12) ،

82 / 1

4 - الفراء ، المعاني ، 2 / 255

5 - هذه أيضا من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ينظر : ابن الأنباري ، الإنصاف ، المسألة

(118) ، 2 / 812

"و" أشياء " في موضع خفض لا تُجْرَى (أي لا تتصرف) . وقد قال فيها بعض النحويين : إنما كثرت في الكلام وهي " أفعال " فأشبهت " فعلاء " فلم تُصرف كما لم تصرف " حمراء " ... ولكننا نرى أن " أشياء " جمعت على " أفعلاء " ، كما جمع " لَيْن " و " أَلْيَاء " ، فحذف من وسط " أشياء " همزة ، كان ينبغي لها أن تكون " أَشْيَاء " فحذفت الهمزة لكثرتها .¹

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 321 ، ينظر أيضا ، 1 / 260 و 2 / 80

الفصل الرابع : علاقة الأخفش والفراء بأصول اللغة والنحو

عند البصريين والكوفيين

المبحث الأول : أصول اللغة والنحو عند البصريين من خلال كتاب

” معاني القرآن ” للأخفش الأوسط .

المبحث الثاني : أصول اللغة والنحو عند الكوفيين من خلال كتاب

” معاني القرآن ” لأبي زكريا الفراء .

المبحث الثالث : نتائج البحث .

المبحث الأول :

أصول اللغة والنحو عند البصريين من خلال كتاب :

” معاني القرآن ” للأخفش الأوسط

بعد أن كشفنا عن أصول اللغة والنحو عند كل من الأخفش والفراء من خلال كتابيهما " معاني القرآن " ، وهذا بصرف النظر عن الانتماء المدرسي لأي منهما، نريد في هذا الفصل أن نبرز العلاقة بين تلك الأصول والأصول التي قام عليها صرح النحو العربي عند كل من البصريين والكوفيين ، وهذا يدعونا إلى أن نطرح التساؤلات الآتية :

- إلى أي مدى كان الأخفش بصريا وفراء كوفيا ؟
- ما هي الأصول التي شاعت عن كل من البصريين والكوفيين .
- هل أكدت الأصول عند الشيخين هذا الذي شاع عن المدرستين أم نفتاه ؟

قسم الشيخ الطنطاوي تاريخ النحو العربي إلى أطوار أربعة ، هي :

طور الوضع والتكوين ، وطور النشوء والنمو ، وطور النضج والاكتمال ، وطور الترجيح .¹

فلئن صحَّ هذا التقسيم فإنَّ عصر الأخفش والفراء إنما هو عصر النشوء والنمو ، هذا الطور الذي يضم الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة من البصريين ، والطبقة الأولى والثانية والثالثة من الكوفيين . فهو إذن يضم طبقة الخليل وسيبويه والأخفش الأوسط ، أما من ناحية الكوفة فيشمل الرؤاسي والكسائي والفراء .

فبعد أن تألَّق نجم سيبويه في البصرة رافقه ظهور الكسائي في الكوفة ، فبدت النزعتان في التشكل ، وكان من أبرز دواعي التشكل تمايز في الاجتهادات النحوية التي ظهرت في صورة مناظرات هادئة بين الخليل والرؤاسي ، ثم اشتدت على مرور الأيام ، بعد وفاة سيبويه ، وتلقي الكوفيين الدعم من خلفاء بني العباس ، واستمرت هذه المناظرات حامية الوطيس حتى إذا تلاقى الفريقان ببغداد وابتدأ الطور الرابع الجديد انطفأت نار العصبية بينهما مخلفة كما هائلا من الاجتهادات والبحوث في أبواب النحو المختلفة² .

¹ - محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 36 وما بعدها ، و 185

² - المرجع السابق ، ص 44 ، 45

هذه هي الحقبة التي ينبغي أن نضع فيها الأخفش والفراء من حيث علاقة كل منهما بمذهبه النحوي من جهة ومن حيث علاقتهما ببعض من جهة أخرى .
وعليه ، فإنّ أي حكم صادر على النحو البصري أو الكوفي خارج هذا الإطار الزمني إنما هو حكم المراقب من بعيد خارج الحلبة لا المعاش حقيقة وواقعا .
لذلك سوف نعرض لمنهج البصريين وعلاقة الأخفش به ، وكذلك منهج الكوفيين وعلاقة الفراء به ، وسنتناول كل منهج بحسب ما هو رائج عنه ، ونرى فيما إذا كان الشيخان يثبتان ذلك أو ينفيانه ، أو لهما وجهة نظر أخرى .

أولا : الأخفش الأوسط وعلاقته بالبصريين

أبو الحسن الأخفش قطب من أقطاب المدرسة البصرية في النحو دون شك ولا معنى للبحث في إثبات ذلك ، غير أن كثرة موافقة أبي الحسن للكوفيين جعلت أحد الباحثين

يعدّه الموجه الحقيقي للمذهب الكوفي ، فهو الذي أمّن وصول كتاب سيبويه للكوفيين وعلى رأسهم الكسائي ، وهو في الوقت نفسه أول من فتح باب الردّ على سيبويه ومخالفته في بعض آرائه .¹

لكنّ ذلك كلّه لا يعني أن الأخفش الأوسط صار كوفياً لأنّ المطلع على كتابه " معاني القرآن " يلمس الآتي :

1- آراء الأخفش في كتابه المعاني بصرية وليس منها الكوفي إلاّ إحدى عشرة مسألة .²

2- المصطلحات النحوية المعتمدة في الكتاب بصرية خالصة ونادراً ما يستعمل مصطلحات كوفية .

3- ليس في كلام الأخفش ما يشير إلى أنه كوفي بل إن إحساسه ببصريته جعله لا يستعمل ضمير المتكلم مع الكوفيين بل يقول : " الكوفيون يقولون " .³

4- جاءت بعض آراء الأخفش على قولين أحدهما بصري والآخر كوفي ،

وقد فسر هذا بأن أبا الحسن كان له الرأي الأول في المسألة يوم كان بالبصرة ، حتى إذا رحل إلى بغداد واتصل بالكسائي خاصة والكوفيين عامة صار له فيها رأي ثانٍ ، فأصبح له بذلك مذهبان : بصريّ متأصل وكوفي متفتح .⁴

هذا عن أبي الحسن الأخفش وعلاقته بالمدرسة البصرية ، أما عن المدرسة نفسها فمعلوم أن النحو العربي ظهر أول ما ظهر في البصرة وهي حاضرة من حواضر العراق ، ملتقى الثقافات يحيط بها الأعراب الفصحاء ، لأهلها عناية فائقة بالقرآن والقراءات .

لذلك شاع عن البصريين في سماعهم عن العرب أنهم كانوا يتحرون في الأخذ ، ويشترطون في العربي المأخوذ عنه سلامة لغته وسليقته ، وفي الراوي الصدق والضبط ، بحيث أنهم لا يعترفون بالشاهد الذي جهل قائله ،⁵ كذلك فقد كانوا لا يقبلون القراءات

¹ - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، 95 ، 155

² - حسن عربود ، موافقة الأخفش للكوفيين في معاني القرآن . ص 6

³ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 526

⁴ - محمد مختار ولد أباه ، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت 1422هـ / 2001 م ، ص 136 .

⁵ - سعيد الأفغاني ، في أصول النحو ، 197

القرآنية على علائها بل كانوا يرضون منها بما وافق لسان العرب ولا يطمئنون لما خالف ذلك .

هذا عن السماع أما القياس ، فكانوا لا يقيسون إلا على الكثير المطرد وما سواه يعدّ شاذاً يحفظ ولا يقاس عليه ، حتى قيل إنهم في تشدهم وتحكيم قوانينهم ضيقوا على العربية حتى وقعوا في تلحين خاصتهم¹ .

هذه بإيجاز شديد ، الصورة التي شاعت عن المنهج البصري في أغلب ما كتب القدماء والمحدثون ، ونريد أن نتبين من خلال ما عرفناه عند الأُخفش مدى ما في هذه الأحكام من صدق أو مبالغة .

ثانياً : السماع عند البصريين وعلاقته بالسماع عند الأُخفش

¹ - طه الراوي ، نظرة في النحو ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد 14 ، سنة 1936 ، ص 320

لم يتحدث المتقدمون من نحاة البصرة عن قواعد السماع حديثاً نظرياً مباشراً ، إنما استنتج ذلك المتأخرون من كتبهم بحيث نلمس في ما كتبوا مناهج لغوية واعية¹ ، هذه المناهج أو القواعد أو الشروط لم تكن على نسق واحد بشكل حرفي دقيق ، إنما كانت تتكامل في مجملها بحيث تحقق هدفاً واحداً هو أن العربية لا تُروى إلاّ عن أمين نقلها عن عربي فصيح . لذلك كانت لهم وجهات نظر في تحديد القبائل الفصيحة ، فسيبويه يرى الفصاحة في تميم وقبائل الحجاز ، يميل إليهما وأكثر شواهدهما² ، وروي عن أبي عمرو بن العلاء قوله : " ما أقول : قالت العرب إلاّ إذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوزان وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية ، وإلاّ لم أقل : قالت العرب."³

أما الأخفش فقد كانت له بصماته الواضحة في باب السماع ، تحدثنا عنها في ما سبق من البحث ، والآن نؤكد على ما يجب التأكيد عليه .

1- توسيع دائرة السماع :

إن كان لسيبويه قبائله التي يحتج بها ، فإن الأخفش تلميذه سار على نفس النهج ، بل أخذ عن قبائل لا يبدو لها أثر يذكر في كتاب سيبويه ، فزيادة على استشهاد أبي الحسن بقبائل الحجاز وتميم وهو الغالب على شواهدهم ، فإننا وجدناهم ينقل عن قبائل أخرى كبكر بن وائل ، وبلحارث بن كعب ، وبني قشير⁴ وغير هؤلاء ، ومن هذه القبائل من عدّه المتأخرون من قبائل التخوم التي لا يحتج بها⁵ ، وهذا يردّ على الذين اتهموا البصريين بأنهم حرمونا من كثير من كلام العرب لم تشمله دائرة السماع عندهم .

2- الحرص على الأخذ عن النقات :

يؤكد الأخفش على هذا المبدأ في كتابه ، فلا تراه معتمداً إلاّ على ما سمعه مباشرة من العرب أو نقله عن ثقة كأبي زيد الأنصاري وهو المقصود بقول سيبويه في كتابه "

¹ - محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ، 56 ،

² - نفسه ، 58 ،

³ - السيوطي ، الاقتراح ، ص 131

⁴ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 28 ، 113 ، 180

⁵ - السيوطي ، الاقتراح ، 44 ، 45 ،

سمعتُ الثقة¹ ، ويونس بن حبيب وقد أكثر من الأخذ عنه* ، يضاف إلى ذلك آخرون كعيسى بن عمر وأبي عبيدة وأبي عمرو بن العلاء .

3- عدم الالتفات إلى مسألة الجهل بالقائل :

يقتضي المنطق أن " الأخذ عن الثقة " ينسخ ضرورة العلم بأصل الرواية ، وهذا الذي جرى به العمل عند سيبويه والخليل ومن في طبقتهما ، وقد ذكرنا في موضع سابق من هذا البحث أن طلب معرفة القائل لم يحدث إلا على يد المازني (ت247هـ) ، ثم تطورت الفكرة عبر الزمن حتى عهد ابن الأنباري أبو البركات الذي طبق منهج علم الحديث وهنا ، ثم حاول أن يوجد مبررا لما يعرف بالشواهد الخمسين عند سيبويه ، وقد أشرنا إلى ذلك في مبحث سابق² .

إذاً فالأخفش الأوسط في استدلاله بشواهد لمجهولين لم يكن بدعا في عصره ، والملاحظ أن كثيرا من هذه الشواهد هي شواهد سيبويه نفسها ، لكنه أضاف إليها شواهد أخرى معلومة ، وفيها المجهول الذي لم يعرف قائله بل اقترن اسم الأخفش به³ . وهكذا تسقط التهمة التي لفتت للكوفيين وحدهم ، وهي اعتمادهم في الاستدلال على شواهد لشعراء مجهولين .

4- القراءات القرآنية :

شنع الكثيرون على البصريين رفضهم لبعض القراءات وتهوينهم لشأن القراء .
والسؤال هنا : من هؤلاء البصريون الذين فعلوا هذا ؟

إذا كانوا أوائل البصريين فهذا شيء ، وإن كانوا أواخرهم فذلك شيء آخر .
إن أوائل البصريين ، ونعني بهم الطبقات الثلاث الأولى على الأقل ، لم يكن لهم هذا الموقف القاسي من القراءات ، والذي لا خلاف فيه أنهم كانوا يقيسون القراءة على كلام العرب ، فإن وافقته أقبلوا عليها ، وإن خالفت تركوها وشأنها .

¹ - ابن الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص 125 ، 129

* وهو أكثر الأعلام ذكرا في كتابه ، ذكره خمس عشرة مرة

² - ينظر الفصل الثالث من هذا البحث ، ص 183

³ - الأخفش ، المعاني ، على سبيل المثال ، ينظر الشاهد ص 371

فهذا أبو عمرو بن العلاء كبير قراء البصرة - وقد صار بعد ذلك من السبعة - يعقب على قراءة النصب في (أَطَهَرَ)¹ من قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ ﴾ هود 78

يقول : " احتبى ابن مروان (وهو صاحب القراءة) في ذه في اللحن "

أما الخليل فيقول عن هذه القراءة متعجبا من خروجها عما ألفته العرب في كلامها :
" والله إنه لعظيم " ².

والموقف نفسه يقفه سيبويه من تحقيق الهمزة في مثل قوله تعالى :

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ الأحزاب 1

- ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ البينة 7

يقول : " وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون " نبيء " و " بريئة " ، وذلك قليل رديء " ³

هذه نماذج من آراء بعض البصريين الأوائل في بعض القراءات التي خالفت الشائع من كلام العرب ، ولو تأملناها لوجدنا :

• لم يصل الردُّ حدَّ التهجم على القارئ وإنما نسب إليه اللحن في هذه فقط دون سواها

• إنكارهم لبعض القراءات يعني أنه لم يثبت لديهم صحة سندها عن رسول الله ﷺ ، ألم يقل سيبويه في كتابه أن القراءة لا تخالف ، لأن القراءة السنة ⁴.

• رفضهم لبعض القراءات ليس له من داعٍ إلا الحرص الشديد على حماية القرآن من اللحن .

• في ذلك العهد المبكر لم يثبت أمر القراءات بعد ، فكانت هناك القراءات الصحيحة ثابتة السند عن رسول الله ﷺ ، والقراءات التي دون ذلك ، وقد أثبتت الأيام بعد

¹ - قرأ الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السدي " أَطَهَرَ " بالنصب ،

ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 5 / 247

² - سيبويه ، الكتاب ، 2 / 397

³ - نفسه ، 3 / 555

⁴ - نفسه ، 1 / 148

ذلك أن قارئاً كأبي عمرو - من البصريين - هو الذي تعتمد قراءته وتصنف على أنها من القراءات السبع المتواترة .
ويبقى في كل الحالات أن هذا الردّ على بعض القراءات والذي صدر عن بعض النحاة في هذه الحقبة من تاريخ النحو - وإن كان خفيفاً هادئاً - إلا أنه هو الذي فتح الباب لتلاميذ تلاميذهم ، فأطلقوا أسننتهم على بعض القراء وتطاولوا وتهجموا بدعوى مخالفة القراءة للقياس وما في حكم القياس .

أما الأخفش فقد سار على نهج شيوخه من نحاة البصرة ، فحمل القراءات على كلام العرب ، فإن وافقت قبلها ، وإن خالفت نعت لغتها بالشذوذ¹ .
لكن سير أبي الحسن على نهج شيوخه لا يعني أنه صار يتعبد بأقوالهم وآرائهم - كما قيل - ، إنما كانت له مواقف خالف فيها البصريين في علاقتهم ببعض القراءات ، من ذلك عدم رفضه لقراءة الجر في قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ النساء 1

يقول : " قال الله تعالى ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ منصوبة ، أي : اتقوا الأرحام ، وقال بعضهم (والأرحام)² جرّ ، والأول أحسن ، لأنك لا تجري الظاهر المجرور على المضمّر المجرور .³"

يقف إذاً أبو الحسن من القراءتين موقف مفاضلة دونما رفض لإحدهما على حساب الأخرى ، إنما يعرب عن استحسانه وميله إلى الأولى ، لأنه لا يجوز في كلام العرب عطف الظاهر المجرور على الضمير المجرور .

هذا وقد نسبت كتب النحو للأخفش آراء أخرى لم يرفض فيها قراءات رفضها شيوخ مدرسته ، والتي انبنت عليها آراء نحوية لم يقل بها البصريون . من هذه الآراء :

• جواز الفصل بين المتضايقين⁴ ، كما جاء في قراءة عبد الله بن عامر في قوله

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 41 ، 42

² - قرأ جمهور السبعة بنصب الميم ، وقرأ حمزة بجرها ، وهي قراءة النخعي وقتادة والأعمش . ينظر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 3 / 165

³ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 224

⁴ - ابن يعيش ، شرح المفصل ، 3 / 22

تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلٌ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ الأنعام 137

ولو عدنا إلى معاني الأخفش لوجدناه لا يلقي بالاً إلى قراءة ابن عامر التي وردت بها الآية المذكورة ، ولا يشير البتة إلى الحكم النحوي الذي يمكن أن تتبني عليه هذه القراءة¹، بينما لو انتقلنا إلى آية شبيهة بها يمكن أن تتضمن الحكم المذكور وهي قوله

تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدَهُ رُسُلُهُ ﴾ إبراهيم 37

فقد قرئت : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدَهُ رُسُلُهُ ﴾² ، وقد أشار أبو الحسن إلى هذه القراءة الشاذة إشارة خفيفة ، ورفض أن تصلح دليلاً على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه .

يقول : " فأضاف إلى الأول (يقصد إضافة " مخلف " إلى " وعده ") ونصب الآخر (أي " رسله ") على الفعل ، ولا يحسن أن يضيف إلى الآخر لأنه يفرق بين المضاف والمضاف إليه ، وهذا لا يحسن³ .

• جواز أن يكون نائب الفاعل من غير المفعول به⁴ ، اعتماداً على قراءة أبي

جعفر وشيية في قوله تعالى : ﴿ لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية 14

هذه المسألة أيضاً مما نسب إلى أبي الحسن دون أن يكون لها دليل في المعاني ، فهذه الآية المشار إليها لم يذكرها ، ولا توقف عندها في تفسير السورة ، ولا كانت هذه الآية شاهداً من شواهد القرآنية على هذا الحكم النحوي في موضع آخر من الكتاب.

ولو نقبنا عن هذه المسألة في كتابه من خلال الآيات التي يمكن أن يكون صرح فيها بما نسبه النحاة إليه ، لعثرنا على خلاف ما رأوا ، فمثلاً :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ البقرة 184

¹ - الأخفش ، المعاني ، 287 / 2

² - قال أبو حيان : " وقرأت فرقة بنصب وعده ، وإضافة مخلف إلى رسله ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول . " ينظر: أبو حيان الأنداسي ، البحر المحيط ، 427 / 5

³ - الأخفش ، المعاني ، 377/2

⁴ - السيوطي ، همع الهوامع ، 585 / 1

يقول مفسرا : " أي كُتِبَ الصيامُ أياما ، لأنك شغلت الفعل بالصيام حتى صار هو يقوم مقام الفاعل وصارت الأيام كأنك قد ذكرت من فعل بها ¹ ".
وهكذا لم يخطر على بال أبي الحسن أن تعرب " عليكم " نائب فاعل وتبقى " الصيام " على حالها من النصب على المفعولية .

والحكم نفسه نجده في الجار والمجرور " فيه " من قوله تعالى :

﴿ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى ﴾ البقرة 185

يثبت أبو الحسن أن " القرآن " نائب فاعل ولا يمكن أن يكون غيرها .

يقول : " فموضع " هُدًى " و " بَيِّنَاتٍ " نصب لأنه قد شغل الفعل بالقرآن ، وهو كقولك :
وَجَدَ عَبْدُ اللَّهِ ظَرِيفًا ² .

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 158

² - نفسه ، 1 / 159 ، وكذلك ، 2 / 506

ثالثاً : القياس عند البصريين وعلاقته بالقياس عند الأخفش

لا أحد يرتاب في أن القياس البصري منهج علمي دقيق ، لأنه يقوم على السماع الصحيح ، فإن خالف السماع الكثير القياس رجّحوا جانب السماع على جانب القياس ، وإن استعملت الكلمة استعمالاً عربياً موثقاً به ولكنه لا يساوي القياس ولا يوافقه قبلت هذه الكلمة ولم يقس عليها¹.

وربما قاسوا على " شَنِّي " نسبة إلى " شنوءة " فقالوا : " ركبِي " نسبة إلى " ركوبة " و " حلبِي " نسبة إلى " حلوبة " وهكذا . وقد برر الأخفش هذا القياس بأن : " شَنِّي " نسبة إلى " شنوءة " هو جميع ما سمع عن العرب².

وإذا كانت وظيفة القياس عند النحاة عموماً لا تخرج عن واحدة من ثلاث هي : الاستنباط أو التعليل أو الرفض ، فإنه كان لأبي الحسن الأخفش جملة من الأحكام والآراء دعم بها الاتجاه البصري وربما خالفه ووافق الاتجاه الكوفي خدمة لهذا المنهج وتقيداً بما يمليه عليه من استدلال عقلي منطقي مقبول .

يمكن أن نقسم هذه الأحكام الجديدة إلى ثلاثة أقسام :

آراء وافق فيها البصريين ، وأخرى خالفهم فيها ووافق الكوفيين وثالثة استقلّ فيها برأي خاص . وسنورد في كل قسم بعضاً من آرائه على سبيل المثال لا الحصر.

1 - آراؤه التي وافق فيها البصريين :

- ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل في

¹ - عبد الرحمن السيد ، مدرسة البصرة (نشأتها - تطورها) ، ص 250

² - ابن جني ، الخصائص ، 1 / 154

اختيار الكلام إلا على قبح ويزول القبح إذا كان هناك توكيد أو فصل¹ . وهذا ما أقره الأخفش عند تعقيبه على قراءة الرفع في قوله تعالى :

﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ يونس 71

يقول : " وقال بعضهم (وَشُرَكَاءُكُمْ)² والنصب أحسن ، لأنك لا تجري الظاهر المرفوع على المضمرة المرفوع ، إلا أنه قد حسن في هذا للفصل الذي بينهما ، كما قال سبحانه : ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّأَبْأُونا ﴾ النمل 67 ، فحسن لأنه فصل بينهما بقوله (تُرَابًا)³ .

• جواز دخول الفاء على الخبر إذا تضمن معنى الشرط⁴ :

يجوز دخول الفاء على الخبر إذا تضمن المبتدأ معنى الشرط وكان اسما موصولا كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة 274

أو نكرة موصوفة ، كما في الآية الكريمة : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ النحل 53 يقول الأخفش معقبا على الآية الأولى : " فجعل الخبر بالفاء ، إذ كان الاسم الذي وصلته فعلا ، لأنه في معنى " مَنْ " و " مَنْ " يكون جوابها بالفاء في المجازاة ، لأن معناها : " من ينفق ماله فله كذا " .⁵

• " حتى " ناصبة بـ " أن " مضمرة :

ذهب البصريون إلى أن " حتى " حرف جر ، وإذا دخلت على الفعل المضارع نصب بـ " أن " مضمرة ، فلا يجوز أن تنصب بنفسها⁶ . يقول أبو الحسن : " وكذلك ما انتصب بعد " حتى " إنما انتصب بضمير (أي بإضمار) " أن " ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ الرعد 31 و ﴿ حَتَّى تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ ﴾ البقرة 120

1 - أبو البركات بن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 / 474

2 - قرأ أبو عبد الرحمن والحسن وابن أبي اسحق وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب فيما روي عنه " وَشُرَكَاءُكُمْ " بالرفع . ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 5 / 178

3 - الأخفش ، المعاني ، 2 / 346

4 - في المسألة كلام مستفيض ، بل وخلاف بين البصريين أنفسهم ، والأخفش في هذه المسألة لم ينفرد برأي خاص ، وإنما سلك مسلكا من تلك المسالك الخلاقية . ينظر : السيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 403

5 - الأخفش ، المعاني ، 1 / 187

6 - ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 / 597

وكذلك جميع ما في القرآن من " حتى " ... لأن " حتى " في معنى " إلى " ، تقول : " أقمنا حتى الليل " أي : إلى الليل .

وهكذا يصبح تعليل الأخفش هنا مناسباً تماماً فمعنى : " حتى الليل " أي " إلى الليل " ثم استطرده يقول : " فإن قيل : إظهار " أن " ههنا قبيح ، قلت : قد تضرر أشياء يقبح إظهارها ، إذ كانوا يستغنون عنها ، ألا ترى أن قولك : " إنَّ زيدًا ضربته ، منتصب بفعل مضمر لو أظهرته لم يحسن .¹ "

• " لن " بين التركيب والبساطة :

ذهب الخليل إلى أنها مركبة من " لا " و " أن " ، وذهب الجمهور ومنهم الأخفش إلى أنها بسيطة² .

أشار إلى ذلك الأخفش عند تناوله قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ الحج 47 يقول : " فنصب بـ " لن " كما نصب بـ " أن " ، وقال بعضهم (إشارة إلى أن هذا ليس من رأيه) : إنما هي " أن " جعلت معها " لا " كأنه يريد : " لَأَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ " ، فلما كثرت في الكلام حذفت³ .

• شرط نصب المضارع بعد " أن " :

يشترط في نصب المضارع بعد " أن " ألا تسبق بفعل يفيد اليقين كعلم وتحقق ونحوهما ، أما إذا سبقت بما يدل على اليقين ، وجب رفع الفعل بعدها ، وتكون حينئذٍ مخففة من الثقيلة ، نحو : " علمتُ أنْ يقومُ " والتقدير : علمتُ أنه يقومُ⁴ ، وهذا بخلاف ما إذا سبقت " أن " بفعل يفيد الرجحان كـ " خشي " أو " ظنَّ " ، فإنه يجوز في الفعل بعدها الوجهان : النصب والرفع⁵ .

وهذا ما ذكره أبو الحسن في استعراضه الآيات :

﴿ لئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ الحديد 29

﴿ وَحَسِبُوا أَنَّ لَاتَكُونَ فِتْنَةً ﴾ المائدة 89

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 120

² - السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 365

³ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 121

⁴ - ينظر : سيبويه ، الكتاب ، 3 / 166 ، و المبرد ، المقتضب ، 2 / 29

⁵ - في المسألة تفصيل ، ينظر : السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 360 ، 361

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ طه 89

يقول : " فارتفع الفعل بعد " أن لا " لأنّ هذه مثقّلة في المعنى ، ولكنها خففت وجعل الاسم فيها مضمرا ، والدليل على ذلك أن الاسم يحسن فيها والتنقيح ، ألا ترى أنك تقول : " أفلا "

يرون أنه لا يرجع إليهم " ، وتقول : " أنهم لا يقدرّون على شيء " ، و " أنه لا تكون فتنةً "1

ويشير بعد ذلك إلى الفعل " خشي " عندما يفيد اليقين أو نقيضه ، يقول : " وأما خشيتُ أن لا تكرمني " ، فهذا لم يقع ، ففي مثل هذا تعمل " أن " الخفيفة . ولو رفعت على أمر قد استقر عندك وعرفته كأنك جرّبتَه فكان لا يكرمك ، فقلت خشيت أن لا تكرمني (بالرفع) ، أي : خشيتُ أنك لا تكرمني ، جاز .²

2 - آراؤه التي وافق فيها الكوفيين :

مشهورة هي الآراء التي وافق فيها الأخفش الكوفيين ، وقد صنفت في ذلك كتب وأنجزت بحوث ودراسات ، لكننا سنختار منها بعضاً مما ورد في المعاني :

• " من " الجارة زائدة في الإيجاب :

اشترط البصريون في " من " الجارة حتى تكون زائدة جملة من الشروط منها أن تسبق بنفي أو استفهام أو نهي³ ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ الأنعام 59 أو ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ الملك 3

غير أن الأخفش ذهب مع الكوفيين إلى أنّ " من " يمكن أن تكون زائدة مطلقاً دون شروط ، مستدلاً بقوله تعالى :

﴿ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا ﴾ البقرة 61

¹ - الأخفش ، معاني القرآن ، 1 / 121

² - نفسه ، 1 / 122

³ - سيبويه ، الكتاب ، 4 / 225 . والمبرد ، المقتضب ، 4 / 453 ، 673 . وابن يعيش ، المفصل ،

يقول : " فـ " من " هنا تفيد التبويض ، كقولك : " ذهبت فأصبت من الطعام " تريد شيئاً ، وهي أيضا زائدة تماما ، كما في قولك : " ما رأيت من أحد " أو " هل جاءك من رجل ؟ " ¹

ثم يرد على الشروط التي وضعها البصريون بما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَنُكْفِرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ البقرة 271 ، وذلك بأن " من " في الآية زائدة ولم تسبق باستفهام ولا بنفي كقولك : " زيدٌ من أفضلها ، تريد : هو أفضلها " ²

• مجيء الحال جملة من ماضٍ غير مقترن بـ " قد " :

منع البصريون أن يجيء الماضي المثبت حالا إلا مقترنا بـ " قد " ظاهرة أو مقدره. ³

لكن الأخفش مع الكوفيين جوز ذلك ، وقد أشار إلى رأيه عند تناول الآية الكريمة :

﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَةٌ صُدُورُهُمْ ﴾ النساء 90

يقول : " أو حَصِرَتْ صدورهم " و " حَصِرَةٌ " اسم نصبته على الحال ، و " حَصِرَتْ فَعَلَتْ . "

• جواز إلغاء عمل " ظن " مع تقدمها :

" ظن " من أفعال القلوب تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، والأصل في عملها أن تتقدم معموليها ، أما إذا تأخرت أو توسطت فقبل الإلغاء وقيل الإعمال ، ولذلك إذا تصدرت فلا يجوز الإلغاء عند البصريين وجوزه الكوفيون والأخفش. ⁵

بدا رأي الأخفش في تناوله قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ فصلت 48

يقول : " أي : استيقنوا ، لأن " ما " ههنا حرف ، وليس باسم ، والفعل لا يعمل في مثل هذا ، فلذلك جعل الفعل ملغى. ⁶

¹ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 98

² - السابق ، 1 / 99

³ - المبرد ، المقتضب ، 4 / 120 ، و ابن الأنباري ، الإنصاف ، 1 / 252 وما بعدها ، و السيوطي ،

همع الهوامع ، 2 / 326

⁴ - قرأ الجمهور " حَصِرَتْ " ، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب " حَصِرَةٌ " على وزن نَبَقَةٍ . ينظر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 3 / 330

⁵ - السيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 551 ، 552

⁶ - الأخفش ، المعاني ، 2 / 468 . قال أبو حيان في البحر : " والظاهر أن " ظنوا " معلقة ، والجملة المنفية

في موضع مفعولي ظنوا ، وقيل : تم الكلام عند قوله : " وظنوا " ، والجملة بعد ذلك مستأنفة . ينظر :

• يمكن أن تردّ " إلا " عاطفة كالواو :
ذهب الكوفية والأخفش إلى أنّ " إلا " ترد عاطفة كالواو¹، وهو ما صرّح به أبو الحسن في تفسير قوله تعالى :

﴿ لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ البقرة 150

يقول : " وتكون " إلا " بمنزلة الواو² نحو قول الشاعر³ : (من الكامل)
وأرى داراً لها بأغدره
السُّ

يـدان لم يدرُس لها رسـم

إلا رماداً هامداً دفعتُ عنه الرياح خوالداً سحماً⁴

وهذا لا ينفي أن الأخفش قال بالموازاة إلى ذلك ما قال به الجمهور وهو أن " إلا " تفيد الاستثناء المنقطع⁵، فهي بمعنى " لكن " كمثل قول العرب : " ما أشتكى إلا خيراً " ، يقول مفسراً هذا المثل : " فلم يجعل قوله إلا خيراً على الشكوى ، ولكنه علم إذا قال لهم : فما أشتكى شيئاً ، أنه يذكر من نفسه خيراً ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيراً " .⁶
• جواز منع صرف المنصرف في ضرورة الشعر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 7 / 482

1 - السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 270

2 - الأخفش ، المعاني ، 1 / 152

3 - البيت للمخبل السعدي ، ينظر :

أبو العباس المفضل الضبي ، المفضليات ، شرح أبي القاسم بن الأنباري ، تحقيق : كارلوس يعقوب لایل ، مطبعة

الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1920 ، ص 208 ، 209 . وكذلك ، البغدادي ، الخزانة ، 6 / 93

4 - السيدان : اسم موضع . خوالد سح : أثافي ضاربة إلى السواد . ينظر المصدرين نفسيهما .

5 - معاملة هذا الأسلوب على أنه استثناء منقطع أو متصل يعود إلى المعنى المنسوب إلى الآية الكريمة ، فإذا كان المراد بالناس اليهود ، والذين ظلموا مشركو العرب ، فهذا استثناء منقطع ، وإذا كان المعنى : " لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم ... " فهذا استثناء متصل . ينظر :

السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 271 ، و أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 1 / 615

6 - الأخفش ، المعاني ، 2 / 428

يكاد يجمع النحاة على أنّ صرف الممنوع من الصرف جائز في ضرورة الشعر، لأن الشاعر في ذلك إنما يردّ الأسماء إلى أصولها¹، لكنهم اختلفوا في العكس ، وهو منع المنصرف ، فذهب الكوفيون والأخفش إلى أنه يجوز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر ، وذهب البصريون إلى أنّ ذلك لا يجوز² .

بدا رأي أبي الحسن جلياً في المسألة من خلال معالجة الاسمين : "مصر" و"عرفات" .
الاسم الأول " مصر " في قوله تعالى :

- ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ البقرة 61

- ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ يوسف 99

فـ" مصر " - عند الأخفش - شأنها شأن كل اسم مؤنث نحو : " هُنْدٌ وَجُمَلٌ ، فمن العرب من يصرفه ومنهم من لا يصرفه .

هذا رأيه دون أي تفصيل آخر ، فحسب الحكم النحوي أن يبني على ما نطقت به العرب . لكن يظهر أنه سلك بالكلمة " مصر " مسلكاً آخر ، فقد عاملها معاملة الاسم المبني الذي يجوز فيه التتوين وعدمه للتفريق فيه بين التذكير والتعريف ، وهو الذي يسميه النحويون " تتوين التذكير " ، يقول : " فزعم بعض الناس أنه يعني فيهما جميعاً (يقصد الآيتين السالفتين) " مصر " بعينها ... وقال بعضهم : أما التي في يوسف فيعني بها مصر بعينها ، والتي في البقرة يعني بها مصرًا من الأمصار³ .

الاسم الثاني " عرفات " في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة 198

يرى أبو الحسن أنّ التتوين في " عرفات " تتوين مقابلة ، وقد جعل في مقابلة النون في جمع المذكر السالم ، والكلمة " عرفات " من الملحق بجمع المؤنث السالم تأخذ حكمه الإعرابي ، مثلها مثل : " أولات ، أذرعات ...⁴

¹ - المبرد ، المقتضب ، 3 / 354

² - ابن الأنباري ، الإنصاف ، 2 / 493

³ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 99

⁴ - نفسه ، 1 / 164 ، 165

ثم يذكر أنّ من العرب من يمنع " عرفات " من الصرف ، يعامله معاملة المؤنث، كأنّ التاء فيه تاء تأنيث كما هي في نحو : "حمدة" ، ويستدل بقول الشاعر: ¹ (من الطويل)
تتورّتها من أذرعاتٍ وأهلها بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالٍ²

3 - آراءه التي انفرد بها :

مما يثبت نباهة أبي الحسن وذكاءه الحاد ، عدم انسياقه إلى أيّ من الطرفين ، فتراه يختار ما اطمأنت إليه نفسه ، وأحيانا أخرى يكون في الحكم الواحد بصريا تارة ، وكوفيا تارة أخرى.

فمن آرائه التي انفرد بها دون البصريين والكوفيين أن العلماء نسبوا إليه جواز إعمال " أن " مع زيادتها³ ، فقد صرح بذلك عند تناول قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ البقرة 246

يقول : " فـ " أن " هاهنا زائدة ، كما زيدت بعد " فلما " و " لَمَّا " و " لو " ، فهي تزداد في هذا المعنى كثيرا ، ومعناه : مالنا لا نقاتل ، فأعمل " أن " وهي زائدة ، كما قال :
ما أتاني من أحد ، فأعمل " من " وهي زائدة .⁴

ومن الآراء التي شاعت عن أبي الحسن وخالف فيها النحويين حذفه الفاء من جواب الشرط ، إذ كل جواب لا يصلح أن يكون شرطا وجب اقترانه بالفاء غير أن حذف الفاء

¹ - البيت لامرئ القيس . ينظر :

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط5 (د.ت) ، ص 31

² - " أذرعات " اسم مكان ، وقد ورد هذا الاسم في البيت بثلاث روايات :

رواية بالجر والتثوين على أنه ملحق بجمع المؤنث السالم ، ورواية بالكسر دون تثوين على أنه جمع بحسب أصله من جهة ، وعلم على مؤنث من جهة أخرى ، فأعطوه من كل جهة شيئا ، ورواية بالفتح من غير تثوين على أنه ممنوع من الصرف وعلّة المنع العلمية والتأنيث . ينظر :

محي الدين عبد الحميد ، منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1411هـ/1990م

76 / 1

³ - السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 362 ، وابن هشام ، مغني اللبيب ، 40

⁴ - الأخفش ، المعاني ، 1 / 180

هنا جائز في ضرورة الشعر ممتنع في غيرها¹ ، لكن الأخفش يرى أن ذلك جائز في النثر الصحيح أيضاً² ، يثبت ذلك ما جاء في قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾ البقرة 180

يقول في تفسير الآية : " فـ " الوصية " على الاستئناف ، كأنه - والله أعلم - " إن ترك خيراً فالوصية³ .

كلام أبي الحسن واضح في أن الفاء مقدره ، والوصية مرفوعة بالابتداء ، وقد ذهب غيره إلى أن الوصية نائب فاعل للفعل " كتب " وقد جرد من تاء التانيث للفصل بينه وبين فاعله المؤنث⁴ .

يضاف إلى آرائه الخاصة ما كنا قد ذكرناه آنفاً وتتصل بالعوامل .

أما ما كان فيها بصرياً مرة ، وكوفياً مرة أخرى فراه في المسألة الآتية :

" إن " المخففة من الثقيلة بين النفي والإيجاب :

ذهب البصريون إلى أن " إن " عندما تخفف فإنها تحمل معنيين :

- إما أن تكون نافية وهذا إذا جاء خبرها محصوراً بـ " إلا " نحو قوله تعالى :

﴿ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ الملك 20

- أو تكون غير نافية إذا لحق خبرها اللام الفارقة ، نحو : إن زيد لقاتم⁵ .

أما الكوفيون فلا يجوزون تخفيف " إن " المؤكدة ، وهم يحملون ما ظنه البصريون من تخفيفها على أن " إن " نافية واللام الواقعة بعدها استثنائية بمعنى " إلا " ، فمعنى : " إن قام لأننا " هو نفسه : " ما قام إلا أنا " .⁶

أما الأخفش في المعاني فقد ظهر إزاء " إن " المخففة من الثقيلة بمظهرين :

أولهما ، في قوله سبحانه : ﴿ إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ طه 63

1 - سيبويه ، الكتاب ، 3 / 64 و السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 556

2 - ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص 165

3 - الأخفش ، المعاني ، 1 / 158

4 - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 2 / 230

5 - ابن الأنباري ، الإنصاف ، 2 / 640 ، والسيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 511

6 - حسن عربود ، موافقة الأخفش للكوفيين في معاني القرآن ، ص 36

عقب على هذه القراءة ، قراءة ابن كثير ورواية حفص عن عاصم ¹ ، بقوله متحدثا عن " إن " : " خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقوم يرفعون (يقصد قبيلة بلحارث بن كعب) ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى " ما " .²

وهذا كلام بصري صريح ، فـ " إن " بمعنى " ما " واللام فارقة .

ثانيهما : في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ لِبَنْتِمِ الْإِلَّا قَلِيلًا ﴾ المومنون 114 يوضح الآية قائلًا : " أي : ما لبنتم إلا قليلا "

ثم يورد قراءة ابن مسعود وكأنه يستدلُّ بها يقول : " وفي حرف ابن مسعود :

" إن لبنتم لَقَلِيلًا " ، وقال الشاعر : ³ (من الكامل)

هَبَلْتَكِ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا وَجَبَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ ⁴

يفهم من استدلاله بقراءة ابن مسعود أنّ " إن " تفيد النفي واللام المتصلة بالخبر تفيد الاستثناء ، وهذا هو الكلام الكوفي الذي ذكرناه آنفا .⁵

1 - أبو حيان ، البحر المحيط ، 6 / 238

2 - الأخفش ، المعاني ، 2 / 408

3 - البيت لعاتكة بنت زيد بن عمرو رثت فيه زوجها الزبير بن العوام بعد وقعة الجمل ، وللبيت رواية أخرى ، هي :

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ .

ينظر : ابن الأنباري ، الإنصاف 2 / 641 والسيوطي ، همع الهوامع 1 / 513

4 - الأخفش ، المعاني ، 2 / 418 ، 419 ،

5 - وللأخفش الرأي نفسه في الآية 51 سورة القلم ، 2 / 505 من المعاني .

المبحث الثاني :

أصول اللغة والنحو عند الكوفيين من خلال كتاب " معاني القرآن " للفراء

أجمع الباحثون إلا من شذ¹ ، على أن الفراء كوفيٌّ فكرياً ومنهجاً ، وكتابه " معاني القرآن " ينبض بالنحو الكوفي في كلِّ جنباته ، والمتصفح لهذا الكتاب يلمس ذلك من خلال:

¹ - ذهب الدكتور مكي الأنصاري إلى أن الفراء هو مؤسس المذهب البغدادي ، وكانت للباحث أدلة فندها الدكتور شوقي ضيف . ينظر :

مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في اللغة والنحو ، ص 351 ، و شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 156 ، 157

1- شيوع المصطلحات الكوفية المغايرة للمصطلحات البصرية كالتقريب والصرف والتكرير والمكني... الخ ، وكأننا بالفراء يتعمد ذلك من أجل إيجاد مذهب نحوي جديد متكامل .

2- الأحكام النحوية الواردة في الكتاب كوفية في أغليبتها العظمى ، وإن وافق بعضها مذهب البصريين فإن ذلك ناتج عن عمق البحث ودقته لدى الفراء ، بحيث لا يسجل إلا ما أملاه عليه عقله الخصب وذكاءه الوقاد ، وسنورد أمثلة من ذلك لاحقا .

3- شعوره باستقلالية واضحة وهو يبدي آراءه النحوية ، فكثيرا ما يشير إلى الرأي المخالف ، وغالبا ما يكون هذا الرأي بصريا ، بقوله : " يقول النحويون " ، فيناقش وينتقد¹ .

أولا : الفراء وعلاقته بالكوفيين

لا يختلف اثنان في أن النحو الكوفي ظهر متأخرا عن النحو البصري ، بل كان نحاة الكوفة أول أمرهم عالية على نحاة البصرة ، فبينما كان نحاة البصرة منكبين على دراسة النحو واللغة كان الكوفيون منشغلين بدراسة القرآن وقراءاته مع رواية الأشعار ، فلا عجب أن يظهر فيهم ثلاثة من القراء السبعة ، هم : حمزة وعاصم والكسائي ، وأن تروج عندهم مرويات خلف الأحمر وحماد الراوية² .

¹ - الفراء ، معاني القرآن ، 2 / 80 ، 312 و 3 / 205 ، 207

² - صلاح روائي ، النحو العربي (نشأته ، تطوره) ، 377 ، 378

أخذ الكوفيون من نحو البصرة ، وانعقد عندهم العزم على الاستقلال بمذهب نحوي خاص ، بعد أن وضع البذرة كلُّ من الرؤاسي (ت175هـ) والهرابي (ت187هـ) ، وسقاها الكسائي (ت189هـ) وتعهدا الفراء (ت207هـ) . لم يمضِ زمن يسير حتى ظهرت إلى الوجود المدرسة الكوفية ، ولكنها مدرسة قامت على التقليد أولاً ، وعلى المخالفة للبصريين ثانياً ، فجاءت كالنسخة الشبيهة بالأصل ولكنها ليست الأصل .

شاع عن الكوفيين اتساعهم في رواية الأشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويهم وحضريهم¹ ، حتى قال أبو زيد الأنصاري في الكسائي - مؤسس المذهب - : " قدم الكسائي البصرة ، فأخذ عن أبي عمرو ، ويونس ، وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا ، ثم خرج إلى بغداد ، فقدم أعراب الحطمة ، فأخذ عنهم شيئا فاسداً ، فخلط هذا بذاك فأفسده ."²

والاتساع في الرواية يعني بالضرورة الاتساع في القياس ، فهم لا يقيسون على الأكثر - كما هو حال البصريين - إنما أمرهم في ذلك ما قاله أبو القاسم الأندلسي³ عنهم : " الكوفيون لو سمعوا بيتا واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه بخلاف البصريين ."⁴

وهذا الذي حدا ببعض الباحثين إلى أن يقرر بأنه لم يكن للكوفيين أصول يبنون عليها قواعدهم ، غير ما أخذوه عن أساتذتهم البصريين ، ولم يحسنوه ، ثم جعلوا من عدم المنهج في سماعهم منهاجاً خاصاً لهم ، فسمعوا الشاذ واللحن والخطأ ، وأخذوا عن فسدت لغته من الأعراب وأهل الحضر ، فلما اقتضت المنافسة أن يكون لهم قياس كما لأولئك ، بنوه على ما عندهم مما ينتزه عن روايته البصري ، ثم جعلوا كل شاذ

1 - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، 159

2 - السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، 71

3 - هو محمد أبو القاسم بن أحمد بن موفق الأندلسي ، ولد بمرسية سنة 575 هـ ، وتردد إلى بلنسية ، وفيها أخذ النحو أول أمره ، ثم انتقل إلى بلاد المشرق فزار دمشق وبغداد وجلس إلى حلقات العلماء ، حتى استقر به المقام بالشام ، والتف حوله الناس ينهلون من علمه ، من مصنفاته : شرح مقدمة الجزولي ، شرح المفصل ، توفي بدمشق سنة 661 هـ . ينظر في ترجمته : السيوطي ، بغية الوعاة ، 685

4 - السيوطي ، الاقتراح ، 129

ونادر قاعدة لنفسه ، فانتشرت عليهم قواعدهم ولم يعد لها ما يمسكها من نظام أو منطق¹.

هذا ما راج على ألسنة القدماء والمحدثين حول منهج الكوفة في السماع والقياس ، ولا يخفى ما في هذه الأوصاف من عصبية زائدة ولغة جارحة ، فهي بعيدة قطعاً عن اللغة العلمية الموضوعية الهادئة ، وهي - لا شك - نتيجة منطقية للمناخ الذي نشأ فيه المذهب الكوفي ، إذ لم ينشأ ولم يبرز إلا في ظل الإحن والأحقاد التي بدت أو استتارت بالمناظرات والمجادلات بين الفريقين البصريين والكوفيين².

هذا هو المنهج الكوفي جملة على لسان معاشيه وإن شئت على لسان مناوئيه ، ولنفصل الآن في عناصر هذا المنهج ، ولنبرز موقع الفراء من كل ذلك .

ثانياً : السماع عند الكوفيين وعلاقته بالسماع عند الفراء

¹ - سعيد الأفغاني ، في أصول النحو ، ص 206

² - الطنطاوي ، نشأة النحو ، ص 134

ذهب أحمد أمين إلى أن منهج الكوفيين منهج سماع ومنهج البصريين منهج قياس وردّ عليه الأفغاني بأنّ السماع الصحيح هو السماع المصفى الخالي من الشوائب¹ ، وبالتالي فإنّ منهج السماع الحق هو منهج البصريين .

ولكن ماذا سمع الكوفيون ، وما هي مدونتهم ؟

ما من شك في أن السماع عن العرب هو الخطوة الأولى للتنظير والتفصيل ، وإذا تأملنا ما سمعه الكوفيون عن العرب وجدناه لا يخرج من اثنين :

- سماع نقله الكوفيون عن أساتذتهم في البصرة ، قبل أن يستقلوا بوجودهم مدرسة نحوية متميزة .

- سماع انفراد به الكوفيون بشروطهم الخاصة ، (إن كانت هناك شروط) ولم يتحدث الدارسون عن سماع الكوفيين بشقيه حديثهم عن السماع الذي خالفوا فيه البصريين ، فوسعوا دائرته ، وقبلوا رواية ما رفضه البصريون . وجّل النقود التي وجهت إلى الكوفيين في هذا المجال ، إنما كانت موجهة في معظمها إلى الكسائي ، فكأننا به هو الذي فجر الثورة ضد قواعد البصريين ، ولفت انتباه الناس إلى مذهب نحوي جديد ، فروى عن أعراب سواد الكوفة من تميم وأسد وأعراب سواد بغداد من أعراب الحطمة الذين غلّط البصريون لغتهم ولحنوها² . ثم جاء بعده الفراء ليقود السفينة قيادة هادئة توصلها إلى بر الأمان ، فهل كان الفراء في منحاه التجديدي بنفس ثورة الكسائي ؟

نعرف ذلك من خلال ادراك موقع الفراء من العناصر التي يحتويها السماع ، وهي :

1 - كلام العرب :

سار الفراء على نهج شيخه الكسائي في الأخذ عن العرب ، فوسّع الدائرة وتمرد على شروط البصريين وضوابطهم ، وقد تحدثنا عن مصادر الرواية عنده في مكانها المخصص من هذا البحث ، وأشهر الذين أكثر الفراء من الأخذ عنهم في كتابه المعاني

¹ - أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1938 ، 2 / 295 و سعيد الأفغاني ، في أصول النحو ، 208 وما بعدها .

² - مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ، 405

أعراب بني عقيل وبني فقحس وبني كلاب وغيرهم ، واتخذ من كلامهم حجة على ما ذهب إليه من آراء خالف فيها البصريين بل خالف الكسائي شيخه ، كما سنورد لاحقاً ، ويمكن أن نخلص في هذا الباب إلى الملاحظات الآتية :

1- لم يبلغ الفراء كل مرويات البصريين من كلام العرب ، بل استدلل بها في الكثير من المواقف ، وكثير من شواهده الشعرية هي نفسها شواهد سيبويه .

2- نقل عن شيخه الكسائي عدداً غير يسير من شواهد الشعر والنثر وهو في نقله هذا لم يأت بها ليستدل على ما ذهب إليه الكسائي دائماً ، فيميل إلى موافقته ، وإنما ليناقدش ويمحص ويرجح¹ .

3- مرويات الفراء في كتابه المعاني ذات صبغة خاصة فله عدد من الفصحاء محل ثقته وموئل استدلاله واستشهاده .

4- لم يأبه الفراء إلى أن تكون الرواية عن معلوم بالضرورة ، بل روى عن مجاهيل ، شأنه في ذلك شأن معاصريه .

وبهذا يكون الفراء بما سبق ذكره ، قد أقرّ فتح باب الاجتهاد في مجال الاستدلال بكلام العرب ، وبالتالي فقد حقق ثلاث غايات دفعة واحدة ، هذه الغايات هي :

- ردّ بطريقة غير مباشرة على الانتقادات التي وجهت إلى شيخه الكسائي في مجال السماع عن العرب .
- أقرّ أحقية الشواهد البصرية في البقاء .
- وسّع دائرة الاحتجاج ، وهذا يعني بالطبع قلة الحاجة إلى التكييف أو التأويل .

2 - الحديث النبوي الشريف :

ذكرنا في موضع سابق من البحث أن الفراء استدلل ببعض أحاديث للرسول ﷺ، معظمها في مسائل تتعلق باللغة لا النحو . وهو بهذا النزر اليسير يكون قد أوماً إلى النحاة بعده بأن الاستدلال بالحديث النبوي الشريف ليس مستحيلاً ولا منكراً وإنما ممكن طالما كان ذلك في خدمة اللغة العربية ، وهذا يدل على أنه ليس في مدونة الفراء محظورات ولا ممنوعات .

¹ - على سبيل المثال ، ينظر : الفراء ، المعاني ، 1 / 29 ، 401 ، و 2 / 101

3 - القراءات القرآنية :

سبقت الإشارة إلى أن سبب تأخر الكوفيين في المساهمة في نشأة علم النحو وتطويره هو انهماكهم أكثر من البصريين في دراسة القرآن الكريم ورواية أشعار العرب ، ولذلك لما اختير القراء السبعة كان ثلاثة منهم كوفيون ، هذا شيء ، والشيء الآخر هو أن النحاة لما طفقوا يتناولون القراءات ويبحثون في مدى موافقتها لكلام العرب ، كان الكسائي الكوفي من الأوائل الذين انتقدوا القراءات وأبدوا فيها آراءهم قبولاً ورفضاً¹، فلا جرم أن يسير الفراء على نهج شيخه الكسائي ، وهكذا يصبح انتقاد القراءات سواءً بسواء بين البصريين والكوفيين ، لكن لكل نحوي مواقفه الخاصة ولونه الذي تميز به في هذا الجانب .

فماذا كان أمر الفراء في هذا الموضوع ؟

لقد دأب الكثير من الدارسين على توجيه اللوم الشديد لهذا النحوي أو ذاك ، لأنه رفض هذه القراءة المتواترة أو اعتدّ بتلك الشاذة ، وقد بينا - في ما مضى من البحث - سبب هذه المواقف التي صدرت عن النحاة ، وعلى وجه الخصوص الأخفش والفراء ، وبذلك تزول دواعي اللوم والانتقاد .

والفراء بالطبع لم ينجُ من هذا اللوم فقد رفض بعض القراءات المتواترة وغلّط بعض القراء²، واحتفى أيما احتفاء بقراءة ابن مسعود مثلاً وهي من الشواذ ، وقد أوردنا أمثلة لكل ذلك في ما مضى ، لكن الذي يعيننا في هذا المقام علاقة هذه المواقف من القراءات بالنحو الكوفي . هل كان الدافع الوحيد هو الرغبة في مخالفة البصريين وتثبيت قواعد النحو الكوفي ، أم هناك دوافع أخرى ؟

إن المتأمل للفراء إزاء هذه القراءات المختلفة يستنتج أنها تصدر عن ذهنية علمية دقيقة وعقل خصب يريد الحقيقة العلمية التي تطمئن إليها النفس بصرف النظر عن موافقة ذلك للكوفيين أو البصريين .

فقد كان الفراء بصرياً في مواقف منها :

¹ - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 157

² - ينظر مبحث : " الفراء والقراءات " من الفصل الأول : النقل وأثره في التقعيد اللغوي عندهما

• منع الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف أو الجار والمجرور:

فقد رفض قراءة عبد الله بن عامر :

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ الأنعام 137

وعلق عليها بالقول : " وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية .¹"

• لا يصح العطف على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض :

فقد علق على قراءة الجر² (جرّ " الأرحام ") في قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ النساء 1

حيث ذكر أن في ذلك قبحا ، لأن العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض وقد كني عنه ، وإن استدلّ على ذلك بالشعر فإنه يجوز لضيقه .³

• منع النصب في " فَيَكُونُ " من قوله تعالى :

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ البقرة 117

وهذا ما ذهب إليه سيبويه عندما قال : " واعلم أن الفاء لا تضمّر فيها " أن " في الواجب ولا يكون في هذا الباب إلا بالرفع " واستدلّ بقوله تعالى ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، ثم ذكر أن النصب في هذا جائز لضرورة الشعر.⁴

يفهم من كلام سيبويه أن النصب في هذا الباب ممتنع مطلقا ، ودليله من القرآن كان عاما أيضا ، فقوله سبحانه : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ لم يرد مرّة واحدة في كتاب الله ، إنما تكرر ثماني مرات⁵.

أما الفراء فقد وافق سيبويه في أنه لا يكون في هذا الباب إلا بالرفع ، وهذا عند تناوله الآية السالفة (البقرة 117) ، يقول : " رفعٌ ولا يكون نصبا ، إنما هي مردودة على

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 358

² - وهي قراءة حمزة والنخعي وقتادة والأعمش ، ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 3 / 165

³ - الفراء ، المعاني ، 1 / 252 ، 253 ، و 2 / 86

⁴ - سيبويه ، الكتاب ، 3 / 38 ، 39

⁵ - هذه المرات الثماني هي في السور والآيات الآتية :

البقرة 117 / آل عمران 47 ، 59 / الأنعام 73 / النحل 40 / مريم 35 / يس 82 / غافر 68 .

﴿ يَقُولُ ﴾¹. " غير أن أبا زكريا كان دقيقا في موافقته سيبويه ، فلم تكن هذه الموافقة مطلقة ، فإذا كان قد قال بالرفع في آية البقرة ، وآية الأنعام ، فإنه قال بالنصب في آيتي النحل ويس ، وعلل ذلك بأنها مردودة على فعل قد نصب بـ " أن " ، ثم يعلق على قراءة الرفع عند الفراء بأن ذلك صواب أيضا ، ويشير هنا إلى أنه يخالف الكسائي الذي لا يقول إلا بالنصب ولا يجوز الرفع².

هكذا تبدو شخصية الفراء واضحة المعالم ، فهو لا يوافق على بعض الآراء ولا ينقاد إليها تبعا لشيوعها أو مكانة صاحبها ، ولكنه يفعل ذلك عن اقتناع واطمئنان إلى الدليل . تلك هي مواقف الفراء من القراءات والتي وافق فيها البصريين ، أما ما وافق فيها الكوفيين فمنها :

• جواز إقامة غير المفعول مقام الفاعل مع وجود المفعول :

منع البصريون أن ينوب غير المفعول مناب الفاعل في حال وجود المفعول ، غير أن الكوفيين قالوا بالجواز مستدلين بقراءة أبي جعفر للآية الكريمة :

﴿ لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية 14 ، بدلا من ﴿ لِيُجْزَى ﴾ بالبناء للمعلوم وهي قراءة الجمهور³ ، أما الفراء فقد قال في الآية : " وقد قرأ بعض القراء فيما ذكر لي : ﴿ لِيُجْزَى قَوْمًا ﴾ ، وهو في الظاهر لحن ، فإن كان أضمر في " يُجْزَى " فعلاً يقع به الرفع ، كما تقول : أُعْطِيَ ثوبا ، لِيُجْزَى ذلك الجزاء قوماً فهو وجه⁴.

لقد كان الفراء موضوعيا في موقفه من القراءة المذكورة ، فهو لم يتردد في أن يصفها باللحن ، لكنه مع ذلك برّر لها بما لا يتنافى مع كلام العرب ، فيجوز أن يكون نائب الفاعل مستترا ، ويصبح الفعل " يُجْزَى " مما ينصب مفعولين ، مثل " أُعْطِيَ " وهذا رأي كوفي صرف .

• جواز وقوع جملة الماضي حالاً دون الاقتران بـ " قد " :

ذهب الفراء إلى أن جملة " حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ " من الآية الكريمة :

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 74

² - نفسه ، 1 / 75

³ - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 8 / 45

⁴ - الفراء ، المعاني ، 3 / 46

﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ النساء 90

هي جملة في محل نصب حال مستدلاً بقراءة الحسن ﴿ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ ﴾ وبكلام العرب ، ومنه قولهم : " أتاني ذهب عقله " يريدون : قد ذهب عقله .

• إقراره قراءة رفع الدال واللام من " الحمدُ لله " أو خفضهما¹ ، وهي القراءة التي استدلَّ بها الكوفيون على أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل طلباً للمجانسة² ، وقد وصف ابن الأنباري هاتين القراءتين بالشذوذ في الاستعمال والضعف في القياس³ .

هكذا إذاً ، لم يكن هناك مانع يمنع الفراء من أن يساند الكوفيين في قواعد بنوها على شذوذ القراءات ، ناهيك عن كوفيته الخالصة في سائر الآراء التي بنيت على القراءات المتواترة⁴ .

وخلاصة السماع عند الفراء مقارنة بالسماع عند الكوفيين ما يأتي :

- 1- تجاوز الفراء في سماعه ما نقله عن البصريين ، وما نقله عن الكسائي شيخه ، وأوجد له دائرة أخرى دعمت السابق وأثرته .
- 2- استدلال الفراء بالحديث النبوي الشريف واضح في كتابه - وإن كان قليلاً - مما يوحي بأن إقصاءه من شواهد النحو واللغة أمر لا مبرر له .
- 3- موقف الفراء الكوفي من القراءات يجعل ما روجه البعض عن الكوفيين إزاءها أمر فيه نظر . فليس صحيحاً إذاً أن الكوفيين قبلوا كل القراءات ولم يتوقفوا عند أيٍّ منها ، بل يقول شوقي ضيف عن الفراء : " ولا نعلم بصرياً جاء بعده وردّ مثل هذا القدر من القراءات ، بل لقد كان المازني والمبرد البصريان وأضرابهما ممن توقفوا بإزاء بعض القراءات متابعين له مقتدين به⁵ "

¹ - قرأ برفع الدال واللام إبراهيم بن أبي عبله ، وقرأ بخفضهما الحسن وزيد بن علي . ينظر :

أبو حيان ، البحر المحيط ، 1 / 131

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 3 ، 4

³ - ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 / 737

⁴ - الفراء ، المعاني ، ينظر على سبيل المثال : 2 / 55 ، 56 و 3 / 95

⁵ - شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 223

ثالثاً : القياس عند الكوفيين وعلاقته بالقياس عند الفراء

إن الاتساع في السماع الذي عرف به الكوفيون يفضي بالضرورة إلى الاتساع في القياس ، وعندما نحاول أن نستجلي سر ذلك ، نجد أن العامل الأساسي هو طلب المخالفة ، فرغبة مؤسسي مدرسة الكوفة وهما الكسائي أولاً ، والفراء ثانياً في إيجاد توجه نحوي بديل عن البصرة ، دفع بهما إلى اعتماد قواعد البصريين طالما حققت الهدف ، فإن ضاقت به فلا بأس من الخروج عن هذه القواعد بابتداع قواعد جديدة ظهرت في هذا السماع وذلك القياس .

هذا ما نلمسه عند الفراء في جملة من آرائه ، والتي قامت أساساً على مخالفة البصريين ومن ساندتهم ولو كان كوفياً ، فأبو زكريا يهدف أولاً وأخيراً إلى إيجاد مدرسة نحوية متميزة بأصولها ومصطلحاتها وقواعدها عن مدرسة البصرة ، فمن آرائه ما خالف فيه البصريين ، ومنها ما خالف فيه الكوفيين ومنهم الكسائي .

1 - آراءه التي خالف فيها البصريين :

• ذهب البصريون إلى أنه إذا اجتمع شرط وقسم ، وتقدم القسم كان الجواب للقسم لا للشرط ، وكثيراً ما تدخل على أداة الشرط هنا لام تسمى اللام المؤذنة للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط ، وتسمى اللام الموطئة أيضاً لأنها وطأت الجواب للقسم أي مهّته¹ .

لكن الفراء ذهب إلى أن الجواب في هذه الحال يجوز أن يكون للشرط لا للقسم ، واستدل بقول الأعشى : (من البسيط)

لئن مُنبتَ بنا عن غبِّ معركةٍ لا تُلفنا من دماءِ القومِ ننتقلُ

وبقول الآخر : (من الطويل)²

حلفتُ له إن تدلج الليل لا يزل أمامك بيتٌ من بيوتِي سائرُ

¹ - ابن هشام ، مغني اللبيب ، 231

² - البيت مجهول القائل ، وهو في : البغدادي ، الخزانة ، 11 / 341

فـ " لا تُثْفِنَا " في بيت الأعشى ، و " لا يزلُ " في البيت الثاني ، جزمنا لأنهما جواب للشرط¹.

• " لكنّ " مركبة وليست بسيطة :

ذهب البصريون إلى أن " لكنّ " بسيطة ، بينما ذهب الفراء إلى أنها مركبة من : (لكنّ) و (أنّ) ، فطرحت الهمزة للتخفيف ونون " لكنّ " للساكنين².

يقول الفراء : " وإنما نصبت العرب بها (يقصد " لكنّ ") إذا شددت نونها ، لأن أصلها : إنّ عبد الله قائم ، فزيدت على " إنّ " لام وكاف ، فصارتا جميعا حرفا واحدا ، ألا ترى أن الشاعر³ قال : (من الطويل)

ولكنني من حُبّها لكميد

فلم تدخل اللام إلا لأنّ معناها " إنّ " ، وهي في ما وُصِلت به من أولها بمنزلة قول الشاعر⁴ :

لَهْنَكِ مِنْ عَبَسِيَّةٍ لَوْ سِيَمَةٌ عَلَى هَنَوَاتٍ كَاذِبٍ مِنْ يَقُولُهَا⁵

يستفاد من كلام الفراء :

- الأصل في " لكنّ " هو " إنّ " وصلت من أولها بلام وكاف ، واستدل على ذلك

بشاهد نحوي معزول عرف به الكوفيون ، يقول عنه ابن هشام وغيره :

" لا يعرف له قائل ولا تنمة ولا نظير"⁶ ، والأمر نفسه مع الشاهد الثاني الذي قاس فيه " لكنّ " على " لهنك " الواردة في البيت ، وهو شاهد شعري مجهول القائل⁷.

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 68 ، 69

² - ابن هشام ، مغني اللبيب ، 282

³ - الشاعر مجهول ، والبيت في :

ابن الأنباري ، الإنصاف ، 1 / 209 . وابن يعيش ، المفصل ، 8 / 62 ، 64 ، 79

⁴ - الشاعر مجهول ، والبيت في :

ابن الأنباري ، الإنصاف ، 1 / 209 . وابن منظور ، اللسان ، 13 / 393 ، مادة : " لهن "

⁵ - الفراء ، المعاني ، 1 / 465 ، 466

⁶ - ابن هشام ، المغني ، ص 283 ، وابن الأنباري ، الإنصاف ، 1 / 214

⁷ - ناصر علي ، شرح أبيات معاني القرآن للفراء ، دار سعد الدين ، دمشق ، 1430هـ / 2009 هـ ، ص 231

- الدليل على أن أصلها " إن " هو دخول اللام على خبرها ، وما ثبت في الأصل يجوز في الفرع .

• الخبر لم يحذف بعد الواو وإنما سدّت مسدّه :

ذهب البصريون إلى أن الخبر واجب الحذف بعد الواو التي بمعنى " مع " نحو : كلّ^٣ وشأنه . لكن الكوفيين ذهبوا إلى أن الواو سدّت عنه .¹

يقول الفراء تعقيباً على البيت² : (من الكامل)

الآن بعد لجاجتي تَلَحُّونَنِي هَلَّا التَقَدُّمُ وَالْقُلُوبُ صِحَاحُ

" بِمَ رُفِعَ التَقَدُّمُ ؟ قلت : بمعنى الواو في قوله (والقلوب صحاح)³

يتساءل أبو زكريا عن رافع المبتدأ (التقدّم) ويقصد الخبر ، فيجيب أن معنى الواو وهو المعية أو الاقتران هو الذي أغنى عن الخبر ، إذاً لا حاجة إلى تقدير خبر كما ذهب إلى ذلك البصريون .

• يجوز في تمييز " كم " الخبرية الرفع والنصب والجر :

ذهب البصريون إلى أن تمييز " كم " الخبرية واجب الجر ، وتمييز الاستفهامية منصوب إلا إذا سُبِقَتْ " كم " بحرف جر .⁴

بينما ذهب الفراء إلى جواز الرفع والنصب والجر في تمييز " كم " الخبرية ، يتضح ذلك عند تناوله قوله تعالى :

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ البقرة 249

فتمييز " كم " هنا مجرور لأنه مسبوق بـ " من " ، فإذا حذف جاز فيه - عند الفراء - النصب والجر والرفع . يقول : " فإذا ألقيت " من " كان في الاسم النكرة النصب والخفض ، من ذلك قول العرب : كم رجلٍ كريمٍ قد رأيت ، وكم جيشاً جرّاراً قد هزمت

¹ - السيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 392

² - الشاعر مجهول ، والبيت في :

أبو العباس ثعلب ، مجالس ثعلب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط6 ، القاهرة ،

2006 . 1 / 60

³ - الفراء ، المعاني ، 1 / 198

⁴ - السيوطي ، همع الهوامع ، 2 / 350 ، 352 و ابن هشام ، المغني ، 184

. فهذان وجهان ينصبان ويخفضان ... وجاز أن تُعمل الفعل فتُرفع به النكرة ، فنقول :
كم رجلٌ كريمٌ قد

أُتاني ... وأنشدوا قول الشاعر¹: (من الكامل)
كم عمّة لك يا جرير وخالةٍ فدعَاءٌ قد حَلَبْتُ عليَّ عِشَارِي
رفعا ونصبا وخفضًا .² "

2- آراؤه التي خالف فيها الكوفيين ومنهم الكسائي :

إن مخالفة أبي زكريا للكوفيين ومنهم الكسائي شيخه في بعض المسائل النحوية لا تعني خروجاً عن الخط الذي رسمه الكسائي مؤسس المدرسة الكوفية ، ولكنه يعني إثراء للقواعد النحوية لهذه المدرسة ودعمها لها .

من بين المسائل التي خالف فيها الفراء المدرسة وشيخها :

• لا يصح العطف على اسم " إن " بالرفع إلا إذا كان اسمها غير واضح الإعراب:
هذه من أشهر المسائل التي خالف فيها الفراء الكسائي ، وقد بسط الفراء فيها رأيه عند تناوله قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى ﴾ المائدة 69

يقول عن رفع (الصابئون) :

" فإن رفع (الصابئين) على أنه عطف على (الذين) ، و (الذين) حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه (أي مبني) ، فلما كان إعرابه واحداً ، وكان نصب (إن) نصبا ضعيفا ، (يقصد بالضعف أن " إن " تنصب الاسم ولا ترفع الخبر ، وهذا

¹ - الشاعر هو الفرزدق . وفيه : دعاء : ذات اعوجاج وعيب في القدم . والعِشَار : جمع عِشْرَاء ، وهي الناقة في شهرها العاشر من حملها . ينظر :

سبويه ، الكتاب ، 2 / 72 ، 162 ، 166 . و البغدادي ، الخزانة ، 6 / 485 ، 489 ، 495 ، 498

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 168 ، 169

مذهب الكوفيين) جاز رفع الصابئين . " ثم يذكر أنه لا يستحب أن يقول " إن عبد الله وزيدٌ قائمان " لأن الحركة ظاهرة في " عبد الله " على خلاف الكسائي الذي يجيز ذلك لضعف " إن " مستدلاً (أي الكسائي) بالبيت : (من الطويل)

فمن يكُ أمسى بالمدينة رحلهُ فإني وقيارٌ بها لغريبٌ¹

يرد عليه الفراء قائلاً : " وقيارٌ ، ليس بحجة للكسائي في إجازته " إن عمراً وزيدٌ قائمان" ، لأن " قيَّاراً " قد عطف على اسم مكني عنه (أي ضمير) والمكني لا إعراب له ، فسهل ذلك فيه كما سهل في (الذين) إذا عطفت عليها (الصابئون) ، وهذا أقوى في الجواز من (الصابئون) لأن المكني لا يتبين فيه الرفع في حال.²

• جواز النصب — " أن " محذوفة من غير بدل :

ذهب الكوفيون إلى أن " أن " الخفيفة تعمل في المضارع النصب مع الحذف من غير بدل ، واستدلوا بقراءة ابن مسعود للآية الكريمة :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ بدلاً من ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ البقرة 83 وبقول طرفة : (من الطويل)

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضِرِ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي³

يظهر أن الفراء لا يختلف مع الكوفيين في جواز نصب المضارع بـ " أن " محذوفة من غير بدل ، لأنه استدلَّ ببيت طرفة المذكور على المسألة نفسها ، وعقب بعد ذلك قائلاً : " ألا ترى أن ظهور " أن " في آخر الكلام يدل على أنها معطوفة على أخرى مثلها في أول الكلام وقد حذفها .⁴ "

¹ - البيت لصابي بن الحارث البرجمي ، من قصيدة قالها في سجنه بالمدينة على عهد عثمان ؓ ، عوقب لهجائه قوماً من بني جرول ، وقيار اسم فرسه ، والرحل : المنزل ، ينظر :

سيبويه ، الكتاب ، 1 / 75 . و البغدادي ، الخزانة ، 10 / 312 ، 313 ، 320 . وابن يعيش ، المفصل ،

1 / 93 ، و 8 / 68

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 311

³ - سيبويه ، الكتاب ، 3 / 99 ، 100 ، وابن الأنباري ، الإنصاف ، 2 / 559 ، 560 ، وابن يعيش ،

شرح المفصل ، 4 / 28 ، و 7 / 52

⁴ - الفراء ، المعاني ، 3 / 265

لكنه يختلف مع الكوفيين في الشاهد القرآني وذلك من وجهين :

- لا ينسب الفراء هذه القراءة (الشاذة) إلى ابن مسعود وإنما إلى أبي .
 - لا يرى في الفعل (لا تعبدوا) منصوبا بـ " أن " محذوفة وإنما مجزوم ، لأنه مسبوق بـ " لا " الناهية ، يقول : " وفي قراءة أبي ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُوا ﴾ ومعناها الجزم بالنهاي¹ .
- وهكذا أسقط الفراء هذا الدليل من أيدي الكوفيين ووجهه وجهة أخرى .

• إعراب التاء والكاف من " أَرَأَيْتَكَ "

اختلفت الآراء في إعراب التاء والكاف من (أَرَأَيْتَكَ) ، فذهب سيبويه إلى أنّ التاء فاعل والكاف حرف خطاب ، وقال الكسائي التاء فاعل والكاف مفعول أما الفراء فقال : التاء حرف خطاب والكاف فاعل² ، وقد برز رأيه واضحا في تناوله لقوله تعالى : ﴿ قُلْ

أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ آل عمران 40

يرى الفراء أن للعرب في " أَرَأَيْتَ " لغتان ومعنيان :

أحدهما بأن تسأل الرجل عن غيره نحو: " أَرَأَيْتَ زَيْدًا " أو عن نفسه ، نحو: " أَرَأَيْتَكَ على غير هذه الحال ؟ .

المعنى الآخر ، سؤال بمعنى " أخبرني " وفيه تلزم التاء من " أَرَأَيْتَ " حركة واحدة هي الفتح كيفما كان نوع المخاطب أو عدده ، ولذلك لا تعرب فاعلا في رأي الفراء ، إنما الفاعل " الكاف " التي تليها ، يقول عنها : " وإنما تركت العرب التاء واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل منها واقعا على نفسها ، فاكتفوا بذكرها في الكاف ...وموضع الكاف نصب وتأويله رفع³ .

3- آراء انفرد بها :

1 - السابق ، 1 / 53

2 - ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص 181

3 - الفراء ، المعاني ، 1 / 333

للفراء في معانيه آراء نحوية لا تربطها صلة بالكوفيين ولا البصريين موافقة أو اختلافًا ، ولكنها آراء خاصة تميز بها ، من هذه الآراء :

• " لات " حرف جرّ :

الجمهور على أن " لات " مشبهة بـ " ليس " في العمل ، وقيل تعمل عمل " إن " وقيل لا عمل لها ¹ ، أما الفراء فعدها حرف جرّ تجرّ أسماء الزمان ، واستدلّ بقول الشاعر² :
(من الطويل)

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلاَتَ أَوَّانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءٍ ³

• " إلا " لا تكون بمعنى الواو :

ردّ الفراء على الكوفيين ومعهم الأخفش على قولهم أنّ " إلا " يمكن أن تكون بمنزلة الواو ، كما في قوله تعالى :

﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ البقرة 150

وفي رأيه أنّ ذلك لا يصح إلا بشرط ، وهو أن تكون " إلا " قد عُطفت على استثناء قبلها ، فعندئذٍ تصير بمنزلة الواو ، واستشهد بقول الشاعر⁴ : (من البسيط)
ما بالمدينة دارٌ غيرٌ واحدةٍ دارُ الخليفة إلا دارُ مروان
كأنه أراد : ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان⁵ .

هذا نزر يسير من الآراء التي تميّز بها الفراء ، فخالف فيها البصريين أو خالف الكوفيين ومنهم الكسائي ، أو انفرد بها ، والحقيقة أن كتب النحو زاخرة بهذه التي كان لبعض منها ظلال في المعاني ، حتى لكأنّ الفراء يشكل مذهباً نحويًا لوحدته .
ومجمل القول في الأقيسة التي أثمرت هذه الآراء هو أنها أقيسة كوفية اعتمد فيها الشاهد الواحد المجهول وفضلت فيها الرواية الكوفية للشاهد على سواها .

¹ - السيوطي ، همع الهوامع ، 1 / 461

² - البيت لأبي زيد الطائي ، وهو في : ابن الأنباري ، الإنصاف ، 1 / 109 . والبغدادي ، خزنة الأدب ،

4 / 183 ، وابن يعيش ، المفصل ، 9 / 32

³ - الفراء ، المعاني ، 2 / 398

⁴ - البيت للفرزدق ، كما في : سيبويه ، الكتاب ، 2 / 340

⁵ - الفراء ، المعاني ، 1 / 89 ، 90

لكن كتاب " معاني القرآن " للفراء لا يضم هذه الآراء المخالفة دون سواها ، بل فيها الكثير من الأحكام التي انبنت على شواهد بصرية أو التي صرّح فيها برفضه للقياس على القليل ، ولا نذهب بعيدا إذا قلنا إنّ من الأحكام النحوية التي تضمنها كتاب الفراء ما يوافق الوجهة البصرية ممثلة في الأَخْفَش الأوسط من خلال كتابه " معاني القرآن " .
وهاهي بعض الآراء المشتركة بينهما :

رابعا : آراء مشتركة بين الأَخْفَش والفراء

1- " لولا " بمعنى " هلا " :

ذكر ابن هشام أنّ من استعمالات " لولا " أن تكون بمعنى " هلا " مستدلاً بقوله تعالى :
﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ ﴾ 98
يقول : " والظاهر أن المعنى على التوبيخ أي : فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك ... ويلزم من هذا المعنى النفي لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع . " ¹

وهذا ما ذهب إليه الفراء مستدلاً بقراءة أبي قائلا : " وهي في قراءة أبي (فهلا)
ومعناها : أنهم لم يؤمنوا . " ²

أما الأَخْفَش ، فبعد إيراد الآية السابقة أشار إلى أنّ " فلولا كانت معناها " فهلا كانت " ³.

2- توجيه لغة أكلوني البراغيث :

جاءت هذه اللغة في موضعين من القرآن الكريم ، هما الآيتان :

• ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ المائدة 71

• ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الأنبياء 3

¹ - ابن هشام ، المغني ، 268

² - الفراء ، المعاني ، 1 / 479

³ - الأَخْفَش ، المعاني ، 1 / 115

اعتنى الفراء بالآيتين في كتابه ، بينما أهمل الأخفش آية المائدة ، وملخص توجيه الفراء للآيتين ينحصر في ثلاث احتمالات :

- " الذين " نعت للناس في محل جرّ ، كأنك قلت : " اقترب للناس الذين هذه حالهم".
- " الذين " مستأنفة في محل رفع كأنك جعلتها تفسيرا للأسماء (أي للضمير) التي في " أسروا " .

- " الذين " في محل رفع على لغة " ذهبوا قومك " ¹.
- ويظهر أن الأخفش اتفق مع الفراء في الاحتمالين الأخيرين فرأى في " الذين ظلموا " جملة مستأنفة تفسيرا للتي قبلها ، " وأسروا النجوى " ، أو أن جملة " وأسروا النجوى الذين ظلموا جاءت على لغة : " ضربوني قومك " ².

3- قد تجيء الواو العاطفة زائدة :

ذهب الفراء إلى أن الواو زائدة في قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ۖ الزمر 73 ﴾

واستدل على ذلك بأمرين اثنين :

- إن العرب تدخل الواو في جواب " فلما " و " حتى إذا " وتلقيها ، وهذا في قوله

تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ ﴾ الصافات 103 وكذلك في الآية 73 من

سورة الزمر سألقة الذكر .

- قراءة عبد الله بن مسعود للآية : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ وَجَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ

أَخِيهِ ﴾ يوسف 70 ، وهي عند غيره بغير الواو . وهذا دليل على جواز حذفها. ³

هذا وقد ذهب الأخفش نفس المذهب في الآية نفسها (الزمر 73) واستدل على ذلك بقول الشاعر: ⁴ (من الكامل)

¹ - الفراء ، المعاني ، 1 / 316 ، و 2 / 198

² - الأخفش ، المعاني ، 2 / 410

³ - الفراء ، المعاني ، 2 / 390

⁴ - البيت لتميم بن أبي بن مقبل ، وهو في : البغدادي ، خزنة الأدب ، 11 / 58 ، و ابن منظور ، اللسان ،

12 / 551 ، مادة " لمم "

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٍ بِخِيَالِ

يقول : " فيشبهه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن " ¹

4- " لئن " بمعنى " لو " :

" لئن " مكونة من لام القسم و " إن " الشرطية ، وإذا اجتمع القسم والشرط كان الجواب للسابق وهو القسم ، والقسم يدل على الاستقبال وإن جاء على صيغة الماضي ، هذا هو مذهب سيبويه ، قياسا على قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ الروم 51

يقول سيبويه : " وقال : لئن فعلت ما فعل ، يريد معنى ما هو فاعل وما يفعل ، كما كان لظلوا مثل ليظلن ² ."

أما الأخفش فيرى أن " لئن " (التي تلازم الاستقبال) صارت بمعنى " لو " (التي تفيد الماضي) ، يقول في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ البقرة 145

يقول : " لأن معنى قوله : (وَلَئِن آتَيْتَ) " لَوْ آتَيْتَ " ، ألا ترى أنك تقول : لئن جئتني ما ضربتكَ على معنى " لو " ، كما قال سبحانه :

﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا ﴾ الروم 51

يقول تعالى : " ولئن أرسلنا ريحاً ، لأن معنى " لئن " مثل معنى " لو " لأن " لو " لم تقع ، وكذلك " لئن " ³ .

يظهر إذاً أن الفارق بين سيبويه والأخفش ، هو أن سيبويه قدر فعل الجواب بالمضارع لينسجم مع القسم الذي يحتاج إلى الاستقبال ، أما الأخفش فأبقى الفعل على معناه الماضي والذي تدل عليه صيغته .

ويتطابق الفراء مع الأخفش في تحليله للآية السابقة وهي الآية الخامسة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة ، يقول :

¹ - الأخفش ، المعاني ، 125 / 1 ، و 458 / 2

² - سيبويه ، الكتاب ، 108 / 3

³ - الأخفش ، المعاني ، 151 / 1

" أُجِيبَتْ (لَنْ) بما يجاب به (لو) ، و" لو " في المعنى ماضية ، و" لَنْ " مستقبلة ، ولكن الفعل ظهر فيهما " يفْعَل " ، فأجيبنا بجوابٍ واحدٍ ، وشبهت كل واحدةٍ بصاحبتهما ¹ ."

هذه باقة من الآراء النحوية التي شاعت عن الشيخين الأخفش والفراء بمختلف توجهاتها ، وهي ليست كلها بالطبع لأن كتب النحو ومصادره تحوي أضعافا مضاعفة من هذا الذي ذكر ، غير أنني اعتمدت في تسجيلها بعض ما ورد منها في كتابيهما " معاني القرآن " باعتبارهما مدونة البحث أولا ، ودليلا صريحا على نسبة هذه الآراء إليهما ثانيا.

¹ - الفراء ، المعاني ، 84 / 1

الْحَقِيقَةُ

نتائج البحث

- قيمة كتابي " معاني القرآن " لكل من الأخصش والفراء تظهر في أنهما من أقدم المصادر وأوثقها بعد كتاب سيبويه ، فضلا على اشتمالهما على أهم الآراء النحوية للبصريين والكوفيين .
- ليست هناك فروق جوهرية بين أصول اللغة وأصول النحو في العربية ، إنما هي أصول مشتركة ، كل ما في الأمر أنّ البحث اللغوي يرتكز كثيرا على السماع بعناصره مجتمعة ، أما البحث النحوي فيرتكز على القياس على اختلاف بين النحاة في طريقة استعماله .
- مكانة القرآن الكريم عند الشيخين مقدّسة ، لا ريب في ذلك ، وردّهما لبعض القراءات لا يقدر في هذه المكانة .
- انتقاد بعض الدارسين للشيخين ومن في طبقتهم بسبب ردهما بعض القراءات سببه عدم مراعاة البيئة العلمية التي درجا فيها .
- الإجماع أصل مختلف فيه ، واعتماد القدماء عليه لم واضحا كل الوضوح ، إنما يفهم من خلال كلامهم ، بخلاف المتأخرين الذين اعتمدوه وعولوا عليه كثيرا في الإستدلال و الإستنباط .
- إنّ كلّ ما قد قيل عن دائرة الإحتجاج في الزمان والمكان إنما هو كلام نظري إلى حد كبير ، لا يؤيده واقع ، هذا عند الطبقات الأولى من والنحاة ، أما المتأخرون فقد حاولوا تقنين المسألة وتنظيرها .
- يمكن القول أن الفراء أول من أبرز أحقية الحديث النبوي الشريف في الإستشهاد اللغوي والنحوي ، فقد تضمن كتابه أحاديث نسبها للرسول ﷺ ، وكان كلامه صريحا في أنه اعتمدها دليلا في اللغة أو النحو .
- إذا كان الفراء يمثل الإتجاه الكوفي في أغلب آرائه ، فما قيل عن الكوفيين في اضطراب قياسهم وفساد سماعهم أمر لا دليل عليه .
- بصرية الأخصش أمر لا خلاف فيه ، وموضوعيته التي دفعته إلى الإعتراف بالرأي المختلف وربما تبنيه ، جعلت بعض الدارسين ينسبه إلى الكوفيين أو إلى

البغداديين ، أو يُتَّهَم بالتناقض في إصدار آرائه النحوية ، وكل تلك أحكام عاجلة تفتقر إلى التريث .

- تحليل الظواهر اللغوية عند الشيخين كان تعليلا لغويا محضا ، يقوم على الحسّ ويستند إلى الواقع ، وعلى الرغم من أنّ لهما باعًا في الجدل الفلسفي بحكم إعتزاليتهما ، إلا أنّ هذا لم يكن له أثر يذكر في تعليلتهما .

- إنّ الدارس لآراء أبي الحسن الأخفش والتي ازدحمت بها كتب اللغة ليستنتج أنّ الرجل لم يكن يملك من عصبية المذهب البصري شيئا بل كان بصريا مرة ، وكوفيا مرة أخرى ، ومستقلاً عنهما مرّةً ثالثة ، وهذا الذي أثرى المذهب البصري ووطد أركان المذهب الكوفي ، وفتح للعربية آفاقا رحبةً في البحث والدراسة .

- عصبية الفراء للكوفيين واضحة في كتابه - وإن لم تكن من النوع المقيت - وقد ظهرت في غلبة النزعة الكوفية على آرائه ، واستعماله مصطلحات نحوية خالف فيها البصريين ، وكذلك ردّه على نحاة البصرة في أكثر من موضع .

المصادر والمراجع

- المصحف الشريف ، برواية حفص عن عاصم ، دار الريادة للنشر والتوزيع ، ط2 ، دمشق ، 1431هـ / 2010 م

أولا - الكتب المطبوعة :

- إبراهيم رفيده
- 1- النحو وكتب التفسير ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ط2 ، طرابلس الجماهيرية العظمى ، 1984 م
- إبراهيم مصطفى وآخرون
- 2- المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة ، (د.ت) • أحمد أمين ،
- 3- ضحى الإسلام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1938م
- 4- فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، ط10 ، بيروت ، 1969م
- أحمد مكي الأنصاري ،
- 5- أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة ، القاهرة ، 1964م
- أحمد بن يوسف الحلبي ،
- 6- الدر المصون ، تحقيق : د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق (د.ت) • الأخفش الأوسط ، (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، ت 215هـ)
- 7- معاني القرآن ، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، ط1 ، بيروت ، 1985 م
- 8- معاني القرآن ، تحقيق : فايز فارس ، ط2 ، الكويت ، 1981م
- 9- معاني القرآن ، تحقيق : هدى قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990م
- الإسترأبادي ، (الرضي محمد بن الحسن ، ت ؟)
- 10- شرح الكافية ، تحقيق : يوسف حسن عمر ، منشورات قار يونس ، ط2 ، بنغازي ،

1996م

• امرؤ القيس

11- ديوان امرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط5
القاهرة (د.ت)

• ابن الأنباري ، (أبو البركات عبد الرحمان بن محمد ، ت 577 هـ)

12- الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر
بيروت (د . ت)

13- لمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ،
1377هـ/1957م

14- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ،
الزرقاء ، ط3 ، الأردن ، 1985م

• ابن الأنباري ، (أبو بكر محمد بن القاسم ، ت 328هـ)

15- كتاب الأضداد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت
1407هـ / 1987م

16- المفضليات ، لأبي العباس المفضل الضبي ، شرح أبي القاسم بن الأنباري ،
تحقيق:

كارلوس يعقوب لایل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1920

• البخاري ، (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، ت 256هـ)

17- صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير - اليمامة ،
بيروت 1407 هـ / 1987م

• البغدادي ، (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، ت 463هـ)

18- تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت)

19- الكفاية في علم الرواية ، تحقيق : أبو عبد الله السـورقي وإبراهيم
المـدني ، دار

المكتبة العلمية ، المدينة المنورة (د.ت)

• البغدادي ، (عبد القادر بن عمر ، ت 1093هـ)

20- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة

- الخانجي ، ط4 ، القاهرة ، 1418هـ / 1997م .
- ثعلب ، (أبو العباس أحمد بن يحيى ، 291 هـ)
- 21- مجالس ثعلب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط6 ، القاهرة ،

2006 م

- الجاحظ ، (أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت 255هـ)
- 22- البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب ، ط1 ، بيروت ، 1968م
- الجمحي (محمد بن سلام ، ت 231 هـ)
- 23- طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : طه أحمد إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، ط1 ،

بيروت ، 1402هـ / 1982م

- ابن جنبي ، (أبو الفتح عثمان ، ت 392 هـ)
- 24- الخصائص ، تحقيق : عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية ط2 ، بيروت ،
- 2002 م

- 25- الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ،
- 1952م

- 26- المحتسب في تبين شواذ القراءات ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي

القاهرة ، 1386 هـ

- حاتم الضامن
- 27- شعراء مقلون ، عالم الكتب ط1 ، 1407هـ / 1987م
- ابن الحاجب ، (أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوني ، ت 646 هـ)
- 28- الإيضاح في شرح المفصل ، تحقيق : إبراهيم محمد عبد الله ، دار سعد الدين ،
- ط2

دمشق ، 1431 هـ / 2010 م

- حاجي خليفة
- 29- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق : إبراهيم الزبيق ، دار الكتب

العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1413هـ / 1992م

• حسن عبد المنعم عربود

30- موافقة الأخفش للكوفيين في معاني القرآن ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د،
ت)

• الحطيئة

31- ديوان الحطيئة ، جمع وشرح : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، ط2 ، بيروت ،
1426هـ / 2005م

• الحموي (أبو عبد الله ياقوت ، 626هـ)

32- معجم الأدباء ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ،
لبنان ، 1993م

• أبو حيان الأندلسي ، (محمد بن يوسف بن علي ، ت 745هـ)

33- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مكتبة
الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1418 هـ / 1998م

33- البحر المحيط ، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ،
بيروت ، 1422 هـ / 2001 م

• ابن خلكان ، (أبو العباس شمس الدين بن أبي بكر ، ت 681 هـ)

34- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،
1968م

• الذهبي ، (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ)

35- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ط 10 ،
بيروت ، 1994م

• الزبيدي ، (أبو بكر محمد بن الحسن ، ت 379 هـ)

36- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار
المعارف

بمصر ، 1973 م

• الزجاجي ، (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، ت 337 هـ)

37- الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ،

1378هـ / 1959م

38- مجالس العلماء ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط2 ، الكويت ، 1984م

• الزركشي ، (بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، ت 794هـ)

39- البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت)

• زهير بن أبي سلمى

40- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح : حمدي طموس ، دار المعرفة ، ط2 ، بيروت ،

1425 هـ / 2005 م

• سعيد الأفغاني

41- في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، دمشق ، 1994 م

• السيرافي ، (أبو سعيد الحسن بن عبد الله ، ت 368 هـ)

42- أخبار النحويين البصريين ، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ، ط1 ،

1405هـ / 1985م

• سيويه ، (أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت 180 هـ)

43- الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط4 ، القاهرة ، 2006 م

• السيوطي ، (جلال الدين عبد الرحمان ، ت 911 هـ)

44- الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق : أحمد سليم الحمصي ، محمد أحمد قاسم ،

طبع جروس برس ، ط1 ، 1988م

45- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق : محمد عبد الرحيم ، دار

الفر

للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 2005 م

46- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين،

المكتبة

العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1987 م

47- همع الهوامع ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ،
القاهرة (د. ت)

• شعبان صلاح

48- مواقف النحاة من القراءات القرآنية ، دار غريب ، القاهرة ، 2005 م

• الشهرستاني ، (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت 548 هـ)

49- الملل والنحل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، لبنان 1980م

• شوقي ضيف

50- المدارس النحوية ، دار المعرف المصرية ، ط10 ، القاهرة ، 2008 م

• الصبان ، (محمد بن علي ، ت 1206 هـ)

51- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت ، 1419هـ /

1999م

• صلاح روي

52- النحو العربي (نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله) دار غريب ، القاهرة ، 2003م

• طاش كبرى زاده

53- مفتاح السعادة ومفتاح السيادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د، ت)

• طلال علامة

54- الطبقة والنحو ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ، بيروت ، 1992م

• طه صالح أمين آغا

55- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن ، دار المعرفة ، ط1

،

بيروت ، لبنان ، 1428 هـ / 2007 م

• عبد الرحمن أبو زرعة

56- حجة القراءات ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ،

1402هـ / 1982م

• عبد الرحمن السيد

57- مدرسة البصرة النحوية ، (نشأتها ، تطورها) ، دار المعارف ، ط1 ، مصر ،

(د.ت)

- العسقلاني ، (أحمد بن علي بن حجر ، ت 852 هـ)
- 58- الإصابة في معرفة الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت
- 1412 هـ / 1992م
- علي عبد الواحد وافي
- 59- فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط7 ، القاهرة ، (د ، ت)
- علي أبو المكارم
- 60- أصول التفكير النحوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007م
- الفراء ، (أبو زكريا يحيى بن زياد ، ت 207 هـ)
- 61- معاني القرآن ، تحقيق : محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، ط3 ، بيروت ، 1402هـ / 1983 م
- 62- المنقوص والممدود ، تحقيق : عبد العزيز الراجاوتي ، دار المعارف ، ط3 ، مصر (د،ت)
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ، 276 هـ)
- 63- المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة ، دار المعارف (د. ت)
- القرطبي ، (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ت 671 هـ)
- 64- الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : عماد زكي وخيري سعيد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د،ت)
- القفطي ، (علي بن يوسف ، ت 646 هـ)
- 65- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1973م
- لبيد بن أبي ربيعة العامري
- 66- ديوان لبيد بن أبي ربيعة ، تحقيق وشرح : إحسان عباس ، الكويت ، 1962م
- مازن المبارك

67- النحو العربي ، العلة النحوية (نشأتها ، تطورها) ، المكتبة الحديثية ، ط 1 ،
دمشق

1385هـ / 1965م

• المبرد ، (أبو العباس محمد بن يزيد ، ت 285 هـ)

68- المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1994 م

• ابن مجاهد ، (أبو بكر أحمد بن موسى ، ت 324 هـ)

69- السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط 2 ، القاهرة ،
1400هـ

• محمد إسماعيل الصاوي

70- شرح ديوان جرير ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (د.ت).

• محمد الحسنوي

71- الفاصلة في القرآن ، مطبعة الأصيل ، حلب (د ت)

• محمد خان

72- اللهجات العربية والقراءات القرآنية (دراسة في البحر المحيط) دار
الفرج للنشر

والتوزيع ، ط 1 ، القاهرة ، 2002.

• محمد خير الحلواني

73- أصول النحو العربي ، الناشر الأطلسي ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د.ت)

• محمد الزحيلي

74- أصول الفقه الإسلامي ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، 1396هـ / 1976م

• محمد سالم صالح

75- أصول النحو (دراسة في فكر الأنباري) ، دار السلام ، ط 1 ، القاهرة ، 1427هـ

/

2006م

• محمد الطنطاوي

76- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، دار المعارف ، ط 3 ، القاهرة ، 2005 م

• محمد علي التهانوي

- 77- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق : علي دحروج ورفيق العجم ، مكتبة لبنان ، ط1 ، بيروت ، 1996 م
- محمد مختار ولد أباه
- 78- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت ، 1422هـ / 2001م
- محمود أحمد الصغير
- 79- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ، دار الفكر ، ط1 دمشق ، 1419 هـ / 1999م
- محمود أحمد نخلة
- 80- أصول النحو العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2002م
- محمد محي الدين عبد الحميد
- 81- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، المكتبة العصرية بيروت ، 1411هـ / 1990م
- مسلم ، (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ، ت 261 هـ)
- 82- صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
- (د.ت)
- مصطفى صادق الرافعي
- 83- تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1421هـ / 2000 م
- ابن منظور ، (أبو الفضل جمال الدين ، ت 711 هـ)
- 84- لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 1410هـ / 1990م
- مهدي المخزومي
- 85- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، ط2 ،
- مصر ، 1377هـ / 1958 م
- الميداني ، (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، ت 518 هـ)
- 86- مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، 1955 م

87- مجمع الأمثال ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، ط2 ، بيروت ، 1988م

• النابغة الذبياني

88- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت (د.ت) ناصر علي

89- شرح أبيات معاني القرآن للفراء ، دار سعد الدين ، دمشق 1430هـ / 2009م
• ابن النديم ، (أبو الفرج محمد بن اسحاق ، ت 385 هـ)

90- الفهرست ، دار المعرفة العلمية ، بيروت ، 1987م

• النووي ، (أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف ، ت 676 هـ)

91- شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، ط2، بيروت ، 1392 هـ

• ابن هشام ، (جمال الدين بن هشام الأنصاري ، ت 761 هـ)

92- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق : مازن المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، 1426هـ

• ابن يعيش ، (موفق الدين بن علي ، ت 643 هـ)

93- شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، (د.ت)

ثانيا : الرسائل الجامعية

- عبد الهادي وحيد غازي ، العلة النحوية وأثرها في العربية حتى القرن السادس الهجري ، رسالة دكتوراه ، إشراف : أ. د محمد موعد 2007/ 2008م ، جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها.

ثالثا : المجلات والدوريات

- مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد 31، الجزء 2 ، جمادى الأولى 1400هـ،
نيسان 1980م
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد 14 ، سنة 1936م
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة —————رة العدد 3 ، السنة
1936م

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة / الآية
		سورة البقرة
168	6	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ ﴾
40	10	﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾
45	11	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾
168	13	﴿ قَالُوا نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾
123	16	﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾
215	17	﴿ مِثْلَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾
214	19	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾
169	20	﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾
198	20	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾
41	22	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾
75	29	﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾
152 ، 35	33	﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾
153	34	﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾
		﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ وَالْجَنَّةَ مَعًا مِمَّا كَانَا فِيهَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
154	35	﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ ﴾
152	35	﴿ فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾
16	36	﴿ فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ ﴾
209 ، 124 ، 16	38	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾
211 ، 142	40	﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾
73	41	﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

162	42	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾
141	48	﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾
141	51	﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾
83	54	﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾
122	57	﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ﴾
75	61	﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾
243 ، 123	61	﴿ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴾
246	61	﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾
44	71	﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾
44	72	﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾
175	78	﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ﴾
37	79	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾
189	79	﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾
263 ، 221	83	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾
155	83	﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾
43	85	﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾
40	85	﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى ﴾
157	87	﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ ﴾
		﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
		وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
206 ، 38	89	مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾
211	92	﴿ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلِ ﴾
178	96	﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾
157	100	﴿ أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾
178	104	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾
78	106	(ما ننسخ من آية أو ننسها)
		﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا

256	117	﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾
241 ، 51 ، 37	120	﴿ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾
48	123	﴿ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾
172	126	﴿ وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾
171	130	﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾
144 ، 84	132	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ﴾ ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾
144	133	﴿ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾
45	139	﴿ أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا ﴾
268	145	﴿ وَلَمَّا آتَيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾
265 ، 245	150	﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾
30 ، 110	152	﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾
179	161	﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾
247	180	﴿ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾
239	183	﴿ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ﴾
155	184	﴿ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ﴾
239	185	﴿ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى ﴾
215	186	﴿ فَإِنِّي أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾
157	195	﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾
78	196	﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ﴿ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾
246	198	﴿ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾
49	207	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾
	208	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ﴾

155 ، 37	214	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾
180	214	﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾
108 ، 61	229	﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾
		﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
، 52	234	﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾
	215	
107	235	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾
247	246	﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
261	249	﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾
49	264	﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ ﴾
244	271	﴿ وَنُكْفِرَ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾
		﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
241	274	﴿ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
81 ، 30	280	﴿ وَإِنْ كَانَ نُوَ عُسْرَةٌ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾
44 ، 40	283	﴿ فليؤدِّ الذي أوْتَمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾

سورة آل عمران

39	2	﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾
41	14	﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾
215 ، 31	20	﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾
104	28	﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً ﴾
، 15	39	﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾
	175	
145	52	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾
86	64	﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
125 ، 41	75	﴿ إِلَا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾

160	79	﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾
47	103	﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾
75	113	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾
82	120	﴿ لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾
76	153	﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾
221	185	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾
		﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
156 ، 38	188	﴿ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

النساء

256 ، 237 ، 163	1	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾
85 ، 47	3	﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾
42	4	﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾
80	12	﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً ﴾
194	27	﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ﴾
82	36	﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾
30	40	﴿ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يِضَاعِهَا ﴾
57	78	﴿ ... وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾
77	81	﴿ بَيْتِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾
195	88	﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾
258 ، 244	90	﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصْرَةَ صُدُورِهِمْ ﴾
189	112	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾
82	135	﴿ وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تَعْرَضُوا ﴾

المائدة

132	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوا ﴾	2
104	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ﴾	41
77	﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	64
262	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ ﴾	69
266 ، 242	﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾	71
190	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ﴾	73
48	﴿ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾	95
208	﴿ فَأَخْرَانِ يَوْمَانٍ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ﴾	107

الأَعْمَامُ

197	﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾	19
190	﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا ﴾	23
115 ، 104	﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	25
84	﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ ﴾	27
111	﴿ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	32
264	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾	40
39	﴿ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	54
80	﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾	56
243	﴿ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾	59
207	﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا ﴾	71
80	﴿ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	86
205	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ ﴾	93
170	﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾	99
160	﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾	100

80	﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ 105
	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا
80	اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ 109
104	﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ 109
145	﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ 136
	﴿وَكَذَلِكَ زِينٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ
238 ، 256	أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ 137
196	﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا﴾ 139
123	﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ 143

الأعراف

	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ
72	حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ 2
199 ، 191	﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ 10
43	﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ﴾ 22
124	﴿الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ 43
124	﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ 56
152 ، 35	﴿وَيَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ﴾ 104
35	﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ 132
210 ، 191 ، 126	﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾ 150
140	﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ 150
42	﴿فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا﴾ 189
76	﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ 201

الأنفال

140 ، 87	42	﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾
214	57	﴿ فَأَمَّا تَتَقَنَّهْمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ﴾
158 ، 86	59	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾

التوبة

221	6	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾
		﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . ﴾
36	15	
194	32	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾
190	40	﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ ﴾
105	57	﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا ﴾
172	102	﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾
78	110	﴿ رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ ﴾
79	117	﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ ﴾

يونس

49	2	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
169 58		﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾
240 ، 140	71	﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾
266	98	﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾

هود

39	5	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ ﴾
----	---	--

47	8	﴿ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾
132 ، 128	22	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ ﴾
79	41	﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسِيهَا ﴾
81	68	﴿ أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾
172	68	﴿ أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ ﴾
111	71	﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ ﴾
171	74	﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾
236	78	﴿ قَالَ هُوَ لَأَنَّ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾
189 ، 172	95	﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ تَمُودَ ﴾

يوسف

180	4	﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾
46 ، 41	11	﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾
106	19	﴿ قَالَ يَا بَشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾
74	20	﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾
109	31	﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾
158	81	﴿ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ﴾
246	99	﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾
143	101	﴿ رَبِّ قَدْ أَنبَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾

الرعد

		﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾
38 ، 37	31	
240	31	﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾

إبراهيم

194	4	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾
50	17	﴿ وَمَنْ وَرَّاهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾
55	35	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾
60	40	﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴾
238	47	﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مَخْلُوفًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ ﴾

الحجر

60	19	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ... ﴾
60	26	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
140	41	﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾

النحل

49	13	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾
		﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾
73	44 ، 43	
45	48	﴿ يَنْفَيْتُ ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾
197	52	﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَا ﴾
132	62	﴿ لَا جْرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ ﴾

الإسراء

161	11	﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ ﴾
169 ، 127	23	﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ ﴾
142	31	﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾
56	72	﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
129	84	﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكَلْتِهِ ﴾
109	92	﴿ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾
173 ، 86	102	﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

الكهف

55	59	﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾
125	77	﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾
50	79	﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾
44	97	﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾

مريم

108	23	﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾
208	28	﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأًا سَوْءًا ﴾
48	90	﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾

طه

87	58	﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوْءًا ﴾
248 ، 196	63	﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ ﴾
140	69	﴿ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾
242	89	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾

الأنبياء

- 266 ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ 3
 15 قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ 63

الحج

- 160 ، 111 ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ 5
 194 ﴿ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ 5
 85 ﴿ يَدْعُو لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ 13
 241 ، 37 ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ 47

المؤمنون

- 62 ﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ 11
 127 ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ 15
 ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ
 بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ 20
 157 ، 55 ﴿ هِيَ هَاتِ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ 36
 53 ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً
 رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
 144 ، 57 أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ 44
 163 ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ 84
 163 ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ 85
 163 ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ 86
 163 ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . ﴾ 87

		﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾
163	88	﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . ﴾
163	89	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . ﴾
248	114	﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

النور

213	10 ﴿	﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾
159	35	﴿ تَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ ﴾

الفرقان

193	23	﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾
-----	----	--------------------------------------

الشعراء

179	4	﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾
43	136	﴿ أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾

النمل

190	18	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾
		﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ ﴾
58	22	﴿ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾
		﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ ﴾
73	28	﴿ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾
161	36	﴿ فَمَا آتَانِ اللَّهُ ﴾

241

67

﴿ أَذِنَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا ﴾

القصص

49

34

﴿ فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾

الروم

268

51

﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا
لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾

السجدة

177

10

﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ

193

12

عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

الأحزاب

236

1

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ

107

21

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

5

56

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

سبأ

86 ، 42

10

﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ

فاطر

168 43 ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾

يس

161 22 ﴿ وَمَالِي لَا أَعْبُدُ ﴾

188 79 ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

الصافات

155 52 ﴿ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴾

ص

41 23 ﴿ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ ﴾

198 41 ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾

الزمر

143 16 ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾

128 30 ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ

40 60 ﴿ اللَّهُ وَحُوهُهُمْ مِثْقَالَةَ ذَرَّةٍ

267 73 ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾

غافر

154

15

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾

فصلت

113 ، 109

19

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

143

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ 26

244

48

﴿ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾

الزخرف

209

13

﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾

51

22

﴿...وَأَنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾

51

23

﴿...وَأَنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾

40

33

﴿ سَفَقًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾

الدخان

142

54

﴿ وَرَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾

الجاتية

257 ، 238 ، 160

14

﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

الأحقاف

38

26

﴿ وَآلَقَدْ مَكَانَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ ﴾

محمد

189 8 ﴿ فَتَعَسَا لَهُمُ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

الفتح

145 6 ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ﴾

الحجرات

171 2 ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾

ق

48 3، 2 ﴿ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ ﴾

176 38 ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾

130 45 ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾

الداريات

210 ، 51 23 ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَمَا أَنْكُمْ تَتَنَطَّقُونَ ﴾

الطور

58 37 ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴾

النجم

176	15	﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾
87	22	﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾

القمر

59	15	﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾
205	27	﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾

الرحمن

47	46	﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾
----	----	---

الواقعة

164	22، 21	﴿وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾
156 ، 35	26	﴿إِلَّا قَبِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾
55	37	﴿عُرْبًا أُنْرَابًا﴾
146 ، 110	95	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

الحديد

87	13	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾
242	29	﴿لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾

المجادلة

48 ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ 3

الحشر

161 ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ 2
47 ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ ﴾ 5
102 ، 37 ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً ﴾ 7

الجمعة

189 ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ 11

المنافقون

164 ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ 10

الطلاق

107 ﴿ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ 6

التحريم

213 ﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتٍ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ 12

المك

243	3	﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾
60	18	﴿ كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

القلم

144	19	﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾
-----	----	--

الحاقة

214 ، 52	7	﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾
----------	---	--

نوح

193	1	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾
-----	---	--

الجن

144	11	﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾
-----	----	------------------------------

المزمل

114	7	﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾
159	9	﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾
		﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي
176	20	اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾

المدثر

130	33	﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾
41	35	﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ ﴾
144	50	﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾

القيامة

46	40	﴿ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾
----	----	------------------------------------

الإنسان

156	6	﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾
45	17	﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾

النبأ

129	28	﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾
-----	----	--------------------------------------

النازعات

110	10	﴿ أَلَيْسَ لِمَرْئُونٍ فِي الْحَافِرَةِ ﴾
60	11	﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَآخِرَةً ﴾
154	16	﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

عبس

130	15	﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَّةٍ﴾
176	37	﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

التكوير

128	26	﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾
59	11	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾

الانفطار

42	7	﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾
213	8	﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

البروج

49	5	﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾
----	---	-----------------------------

الغاشية

58	22	﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾
41	25	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾

الفجر

31	18	﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
----	----	--

القدر

194 5 ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾

البينة

236 7 ﴿ أَوْلَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾

العاديات

170 ، 126 ، 107 ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ 11،10،9

الفيل

116 3 ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾

الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

الحديث

95 إذا كان الشتاء قيظاً والولد ..
95 أمرت بالسواك
95 أوصى امرأاً بأمه
95 العيادة قدر فواق الناقة
95 كفى بالمرء إثماً

95	الكمأة من المن
95	لتأخذوا مصافكم
17	لم أر عبقريا
92	ليس من أصحابي
92	من كذب علي
95	نهى رسول الله
95	يرحم الله هذا

فهرس الأشعار

	القائل	البحر	البيت الصفحة
265	أبو زيد الطائي	(الطويل)	طلبوا بقاء
61	أبو البلاد الطهوي	(الطويل)	أتاني عائبي
183	مجهول	(الوافر)	فعيث النصاب
262	ضابئ البرجمي	(الطويل)	فمن يك لغريب
132	عطية بن عفيف	(الكامل)	ولقد أن تغضبا
132	عطية بن عفيف	(الكامل)	ولقد أن يغضبوا
261	مجهول	(الكامل)	الآن صحاح
260	مجهول	(الطويل)	— لكמיד
263	طرفة بن العبد	(الطويل)	ألا أيها مخلدي
249	عاتكة بنت زيد	(الكامل)	هبلتك المتعمد
52	النابغة الجعدي	(الطويل)	أقامت وتجارا
259	مجهول	(الطويل)	حلفت سائر
137	الفرزدق	(البسيط)	فأصبحوا بشر
42	معفر البارقي	(الطويل)	فألقت المسافر
33	جرير	(الطويل)	كسا اللؤم ... الخضر
262	الفرزدق	(الكامل)	كم عمة عشاري
125	مجهول	(الكامل)	كادت ... ما مضى
113	سويد بن كراع العكلي	(الطويل)	فإنكما وتضلعا
127	ذو الرمة	(الطويل)	وقفنا البلاقع
123	الفرزدق	(الطويل)	وأشلاء متألف
61	أبو محجن الثقفي	(الطويل)	إذا مت عروقها
183	أبو ذؤيب	(الطويل)	يرى حاذق
136	عدي بن زيد	(البسيط)	اسمع سألأ

76	أمية الهذلي	(المتقارب)	ألا يا لقوم.....دلال
246	امرؤ القيس	(الطويل)	تتورتهاعال
246	امرؤ القيس	(الطويل)	رأيت البقل
168	لييد	(الوافر)	سقى هلال
267	تميم بن مقبل	(الكامل)	فإذا وذاك بخيال
53	جرير	(الطويل)	فأيهاات نواصله
259	الأعشى	(البسيط)	لئن ننتقل
260	مجهول	(الطويل)	لهنك يقولها
30	عمر بن لجأ التميمي	(الطويل)	هم جمعواتقاتل
142	امرؤ القيس	(الرجز)	يا لهفباطلا
120	مجهول	(الرجز)	أرقني لا ينم
133 ، 129	مجهول	(الرجز)	إن كلابااللهم
196	المتلمس	(الطويل)	فأطرق ... لصمما
36	النابغة الذبياني	(الوافر)	فإن الحرام
222	أبو الأسود الدؤلي	(الكامل)	لأنته عظيم
54	ضمرة النهشلي	(السريع)	ماوي ... بالميسم
245	المخبل السعدي	(الكامل)	وأرىرسم
194	الحطيئة	(الرجز)	والشعر ... فيعجمه
265	الفرزدق	(البسيط)	ما بالمدينة ... مروانا
39	فروة المرادي	(الوافر)	وما إنآخرينا
186	القحيف العقيلي	(الوافر)	إذارضاهها

Summary of the study

Both *Alakhfach* and *Alfara* wrote two books with the same title : “*meaning of the Quran*” .

This dissertation explores and compares between the principals of Arabic Grammar and Language as cited in the two books.

Alakhfach Alawsat (the middle) (died 215 a.h.) considered as one of the most distinguished scholars of Bausrah School , he was one of *Seebawayh*'s student (died 180 a.h) . He had a predominant role in enriching the *Basurah Grammar* thanks to his views and independent opinions ,which the Arabic classic grammar books are full of . *Alakhfach* left behind some books like : *Maani Alquran* “ *The Meaning of The Quran* ” and *Kitab Alkawafi* “ *The Book of Rhymes* “

Abu zakariya Alfara is deemed to be one of the most noticeable of *Kufa*'s scholars , he was one of the most brilliant of *Abi hamza alkissai*'s students (died in 189 a.h.) the founder of Kufi grammar school . If this last had the priority of founding the school , *Alfaraa* would have had the priority of strengthening it thanks to his grammatical terminology different of that of the *Basurah*'s . *Alfara* left behind some books like : *Maani Alquran* “ *The Meaning of The Quran*” *Kitab Alhodud* “*The Book of Difinitions*” and *Almak'sour wa almandoud* “ *The Short and The long vowels* ” (in phonetics).

Talking about the principals of the language is not much different than of the principals of grammar nevertheless , that the most important principal of the language is ‘ *Assamaa*’ ‘*Acceptance by Usage*’ represented in : (The Noble Quran , the prophetic Tradition and the Arabs'speech) while the most important one of that of grammar is Analogy .

The Arab scholars relied in their linguistic studies upon usage in its three branches (Noble Quran , the prophetic Tradition and the Arabs'speech) They looked attentively at the differencies between the various recitations of the Quran and upon them they setted up their theories in semantics and phonetics. They also examined the language of the Hadith and set up on the base of its structures a set of rules and laws ,nevertheless this was less dealt with as with the Holy Quran and the Arabs' speech that was examined in its two forms : poetry and prose and in all its levels : formal and informal . In fact, the grammarians , if did not find what they were looking for in the above mentioned types would rely upon : Analogy and hence they compare what is not used with what's used .

They also leaned upon consensus if it's reliable to achieve their scientific goals. In consensus , The scholars of Arabic Languag are much more influenced by the Islamic jurisprudents ; for both teams adopted the the same terminology ‘ real consensus and the silent one’ .

Both *Alfarraa* and *Alakhfach* stated more than once in their above mentioned two books that it was not considred as eloquent to break what the Arabs had been already unanimous on .

All the above was linguistically considered ; whereas they tend to prefer Analogy in the grammatical studies without neglecting the three elements of acceptance by usage .

Many are the grammatical rules made upon some Quranic verses or expressions heard from eloquent Arabs .

The grammar analogy is to compare what was not used with that was used by the Arabs provided that the used should be regular , constant and being common (used a lot) .

Both Alakhfach and Alfarraa described various forms of Analogy :

For Alakhfach ,we mention : the correct analogy , the good analogy , the weak analogy and the rejected analogy as for Alfarraa we mention : the correct analogy , the paralogism , analogy for the rare and the ambiguous analogy...

They were not satisfied only with the above , but rather they gave reasons for what was heard of speech from the Arabs so that their study is set up scientifically .

What's remarkable in Alakhfach and Alfarraa's reasons is that they're made from within the text not without , they were also made linguistically with no influence of philosophy or logic .The terms used to name these reasons were almost common , we can read in their two books : Reasons for : non-use , for over use , for non-desirable use , lightening use ,for contentedness , for differentiating and for the undesirable in use...

Exploring the principals of Arabic Grammar and Language in both Alakhfach and Alfarraa's two books shows a clear image of the principals of grammar and language in Basura and Kufa's grammarians' points of view ; for alakhfach belonged to Basurah school and Alfarraa for kufa's and this's what is included in our dissertation findings .

فهرس الموضوعات

الفصل الأول : البيئة العلمية في عصر الأُخفش والفراء

- 8 الأُخفش وكتابه " معاني القرآن "
- 22 الفراء وكتابه " معاني القرآن "
- 37 القيمة اللغوية للكتابين

الفصل الثاني : أصول اللغة عند الأُخفش والفراء

- 71 النقل وأثره في التقعيد اللغوي عندهما
- 123 القياس اللغوي وطريقة التوظيف
- 140 الإجماع

الفصل الثالث : أصول النحو عند الأُخفش والفراء

- 154 كلام العرب ومنهج السماع عندهما
- 191 القياس ومنهجها فيه
- 208 العلل والعوامل عندهما

الفصل الرابع : علاقة الأُخفش والفراء بأصول اللغة والنحو

عند البصريين والكوفيين

- أصول اللغة والنحو عند البصريين من خلال كتاب " معاني القرآن "
- 234 للأُخفش الأوسط
- أصول اللغة والنحو عند الكوفيين من خلال كتاب " معاني القرآن للفراء " 254
- نتائج البحث 276